

مِرْحَلَةٌ إِلَى

الدَّائِرَةُ الْآخِرَةُ

وَمَا ذَا بَعْدَ الْمَوْتِ « مِنْ الْبَدَايَةِ حَتَّى النِّهَايَةِ »

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

تأليف العلامة

د . عمر عبد الكافي

طبعة مخرجة الأحاديث على كتب الإمام العلامة

محمد ناصر الدين الألباني



دار الفکر



دار الفکر
كتاب النور

للصمم والنشر والتوزيع

HERE AFTER HERE AFTER

منتدی سور الازبکیه

WWW.BOOKS4ALL.NET

الدَّارُ الْآخِرَةُ

وَمَا ذَا بَعْدَ الْمَوْتِ ؟

من البرلين حتى النهاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢١٧٥٩/٢٠٠٩

التقديم الدولي: 6 - 20 - 6340 - 977 - 978

النور للإنتاج والنشر الإسلامي

Alnoorislamic@yahoo.com
Alnoorislamic@hotmail.com

عضو اتحاد الناشرين المصريين رقم ٤٨٠
الإدارة والمبيعات

٧ ش عبد العزيز - العتبة - القاهرة

ت: ٢٢٩٥٩٢١٨ - ٢٢٩١٠٥٥٤

طنطا: ٢ ميدان المحطة - ت: ٢٣٣٣٩٤٤/٤٠



دار النور

دار النور

الْبَذَارُ الْآخِرَةُ

وَمَاذَا بَعْدَ الْمَوْتِ؟

سلسلة البرية حتى النهاية

د / عمر عبد الكافي

طبعة مُحَقَّقة ومُزَيَّنة الأُطَارِيفُ عَلَى كُتُبِ الْعَلَّامَةِ

مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِي



دار الفُرْقَانِ

بَيْتُ الْإِسْلَامِ

الأزهري الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والنقل والترجمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً.

وبعد:

فإن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، فلا يتم إيمان العبد ولا تصح عقيدته إلا بعد أن يحقق هذا الركن وهو الاعتقاد الجازم الذى لا يداخله شك ولا ريب بكل ما أخبر به الله عز وجل فى كتابه العزيز أو جاء على لسان نبينا محمد ﷺ عن ذلك اليوم وما يحدث فيه بما فى ذلك: الساعة وعلاماتها والقبر ونعيمه وعذابه، والصراط ومحنته، والصحف وتطايرها؛ والميزان ووضعه، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها.

وهذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ هو عبارة عن تفرغ لمحاضرات «الدار الآخرة» والتى ألقاها الدكتور/ عمر عبد الكافي أكثر من مرة وقد قمنا بالاعتناء بها على النحو التالى:

- نظراً لأن هذا الكتاب مفرغ من الأشرطة ومن المعلوم أن المادة المسموعة تختلف عن المادة المقروءة لذا قمنا بالتصرف فيها من حذف وإضافة وتعديل بإذن الناشر وذلك للوقوف على أفضل صورة للكتاب.
- وقد تم إعادة صياغة الأسلوب بشكل يتفق مع قواعد اللغة العربية وصحة المعلومة.
- ما كان غير واضح من ناحية وضوح الصوت، أو استقامة الكلام فقد تم ضبطه بما يتناسب وسياق الكتاب.
- تم استبدال الأحاديث الضعيفة بما يغنى عنها من الأحاديث الصحيحة.

وبعد أن أخذ الكتاب شكله النهائي بعد استيفاء الخدمات السابقة قمنا بما يلي:

- عزو الآيات إلى مصدرها في المصحف الشريف.
- عزو الحديث إلى مصدره فإذا كان في الصحيحين نصدره بقولنا: «متفق عليه» وإذا كان في أحدهما نصدره بقولنا: «صحيح» لتلقى الأمة لهما بالقبول.
- إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما ذكرنا موضعه في كتب السنن كـ«سنن أبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه» أو ما تيسر لنا من سائر الكتب الأخرى كـ«مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان، والمستدرک، ومعجم الطبرانى» ونحوها، ويتم الحكم عليها بأحكام محدث هذا العصر العلامة محمد ناصر الدين الألبانى رحمه الله تعالى.

● ذكر بعض معانى الكلمات التى قد تُشكل على القارئ.

ونسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل وأن يعفو عما وقع فيه من تقصير وزلل.

اعتنى به قسم التحقيق والمراجعة

بدار فتح المجيد



السيرة الذاتية (د/عمر عبد الكافي)

نشأته،

• ولد الشيخ د. عمر عبد الكافي ١٩٥١ / ٠٥ / ٠١ م في المنيا بصعيد مصر.
حفظ القرآن الكريم في العاشرة من عمره، حفظ على يدي أساتذته صحيحى البخارى
ومسلم بالأسانيد عن ظهر قلب، تلقى العلوم الشرعية واللغوية من علماء أفاضل
وأساتذة أجلاء.

• بدأ مسيرته الدعوية منذ عام ١٩٧٢ م.

دراسته،

• حصل على درجة الدكتوراه في العلوم الزراعية، حصل على درجة الليسانس في
الدراسات العربية والإسلامية .
• حصل على درجة الماجستير في الفقه المقارن .

يشغل حالياً،

• عضو في هيئة الحكماء للاتحاد العالمى لعلماء المسلمين، عضو جائزة دى
الدولية للقرآن الكريم، مدير مركز الدراسات القرآنية لجائزة دى الدولية للقرآن
الكريم .

• عضو في المجمع الفقهي لعلماء الهند .

من دروسه وبرامجه،

(الدار الآخرة - شرح صحيح البخارى - السيرة النبوية - قصص الأنبياء -
صفوة الصفوة - الوعد الحق - النبع الصافي، وغيرها كثير).



ترجمة للعلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني، أحد أبرز العلماء المسلمين في العصر الحديث، ويعتبر الشيخ الألباني من علماء الحديث البارزين المتفردين في علم الجرح والتعديل، والشيخ الألباني حجة في مصطلح الحديث وقال عنه العلماء المحدثون: إنه أعاد عصر ابن حجر العسقلاني والحافظ ابن كثير وغيرهم من علماء الجرح والتعديل.

نشأته،

ولد الشيخ محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح الألباني عام ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٤ م، في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا - حينئذٍ - عن أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي، فكان والده مرجعاً للناس يعلمهم ويرشدهم.

هاجر صاحب الترجمة بصحبة والده إلى دمشق الشام للإقامة الدائمة فيها بعد أن انحرف أحمد زاغو (ملك ألبانيا) ببلاده نحو الحضارة الغربية العلمانية.

أنتم العلامة الألباني دراسته الابتدائية في مدرسة الإسعاف الخيري في دمشق بتفوق.

نظراً للرأى والده الخاص في المدارس النظامية من الناحية الدينية، فقد قرر عدم إكمال الدراسة النظامية ووضع له منهجاً علمياً مركزاً قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم، والتجويد، والنحو والصرف، وفقه المذهب الحنفي، وقد ختم الألباني على يد والده حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني مراقي الفلاح في الفقه الحنفي وبعض كتب اللغة والبلاغة، هذا في الوقت الذي حرص فيه على حضور دروس وندوات العلامة بهجت البيطار.

أخذ عن أبيه مهنة إصلاح الساعات فأجادها حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، وأخذ يتكسب رزقه منها، وقد وفرت له هذه المهنة وقتاً جيداً للمطالعة والدراسة، وهيات له هجرته للشام المعرفة باللغة العربية والاطلاع على العلوم الشرعية من مصادرها الأصلية.

توجهه إلى علم الحديث واهتمامه به،

على الرغم من توجيه والد الألباني المنهجى له بتقليد المذهب الحنفي وتحذيره الشديد من الاشتغال بعلم الحديث، فقد أخذ الألباني بالتوجه نحو علم الحديث وعلومه، فتعلم الحديث في نحو العشرين من عمره متأثراً بأبحاث مجلة المنار التي كان يصدرها

الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) وكان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب «المغنى عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للمحافظ العراقي (رحمه الله) مع التعليق عليه.

كان ذلك العمل فاتحة خير كبير على الشيخ الألباني؛ حيث أصبح الاهتمام بالحديث وعلومه شغله الشاغل، فأصبح معروفاً بذلك في الأوساط العلمية بدمشق، حتى إن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت غرفة خاصة له؛ ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة؛ حيث يدخلها وقت ما شاء، أما عن التأليف والتصنيف، فقد ابتدأهما في العقد الثاني من عمره، وكان أول مؤلفاته الفقهية المبنية على معرفة الدليل والفقه المقارن كتاب: «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» ومطبوع مراراً، ومن أوائل تخاريجه الحديثية المنهجية أيضاً كتاب «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير» ولا يزال مخطوطاً.

كان لا اشتغال الشيخ الألباني بحديث رسول الله ﷺ أثره البالغ في التوجه السلفي للشيخ، وقد زاد تشبته وثباته على هذا المنهج مطالعته لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من أعلام المدرسة السلفية.

حمل الشيخ الألباني راية الدعوة إلى التوحيد والسنة في سوريا؛ حيث زار الكثير من مشايخ دمشق وجرت بينه وبينهم مناقشات حول مسائل التوحيد والاتباع والتعصب المذهبي والبدع، فلقي الشيخ لذلك المعارضة الشديدة من كثير من متعصبى المذاهب ومشايخ الصوفية والخرافين والمبتدعة، فكانوا يثيرون عليه العامة والغوغاء ويشيعون عنه بأنه «وهابي ضال» ويحذرون الناس منه، هذا في الوقت الذي وافقه على دعوته أفاضل العلماء المعروفين بالعلم والدين في دمشق، والذين حضوه على الاستمرار قدماً في دعوته ومنهم، العلامة بهجت البيطار، الشيخ عبد الفتاح الإمام رئيس جمعية الشبان المسلمين في سوريا، الشيخ توفيق البزرة، وغيرهم من أهل الفضل والصلاح -رحمهم الله.

نشاط الشيخ الألباني الدعوي

نشط الشيخ في دعوته من خلال:

أ) دروسه العلمية التي كان يعقدها مرتين كل أسبوع؛ حيث يحضرها طلبة العلم

و بعض أساتذة الجامعات و من الكتب التي كان يدرسها في حلقات علمية :

- فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.
- الروضة الندية شرح الدرر البهية للشوكانى شرح صديق حسن خان.
- أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف.
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير شرح احمد شاکر.
- منهاج الإسلام في الحكم لمحمد أسد.
- فقه السنة لسيد سابق.

ب) رحلاته الشهرية المنتظمة التي بدأت بأسبوع واحد من كل شهر، ثم زادت مدتها؛ حيث كان يقوم فيها بزيارة المحافظات السورية المختلفة، بالإضافة إلى بعض المناطق في المملكة الأردنية قبل استقراره فيها مؤخرًا، هذا الأمر دفع بعض المناوئين لدعوة الألبانى إلى الوشاية به عند الحاكم مما أدى إلى سجنه.

صبره على الأذى وهجرته،

في أوائل ١٩٦٠م كان الشيخ يقع تحت مرصد الحكومة السورية- مع العلم أنه كان بعيدًا عن السياسة- وقد سبب ذلك نوعًا من الإعاقة له. فقد تعرض للاعتقال مرتين، الأولى كانت قبل ٦٧؛ حيث اعتقل لمدة شهر في قلعة دمشق وهى نفس القلعة التي اعتقل فيها شيخ الإسلام (ابن تيمية)، وعندما قامت حرب ٦٧ رأت الحكومة أن تفرج عن جميع المعتقلين السياسيين. لكن بعدما اشتدت الحرب، عاد الشيخ إلى المعتقل مرة ثانية، ولكن هذه المرة ليس في سجن القلعة، بل في سجن الحسكة شمال شرق دمشق، وقد قضى فيه الشيخ ثمانية أشهر، وخلال هذه الفترة حقق مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى واجتمع مع شخصيات كبيرة في المعتقل.

أعمال ... إنجازات ... جوائز،

لقد كان للشيخ جهود علمية وخدمات عديدة منها:

- ١- كان شيخنا- رحمه الله - يحضر ندوات العلامة الشيخ محمد بهجت البيطار - رحمه الله - مع بعض أساتذة المجمع العلمى بدمشق، منهم عز الدين التنوخى - رحمه الله - إذ كانوا يقرؤون «الحماسة» لأبي تمام.

٢- اختارته كلية الشريعة في جامعة دمشق ليقوم بتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامي، التي عازمت الجامعة على إصدارها عام ١٩٥٥م.

٣- اختير عضواً في لجنة الحديث، التي شُكلت في عهد الوحدة بين مصر وسوريا، للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقها.

٤- طلبت إليه الجامعة السلفية في بنارس «الهند» أن يتولى مشيخة الحديث، فاعتذر عن ذلك لصعوبة اصطحاب الأهل والأولاد بسبب الحرب بين الهند وباكستان آنذاك.

٥- طلب إليه معالي وزير المعارف في المملكة العربية السعودية الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ عام ١٣٨٨ هـ، أن يتولى الإشراف على قسم الدراسات الإسلامية العليا في جامعة مكة، وقد حالت الظروف دون تحقيق ذلك.

٦- اختير عضواً للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٣٩٥ هـ إلى ١٣٩٨ هـ.

٧- لَبَّى دعوة من اتحاد الطلبة المسلمين في أسبانيا، وألقى محاضرة مهمة طبعت فيما بعد بعنوان: «الحديث حُجة بنفسه في العقائد والأحكام».

٨- زار قطر وألقى فيها محاضرة بعنوان: «منزلة السنة في الإسلام».

٩- انتدب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء للدعوة في مصر والمغرب وبريطانيا للدعوة إلى التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والمنهج الإسلامي الحق.

١٠- دعى إلى عدة مؤتمرات، حضر بعضها واعتذر عن كثير بسبب أشغاله العلمية الكثيرة.

١١- زار الكويت والإمارات وألقى فيهما محاضرات عديدة، وزار أيضاً عدداً من دول أوروبا، والتقى فيها بالجاليات الإسلامية والطلبة المسلمين، وألقى دروساً علمية مفيدة.

١٢- للشيخ مؤلفات عظيمة وتحقيقات قيمة ربت على المائة، وترجم كثيراً منها إلى لغات مختلفة، وطُبِعَ أكثرها طبعات متعددة ومن أبرزها، إرواء الغليل في تخريج

أحاديث منار السبيل، وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، وصفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.

١٣- ولقد كانت قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية من منح الجائزة عام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م، وموضوعها «الجهود العلمية التي عنيت بالحديث النبوي تحقيقاً وتخريجاً ودراسة» لفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني السورى الجنسية، تقديرًا لجهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي تخريجاً وتحقيقاً ودراسة وذلك في كتبه التي تربو على المائة.

وصية العلامة الألباني لعموم المسلمين،

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله .. وبعد:

فوصيتي لكل مسلم على وجه الأرض وبخاصة إخواننا الذين يشاركوننا في الانتماء إلى الدعوة المباركة دعوة الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح. أوصيهم ونفسي بتقوى الله - تبارك وتعالى - أولاً، ثم بالاستزادة بالعلم النافع، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وأن يعرفوا عملهم الصالح الذي هو عندنا جميعاً لا يخرج عن كونه كتاب وسنة، وعلى منهج السلف الصالح، وأن يقرنوا مع عملهم هذا والاستزادة منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً العمل بهذا العلم، حتى لا يكون حجة عليهم، وإنما يكون حجة لهم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ثم أحذرهم من مشاركة الكثير ممن خرجوا عن المنهج السلفي بأمور كثيرة.. وكثيرة جداً، يجمعها كلمة «الخروج» على المسلمين وعلى جماعتهم، وإنما نأمرهم يكونوا كما قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تبارك وتعالى» وعلينا - كما قلت في سابقة وأعيد ذلك مرة أخرى - وفي الإعادة إفادة، وعلينا أن نترفق دعوتنا المخالفين إليها، وأن تكون من قوله تبارك وتعالى دائماً وأبداً -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ

وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ وَحَدِّثْ لَهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿[النحل: ١٢٥] وأول من يستحق أن نستعمل معه هذه الحكمة هو من كان أشد خصومة لنا في مبدئنا وفي عقيدتنا، حتى لا نجمع بين ثقل دعوة الحق التي امتن الله عز وجل بها علينا وبين ثقل أسلوب الدعوة إلى الله عز وجل، فأرجو من إخواننا جميعاً في كل بلاد الإسلام إن يتأدبوا بهذه الآداب الإسلامية، ثم أن يبتغوا من وراء ذلك وجه الله عز وجل، لا يريدون جزاء ولا شكوراً.

آخر وصية للعلامة المحدث،

أوصى زوجتي وأولادي وأصدقائي وكلُّ مُحِبٍّ لي إذا بلغه وفاتي أن يدعولي بالمغفرة والرحمة - أولاً - وألا يكون على نياحة أو بصوت مرتفع.

وثانياً: أن يعجلوا بدفني، ولا يخبروا من أقاربي وإخواني إلا بقدر ما يحصل لهم واجب تجهيزي، وأن يتولى غسلي (عزت خضر أبو عبد الله) جاري وصديقي المخلص، ومن يختاره - هو - لإعانتة على ذلك.

وثالثاً: أختار الدفن في أقرب مكان؛ لكي لا يضطر من يحمل جنازتي إلى وضعها في السيارة، وبالتالي يركب المشيعون سياراتهم، وأن يكون القبر في مقبرة قديمة، يغلب على الظن أنها سوف لا تنبش...

وعلى من كان في البلد الذي أموت فيه ألا يخبروا من كان خارجها من أولادي - فضلاً عن غيرهم - إلا بعد تشييعي، حتى لا تتغلب العواطف، وتعمل عملها، فيكون ذلك سبباً لتأخير جنازتي.

سائلاً المولى أن ألقاه وقد غفر لي ذنوبي ما قدمت وما أخرت..

وأوصى بمكتبتى - كلها - سواء ما كان منها مطبوعاً، أو تصويراً، أو مخطوطاً - بخطي أو بخط غيري - لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة؛ لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح - يوم كنت مدرّساً فيها -.

راجياً من الله تعالى أن ينفع بها روادها، كما نفع بصاحبها يومئذ طلابها، وأن ينفعني بهم وبإخلاصهم ودعواتهم.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتٍ إِنَّيْ يَثُتُ إِلَيْكَ وَلَدِي مِنَ الْغُلَامِينَ﴾ (١٥) ﴿[الاحقاف: ١٥].

٢٧ جمادى الأول ١٤١٠ هـ.

ثناء العلماء عليه،

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: (ما رأيت تحت أديم السماء عالماً بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني).

وقال الفقيه العلامة الإمام محمد صالح العثيمين: (إنه حريص جداً على العمل بالسنة ومحاربة البدعة؛ سواء كانت في العقيدة أم في العمل. ومن متابعتك لمؤلفاته تعرف عنه ذلك وأنه ذو علم جم في الحديث والرواية والدراية وأن الله تعالى قد نفع بما كتبه كثيراً من الناس من حيث العلم ومن حيث المنهاج والاتجاه إلى علم الحديث وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين والله الحمد).

وقال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: (عالم من علماء المسلمين، وعلم من أعلام الدعوة إلى الله، وشيخ المحدثين وإمامهم في العصر الراهن، ألا وهو أستاذي محمد ناصر الدين الألباني - حفظه الله وبارك فيه-).

وقال الشيخ محمد إبراهيم شقرة رئيس المسجد الأقصى: (لو أن شهادات أهل العصر من شيوخ السنة وأعلام الحديث والأثر اجتمعت، فصيغ منها شهادة واحدة، ثم وضعت على منضدة تاريخ العلماء، فإني أحب أن تكون شهادة صادقة في عالم الحديث الأوحد، أستاذ العلماء، وشيخ الفقهاء، ورأس المجتهدين في هذا الزمان، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - أكرمه الله في الدارين-).

وقال الشيخ مقبل الوادعي: (والذي أعتقده وأدين الله به أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - حفظه الله - من المجددين الذين يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: «إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينه».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى مِنْ شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

* الحمد لله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين حمداً يوافي نعم الله علينا ويكافئ مزيده، وصلاة وسلاماً على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد اللهم صل وسلم وبارك عليه صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

* الحمد لله الذى انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر بالملك والبقاء، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، ثم جعل الموت مخلصاً للأنقياء، وموعداً في حقهم للقاء، وجعل القبر سجنًا للأشقياء وجسناً ضيقاً عليهم إلى يوم الفصل والقضاء، فله الإنعام بالنعم المتظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة.

* الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة وكسر بقوته ظهور الأكاسرة وقصر بيبغته آمال القياصرة الذين أدار عليهم حلقة الدائرة وأخذهم بيده القاهرة فخذفهم في ظلمات الحافرة وصيرهم بها رهناً إلى وقفة الساهرة، فأصبحوا قد خسروا الدنيا ولم يحصلوا على شىء من الآخرة.

أما بعد: فهذه بمشيئة الله عز وجل سلسلة الدار الآخرة بداية من ذكر الموت فتعالوا بنا للتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع أعظم رحلة في الوجود كله - رحلة إلى الدار

الآخرة - لنعلم كل مرحلة من مراحل تلك الرحلة ولتزداد بالزاد الحقيقي الذى يجعل تلك الرحلة هى رحلة السعادة والنعيم والخلود.
والأدلة على اليوم الآخر كثيرة جدًا:

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ إِلَهَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِيلَ الْمَشْرِيقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ إِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَيَّامًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [١] [آل عمران: ٩].

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٢] [آل عمران: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبا: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]. وغير ذلك كثير.

ومن السنة المطهرة: حديث جبريل المشهور الذى سأل فيه الرسول ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

وقال ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث»^(٢).

وقال ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما فى غدا إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩، ١٠) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٦٩٧) كتاب تفسير القرآن من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه.

وقال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالوسطى والسبابة»^(١). وغير ذلك كثير.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً للعلم النافع والعمل الصالح.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٠٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ذكر الموت

اعلم أن كثيرًا من الناس لا يحب الكلام عن الدار الآخرة، وخاصة عن الموت وهذا هو المنهمك في الدنيا، المكبُّ على غرورها، المحبُّ لشهواتها، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإذا ذُكر به كرهه ونفر منه، ولكن اعلم أيها المسلم أن ذكر الموت كما قال عطاء بن أبي رباح وغيره -رحم الله الجميع-: ذكر الموت يعطيك أشياء ثلاثة: تعجيل التوبة، الرضا بالقليل، والنشاط في العبادة.

* وذكر الموت يورث استشعار الانزعاج من هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، فإذا كان الموت أمامك وأكثرت من ذكره كما قال الحبيب ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هاذم^(١) اللذات^(٢)» فإنك تعجل بالتوبة وترضى بالقليل ولا تشاحن أهل الدنيا في دنياهم فيكون الله دائماً أمامك فيستقر قلبك ويطمئن كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال الحبيب ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك^(٣)، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك^(٤)، وغناك قبل فقرك^(٥)».

وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتجهزوا للعرض على الله ﴿يَوْمَذُ نَقْرُسُونَ لَا تَخْفَى مِنْكَ خَافَتُهُ﴾ [الحاقة: ١٨]، وبذلك يجعل المسلم الموت نصب عينيه كما قال الصديق رضي الله عنه: كل امرئ مصباح في أهله، والموت أدنى من شراك نعله سيعجل بالتوبة. فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وإذا ما انتبهوا ندموا ولم ينفع الندم بعد العدم.

(١) هاذم: قاطع.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذی (٢٣٠٧) كتاب الزهد، والنسائي (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٥٨) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (١٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) السقم: المرض.

(٤) هرمك: كبر السن وضعفه.

(٥) صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٤١/٤)، رقم (٧٨٤٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٣/٧)، رقم (١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (١٠٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

واعلموا أنه لو لم يكن في الموت إلا انحلال الأجسام ونسيانك أخرى الليالي والأيام لكان والله لأهل اللذات مكدرًا ولأصحاب النعيم مغيرًا ولأرباب العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجرا ومنفرا كما قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: «إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه فكيف ووراء يوم يعدم فيه الجواب وتدهش فيه الألباب وتنفى في شرحه الأقلام والكتاب ويترك النظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ يَسْأَلُكُمْ أَنتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] قدم الله عز وجل ذكر الموت على ذكر الحياة هو الذي خلق الموت والحياة.

وقال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] كشفنا عنك غطاءك أى: رأيت الحقيقة رأيت الحق، رأيت الواقع، -سبحان الله- ولذلك كثير من الصالحين لما يراهم أولادهم الصالحون في الرؤيا يقولون لهم: إن الأمر صعب وليس سهلاً؛ بل لا بد من توبة، لا بد من استقامة لا تغرنكم الدنيا أسرعوا وعجلوا بالتوبة أعيدوا الحقوق لأصحابها وكأنهم يقولون: يا أهلنا يا أحبابنا يا من سكتتم ديارنا وأخذتم أموالنا لا تغرنكم الحياة الدنيا كما غرنا واعلموا أنما الأموال لكم والحساب عليكم ولذلك من فضل الله عز وجل أن أرسل قبل الموت نذر أولهم سيدنا الحبيب ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»^(١) كهاتين: السبابة والوسطى، وكذلك إذا نظرت في المرأة تجد كم شعرة بيضاء في رأسك وفي لحيتك فهذا نذير أيضاً، انتبه ولما كانت صحتك جيدة وتضرب يدك في الحجر فينكسر فقد أصبحت الآن تمشي مستنداً على أحدهم فهذا نذير، عندما تكون في حالة صحية جيدة ويأتى لك مرض هذا نذير، عندما تقرأ القرآن عن مصارع السابقين أن الحياة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَهِمٌّ وَلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلِمَ بَ وَلَئِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] الحيوان أى: الحياة الحقيقية، لذلك فإن الحياة الحقيقية في الدار الآخرة، وليست في

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٠٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥١) كتاب الفتن وأشرط الساعة من

حديث أنس رضي الله عنه.

الدنيا، أما الدنيا فمرحلة اختبار.

حب الدنيا وطول الأمل

إن عدم ذكر الموت يسبب لك ثلاث مشكلات: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة، ويجعل عندك عدم رضا بما آتاك الله وذلك لأن محب الدنيا كشارب البحر لا يزيده شربه منه إلا عطشاً، يظل يشرب من المياه المالحة مرة بعد مرة فيزداد عطشه والعياذ بالله.
ولقد أحسن من قال :

إن لله عبداً فطننا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطننا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفناً

نظروا إلى الدنيا فرأوها على حقيقتها على أنها لجة مثل البحر المتلاطم الأمواج سبحان الله!! فأصبح فيها المسلم ينظر في الدنيا كيف ينجو منها من هذا البحر، لن ينجو إلا بصالح الأعمال فصالح الأعمال تستخدم بالنسبة له كالسفن يستطيع أن يرسو بها على بر السلامة اللهم أوصلنا جميعاً والمسلمين إلى برِّ الأمان فإننا حينما يكون الموت نصب أعيننا فسوف نسرع بالتوبة وهنا نقطة هامة هي أنك لن تغفل أو ترتكب ذنباً جديدة فحقيقة الموت أمامك سبحان الله.
لقد علمنا العلماء أموراً أربعة:

الأول: أن الموت يعمنا الثانى: وأن القبر يضمنا

الثالث: وأن القيامة تجمعنا الرابع: وأن الله يفصل بيننا

إذن فالموت سوف يعم الكل فلن يترك الموت أحداً لأن الموت حق والساعة حق فليس لك حاجب ولا وزير فيؤتى ولا صاحب لك فيرشى فلا ملجأ من الله إلا إليه لا إله إلا هو فالقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يفصل بيننا.

فعن أبى ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال: «يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان؟» هل تعلم لماذا تنطح هذه النعجة النعجة الأخرى قال: لا أعرف يا

رسول الله فهذه نعمة تقوم بنطح أختها فقال رسول الله ﷺ «لكن الله يدري وسيقضى بينها»^(١).

* والعلماء قد توقفوا عند هذا الحديث الذي يخوف، نعمة تقوم بنطح نعمة أخرى فهل النعمة مكلفة؟! لا فليس مكلف الا الثقلين الإنس والجن، فهؤلاء المكلفون سيعاقبهم الله أما النعمة فهي كناية عن إقامة الحق يوم القيامة «الْمَلَكُ يُؤَمِّرُ لِلَّهِ» [الحج: ٥٦] سبحانه وتعالى «لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ» [غافر: ١٧].

* ففي الدنيا يوجد ظلم، أما يوم القيامة فربنا قد حدث بأنه «لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ» فلو بغى حمل على حمل لتولى الله الباقي بعدله ولو نطحت شاة قرناء شاة جلهاء فلو نطحت شاة ذات قرنين شاة أخرى ليست لها قرنان لاقتصى الله لهذه من تلك ثم قال لها كوني ترابا فيقول الكافر يومها «يَلْتَنِي كُتُّ رَبِّا» [النبا: ٤٠] فيقول الكافر يومها ياليتني كنت عترة أو كنت بهيمة أو صماء لكي ينجو من عذاب الله اللهم نجنا من العذاب وابعدنا عن نار جهنم وأدخلنا الجنة بدون سابقة عذاب، إنا ضعفاء يا مولانا فقونا ياربنا في رضاك وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها يا أكرم الأكرمين إنك يا مولانا على كل شيء قدير. فإذا الموت يعمننا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا، والله يفصل بيننا فلا تجد إلا ما قدمت يداك كما قال تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (٨) [الزلزلة: ٧، ٨] والحساب يكون بالحسنات والسيئات كما قال الحبيب ﷺ: «أندرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا دراهم له ولا متاع؛ فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»^(٢).

* فمن وجد خيرا فليحمد الله على توفيقه ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه واعلم أن الله مطلع عليك «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» [غافر: ١٩] فلا تخفى

(١) رواه أحمد في المسند (٢٠٩٢٧)، وقال العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٨٨) إسناده صحيح.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليه خافية قال رجل لخاله وكان عالمًا يا خالي أوصني قال له: قل ثلاث كلمات:

الله ناظر إلى الله شاهد على الله لا تخفى عليه خافية -

القبر يضمنا فهو يضم أصنافًا غريبة فتجد أخوين متخاصمين أمام القضاء عشرين سنة أو ثلاثين سنة على فدانى أرض وتدركهما المنية فيدفن هذا بجانب هذا فهما الاثنان يدفنان وقد تركوا الأرض، والفدان الواحد ٤٢٠٠ متر، الاثنان ٨٤٠٠ فسبحان الباقي وسبحان من يرث الأرض ومن عليها.

ولذلك قال الشاعر ولقد قلت لنفسى وأنا بين المقابر:

هل رأيت الأمن والراحة إلا فى فنظرت فإذا الدود عفا فى المحاجر

ثم قلت: أيها السائل لست أدري، انظر كيف تساوى الكل فى هذا المكان وتساوى العبد مع رب الصولجان العاشق والخالى فما يفرقان ثم قلت: أيها السائل إنى لست أدري كله سواء الشاكى والمشكو فى حقه والظالم والمظلوم الرئيس والمرؤوس الذى كان يعظم والمسكين الذى لم يدر أحد به، كلهم بجانب بعضهم البعض فى الدنيا ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام فلا يقول لك الحاج فلان والشيخ فلان والدكتور فلان لا ألقاب ولا حتى أسماء فكل ما يقوله هو هل الجنة جاءت أم لا ؟ أو المرحوم حتى الاسم قد سلب منك كل حاجة سلبت لم يبق إلا العمل فقط فلماذا المسلم يتناحر ويتدابر؟ فالعلماء قالوا الموت يعمنا والقبر يضمنا يضم الكل وإن القيامة تجمعنا أى تجمع من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن بيده الأمر كله سبحانه الله لا محامى ولا استئناف ولا واسطة فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه يقول يارب يارب، لا وزير لك يارب فيؤتى ولا حاجب لك فيرشى هؤلاء، هن الثلاث كلمات:

(ربي يرانى - ربي يشاهدنى - ربي لا تخفى عليه خافية).

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ

وَلَا يَابِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فورقة من شجرة لا تقع إلا وهى مكتوبة فى كتاب

مبين سبحانه الله ولذلك قال الله تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾

[ق: ٤] فالأرض تأخذ منك اللحم وتبقى العظام فبعد عشرات السنين تأخذ العظام

وببقى «عجب الذنب» وهذا الحديث حينما عرضناه على بعض علماء الأحياء وعلماء الجولوجيا والطب الأجانب سبحانه الله بفضل الله قد أسلم منهم سبعة في أحد المؤتمرات فأصبحوا يتعجبون من قول الرسول ﷺ حيث قال: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب^(١) الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركب^(٢)» فهذا الحديث موجود في صحيح مسلم لا إله الا الله ولذلك قد أجرى هؤلاء العلماء تحليلاتهم وإثباتاتهم العلمية ولذلك ثبت عندهم أن كل جسم الإنسان يفنى إلا بعض من ذرات من آخر فقرة من العمود الفقري سبحانه الله هي التي يعرف الإنسان بها فإذا شاء الله أن ينفخ في الصور مرة أخرى فسبحان الله ﴿فَإِذَا هُمْ فِيَّامٍ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] يقول الله جل في علاه ﴿وَإِذَا أَلْتَفَتُوا لَوَجَّتْ﴾ [التكوير: ٧] أى إذا عادت الأرواح إلى أبدانها فلن تذهب روح محمود إلى عبد اللطيف ولا روح سميم تذهب إلى روح عبد الله فهذا محال فكل روح تذهب إلى جسدها سبحانه الله لأن الله يقول: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾

[ق: ٤]

* فمن ذا الذى يعلم الغيب سوى العليم الخبير؟! فلا تخفى عليه خافية سبحانه الله «إذن فالموت يعننا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، الله يفصل بيننا فإذا كان الموت نصب عينى فلا بد أن أعجلَّ بالتوبة ولا أفعل الذنوب فالله يرانى ويشاهلانى وبالتالي لا أفعل الذنوب سبحانه الله فاللهم جنبنا المعاصى يا من يحول بين المرء وقلبه فحلَّ بيننا وبين معاصيك وتُب على كل عاصٍ يارب واهد كل ضال واهدنا معهم يارب العالمين سبحانه الله!! ولذلك كان على رضى الله عنه وأرضاه يدعو الله جل جلاله ويقول: ما أوحش الطريق على من لم تكن دليله، وما أضيق الطريق على من لم تكن أنيسه فليهنى من يؤنسه الله حينما يكون الإنسان أنيسه الله تلاحظ الإنسان حينما يقول له صديقه أنستنا كما قال تعالى: ﴿أَتَأْتِىكَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصاص: ٢٩] بمعنى رأى أى ظهر له فتحن نسمى بالإنس لأننا نحن ظاهرون والجن يطلق عليه

(١) العجب: العظم أسفل العمود الفقري.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٣٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٩٥٥) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

جنًّا لأنه مستتر متخفٍّ ويقال: هذا شخص أو فلان مجنون فمعناها مستور عقله وسميت الحديقة جنة لماذا؟ لأنها تخفى ما بداخلها لأن الشجر يخفى ما بداخله لأن الظاهر لا يرى الباطن فسميت جنة وسمى البستان جنة لأنه يجن ما وراءه وজন معناها يخفى ما وراءه أما الإنسان فقد سمي الإنسان إنسًا للظهور فيقال: يا كذا يا فلان قد أنستنا ومعناها ليس كما يفهمها الناس من الأنس لكنها من الظهور قد ظهرت لنا أى ظهرت لنا فتخيل أنت إن الله قد أنسك أى ظهر لك فترى الله في كل حركة فترى الله أمامك فحيثما تقدم على فعل الحرام تنطق بأن الله يراك فتقف عند حدود الله عز وجل سبحانه الله!! ما أوحش الطريق على من لم يكن الله دليله فإذا لم يكن الله دليلك فمن يكون دليلك.

ولذلك قال الشاعر:

ومن كان له الغراب دليلًا يمرُّ به على جيف الكلاب

فتخيل لو شخصًا أخذ الغراب دليلًا له فأين يذهب به فهل يذهب به عند موضع العطور أم عند الرمم؟ فتخيل ذلك فلا بد وأن تعلم من دليلك «فالمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(١)، فأكثرُوا من الأخلاء الصالحين فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة لأن ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] فالموت لا بد وأن يكون أمام عيني لأكثر من التوبة ولا أفعل الذنوب ويضاف إلى ذلك أن العبد المسلم إذا كان الموت أمامه فلا بد وأن يكون نشيطًا في العبادة فما هو السبب الذي يجعلني أسرع إلى المسجد لأصلي ليلاً وأقرأ ما هو مقرر عليّ من ورد القرآن وأتقى الله وأغض البصر وأصم أذني عن الحرام فكل ذلك يفعل بوجود الموت أمامي لأنني أعلم أن الله قد يأخذني فجأة وإذا كان الأمر كذلك أى أن الموت أمامي فلا بد وأن أكون مستعدًا للقاء الله ولذلك قال أهل العلم: لا راحة للمؤمن إلا بقاء الله عز وجل فالمؤمن لا يستريح إلا بعد أن يلقي الله عز وجل ولكن

(١) بخال: يصاحب ويصادق.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذي (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المدة قد تطول فقد تلقى الله مثلاً بعد عشرين عاماً أو بعد سنة أو بعد أسبوع أو بعد مائة سنة فإن الله تعالى من رحمته بنا جعل لنا لقاءات متكررة كل يوم خمس مرات في اليوم الواحد (صبح، ظهر، عصر، مغرب، عشاء) فهذه هي الخمس أوقات التي تلقى الله فيها فنقف بين يدي الله، أنت تتكلم والله يسمع، أنت تدعو والله يجيب، أنت تقول والله يستمع إليك، سبحان الله، أنت تدعو وهو يجيب، دعوتك!! أنت تسأل والله يعطيك ولذلك قال الحبيب ﷺ: «تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فِإِذَا صَلَّيْتُمْ الصَّبْحَ غَسَلْتُمَا ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فِإِذَا صَلَّيْتُمَا الظُّهْرَ غَسَلْتُمَا ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فِإِذَا صَلَّيْتُمَا الْعَصْرَ غَسَلْتُمَا ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فِإِذَا صَلَّيْتُمَا الْمَغْرِبَ غَسَلْتُمَا ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فِإِذَا صَلَّيْتُمَا الْعِشَاءَ غَسَلْتُمَا ثُمَّ تَنَامُونَ فَلَا يَكْتُبُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا»^(١) فأنت تفعل ذنوب فأنت تحترق وحينما تقوم إلى الصلاة فأنت تطفى النار التي أشعلتها في نفسك، اللهم أطفئ لنا نيران الدنيا وآجرنا من النار الآخرة يارب العالمين اللهم آمين سبحان الله فأنا كمسلم والموت أمامي لا بد أن أكون نشيطاً في العبادة فأنت مثلاً في درس علم تجلس مع الأخوة الصالحين وتحبك الملائكة وتنزل عليك السكينة أو تأخذ كلمة تجعلك في عداد التائبين فإذا تكون في عبادة والله يفاخر بك ملائكته ويقول لك يا عبدى أنت عندى ك بعض ملائكتى فأنت عندى ك بعض ملائكتى - سبحان الله - وهذا من كرم وفضل الله عليك كذلك فحينما يكون الموت نصب عيني، فأذن المسلم حينما يتوب سبحان الله ولا يفعل الذنوب ويكون نشيطاً في العبادة فيكون عنده يقين في الله فلا يحزن، فبعض الناس يعيش في اكتئاب لاعتقادهم بأن الدنيا ما زالت أمامهم طويلة فيقولون ويتساءلون مثلاً من أين سنأكل الشهر القادم أو السنة القادمة لا وكيف نربى هؤلاء الأولاد وهل سنجد لهم شققاً أم لا نجد، فأقول لك يا بنى لا تعول هم الغد فإنما الغد بيد الله ومن رزقك اليوم قادر على أن يرزقك غداً ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

(١) حسن: أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥٨/٢)، رقم (٢٢٢٤)، وقال المنذرى (١/١٤٤): إسناده حسن. وقال الهيثمي (١/٢٩٩): فيه عاصم بن بهدلة، وحديثه حسن، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ألم تسمع قول الحبيب ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله وأجلوا^(١) في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم^(٢)»، وقوله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً ويؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه و أجله و شقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح.....»^(٣) الحديث.

* فقبل أن تموت سوف تأخذ كل ما لك وحينما تموت فإن الحساب المكتوب لك وأنت في بطن أمك سوف تأخذه تماماً ولا ينقص منه شيئاً سبحانه الله، ونضرب لك مثل بالرجل الذي كان حزينا وهو يحب اللحم وقد نصحه الأطباء بعدم أكلها وذلك لأن نسبة الكلوستلور عالية فلا تأكل أى نوع كان من اللحوم لأنها تزيد عنده هذه النسبة وحزن الرجل وقد سأله عن الحكمة من عدم أكلها فرددت عليه بأن هناك علة أخرى من عدم أكلها تكمن في عدم نسيانه للفقراء أما العلة الثانية: أنت لك في الحياة تموين عند الله فمثلاً لك طن تأكله من اللحم فأكل تسعمائه وسبعين كيلو فيبقى له ثلاثين كيلو كذلك فانه سيبقى له في الحياة من عمر عشرة سنين فلو أكل على نفس المنوال أو المنهاج الذى سائر عليه فسوف يأخذ أكثر من نصيبه لكن لا يكون إلا ما قد قضى الله في سابق الأذل فإذا أكلها سوف يمرض فيمنع من أكل اللحم وهو يعتقد بأن الطبيب هو الذى منعه من أكلها أو أن المرض هو الذى منعه ومع ذلك لو فكر قليلاً فسوف يرد قائلاً بأن تموينه من اللحم قد انتهى من المنبع من عند الله عز وجل، وصاحب الأمل الطويل في الدنيا يركن غالباً إلى الشهوات والملذات، ولذلك نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله وكلام رسول الله ﷺ، ولماذا المرتشى يرتشى ولماذا النصاب ينصب ولماذا المحتكر يحتكر ولماذا المغتاب يغتاب ولماذا الذى ينظر إلى

(١) أجل : طلب في قصد واعتدال مع عدم انشغال القلب.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٤٤) كتاب التجارات، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٢٧٤٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٣٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الحرام ينظر ولماذا الذى تمتد يده إلى الحرام ولماذا... ولماذا... ولماذا؟... لأن الموت ليس أمامه.

ولقد قال تعالى عن هذا الصنف: ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَسَبَّحُوا وَيُثْمِرُوا الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣].

وطول الأمل داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء، بل أعيأ الأطباء ويشس من برئه الحكماء والعلماء، وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإعراض عن الآخرة.. ولذا قال رسول الله ﷺ: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل»^(١)، فطالب الدنيا يعيش في عدم رضا لأن الدنيا المسألة فيها قياسية فالذى معه ألف يريد خمسة والذى معه خمسة يريد عشرين والذى معه عشرين يريد مائة والذى معه مائة يريد مليوناً والذى معه مليون يريد ثلاثين مليوناً ولا يملأ جوف ابن آدم ولا يقتنع ابن آدم إلا بالتراب. كما قال ﷺ: «لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون وادياً ولن يملأ فاه ابن آدم إلا بالتراب ويتوب الله على من تاب»^(٢).

الدنيا دار ابتلاء

انظر في حال الأنبياء وهم أرفع درجة من غيرهم إلا أن الله - سبحانه وتعالى - ابتلاهم بأنواع الابتلاءات لكى يختبرهم، ويمتحنهم، ولكنهم عباد الله الذين اصطفاهم كانوا أصبر الناس على البلوى قال ابن الجوزى - رحمه الله - يصف ابتلاءات الأنبياء حيث قال: ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم فيها من الأمراض والأكدار، ولم يضيق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعانى المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون، ويلقى من قومه المحن، وعيسى بن مريم لا مأوى له إلا

(١) حسن: رواه أحمد في الزهد (ص ١٠)، والطبرانى في الأوسط (٧/ ٣٣٢)، رقم ٧٦٥٠، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٣٨٤٥) عن ابن عمرو.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٣٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٤٨) كتاب الزكاة من حديث أنس رضي الله عنه.

البرارى فى العيش الضنك، ومحمد- صلى الله عليه وعليهم أجمعين- يصابر الفقر، وقتل عمه حمزة وهو أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه، وغير هؤلاء من الأنبياء والأولياء، ولو خلقت الدنيا للذة لم يكن حظ للمؤمن منها. وقد قال النبى ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(١).

فراش المرض

ينبغى للمريض أن يتحمل ويصبر على البلاء فهذا يرفع درجات المؤمن ويكفر عنه سيئاته، فإذا سُئل المريض كيف حالك؟ قال: الحمد لله ويقول كنبى الله يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنَفْسٍ مِنَّا إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وقال النبى ﷺ: «إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فقال انظروا ما يقول لعواده فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته»^(٢)، وانظر إلى حال النبى ﷺ يقول عبد الله بن مسعود ؓ دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك -أى: فى مرض موته- فمسسته بيدي -بأبى هو وأمى عليه الصلاة والسلام- فقلت: يا رسول الله! إنك توعك وعكًا شديدًا. قال: «نعم إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم» فقلت ذلك أن لك أجرين قال: «أجل ما من مسلم يصيبه أذى من مرضٍ فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط^(٣) الشجرة ورقها»^(٤).

فيا من ابتلاك الله بالمرض لا تيأس ولا تحزن واصبر واحتسب فإن هذا خير لك إذا صبرت واحتسبت ورضيت بقضاء الله تبارك وتعالى، فقد قال عليه الصلاة

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرفائق من حديث أبى هريرة ؓ.

(٢) حسن لغيره: رواه مالك فى الموطأ (١٧٥٠) كتاب الجامع، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٨٧/٧)، رقم (٩٩٤١)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٣١) من حديث عطاء بن يسار ؓ.

(٣) تحط: تسقط.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٤٨) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث عبد الله بن مسعود ؓ.

والسلام: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر؛ فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرا له»^(١)، فلا تحزن يا عبد الله إذا أصابك مرض وانظر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام يتألم كما يتألم الرجلان وهو من هو، ورغم ذلك يبشرنا أيضا وهو على فراش الموت فيقول: «ما من مؤمن يصيبه هم أو غم أو حزن أو مرض إلا كفر الله به من خطاياہ حتى الشوكة يشاكها»^(٢)، واعلم أن المريض إذا كان مواظبا على دروس علم أو صلاة جماعة وعمل خير يكتب له الأجر كاملا كأنه لم يمرض لأن الذي حبسه هو المرض كما قال ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما»^(٣)، وينبغي عليه أن يكون بين الخوف والرجاء، يخاف عقاب الله على ذنوبه، ويرجو رحمة ربه، لحديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت، فقال: «كيف تجددك؟» قال: والله يارسول الله إنني أرجو الله، وإنني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»^(٤)، فيستحب له أن يصبر ولا يتمنى الموت لضر نزل به لقول النبي ﷺ: «ولا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به وليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي»^(٥) ويحسن ظنه بربه تعالى قال جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»^(٦).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرفائق من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٩٩٦) كتاب الجهاد والسير من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) حسن: رواه الترمذي (٩٨٣) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني في المشكاة (١٦١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٥١) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

زيارة المريض

ينبغي لمن زار مريضاً أن يبشره بالشفاء وأن يكون بشوشاً مبتسماً عند لقاء المريض، لما له من أثر طيب في نفس المريض، فالحالة النفسية لها دور كبير في قدرة المرء على مقاومة المرض والتماثل للشفاء، وكذلك الطبيب يطمئن المريض ويطمئن أهله ويبين لهم أن الشافي هو الله وأنه مجرد سبب ولا تطل الجلوس عنده؛ لأنه ربما يمل، لأن حال المريض غير حال الصحيح، ولكن إذا رأيت المريض مستأنساً بك ويفرح أن تبقى، وأن تطيل الجلوس عنده، فهذا خير ولا بأس به وهذا ربما يكون منبئاً في شفائه، لأن من أسباب الشفاء إدخال السرور على المريض ثم احرص غاية الحرص أن توجهه إلى فعل الخير فتقول له: قد يقدر الله المرض على الإنسان فيكون خيراً له فيتفرغ للذكر ولقراءة القرآن وما أشبه ذلك لعله ينتبه ويكون لك أجر السبب واعلم أن الدعاء عند المريض مستجاب ولك ثواب الزيارة كما قال الحبيب ﷺ: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف^(١) في الجنة^(٢)».

الرقية الشرعية

ينبغي للمريض أن يعتقد ويتيقن أن الشفاء بيد الله وحده، فلا يتعلق قلبه إلا بالله، ويحذر أن يعتقد في خرزة زرقاء أو خمسة وخمسه أو يضع المصحف تحت رأسه أو في عتبة الباب أو تعلق حجاب أو آية الكرسي أو غير ذلك كل هذا حرام قال الحبيب ﷺ: «من علق تيممة^(٣) فقد أشرك^(٤)» والتيممة والوديعة من الشرك. وللمريض أن

(١) الخريف: الثمر المجنى.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٩٨) كتاب الجنائز، والترمذي (٩٦٩) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٧٦٧).

(٣) التيممة: ما يعلق ويعتقد فيه دفع الأذى، وهي عادة جاهلية أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه.

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٦٩٦٩)، وقال الهيثمي (١٠٣/٥): رجاله ثقات، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٣٩٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

يرقى نفسه بما ورد عن النبي ﷺ أو يرقيه غيره، والأفضل أن الرجل يرقى الرجل والمرأة ترقى المرأة والزوج يرقى زوجته وترقى زوجها وكذلك المحارم لمرجل والمحارم للمرأة وعليك أن تدعو الله بقلب سليم ونفس صافية صادقة بهذا الدعاء كما علمنا الحبيب ﷺ: «يضع السبابة على فمه ثم وضعها على الأرض ثم ترفعها وتضعها على مكان الألم وتقول أربع كلمات: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا»^(١) وكذلك: «اللهم رب الناس أذهب الباس واشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً»^(٢)، وقال: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»^(٣)، أو تقول «لا بأس طهور إن شاء الله»^(٤).

عبر وعظات

أحسن وصية تتركها أن توصي من تركت من أهلك أن يتقوا الله وأن يصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله أن كانوا مؤمنين وما أجل هذه الوصية، عندما يترك الآباء الصالحون الوصية بالتقوى لأبنائهم، فالابن البار يفتح الوصية من حين لآخر يقرأها وتكون له موعظة وذكرى لأن كلها عبارة عن شيء مستضى من الكتاب والسنة وأن يتقوا الله إن كانوا مؤمنين وأوصى بما أوصى إبراهيم بنه ويعقوب كما ذكر الله عز وجل ذلك في سورة البقرة فقال: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِذْ رُحِمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاتٍ وَحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

إذن الوصية هنا نقلناها من كتاب الله ومن سنة الحبيب المصطفى ﷺ قال الله

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤٥) كتاب الطب، ومسلم (٢١٩٤) كتاب السلام من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤٣) كتاب الطب، ومسلم (٢١٩١) كتاب السلام من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٢) كتاب السلام من حديث عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٦٦٢) كتاب المرضى من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة: ١٣٠-١٣٢﴾ .

ويعقوب أيضا وصى بها بنيه كما سبق فهذه أعظم وصية وحذار أن تنسب نفسك إلى طريقة أو جماعة أو حزب أو فئة أو فرقة كن مسلماً موحدًا بالله متابعا للرسول ﷺ حتى إذا وقفت أمام الله يوم القيامة يقول لك من أنت ؟ تقول أنا مسلم موحد بك يارب العباد متابعا لسيدنا محمد ﷺ فقط لا أتبع فرقه ولا طائفة ولا طريقة ولا حزبا ولا جماعة، بل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن محمداً رسول الله هذه طريقة واحدة وخط واحد كتاب وسنة اللهم اجعلنا من أهل الكتاب والسنة أوص بما أوصى به إبراهيم نبيه ويعقوب: ﴿يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ، وقال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿جمع أولاده حوله لما حضره الموت يريد أن يطمئن هل هو يريد أن يطمئن على تأمين مستقبل أولاده بالمال لا بل هو يريد أن يطمئن على العقيدة مثل زكريا -عليه السلام- لما دعا ربه قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحاً﴾ ﴿١﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْتِ مِن وَّرَآئِي وَكَانَتْ أَمْرًا يُعَاقَرُ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً﴾ ﴿٢﴾ بَرِّئِي وَبَرِّئْ مِن آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ ﴿مريم: ٤-٦﴾ .

وعيسى عليه السلام قال حينما شعر أن بنى إسرائيل لم يؤمنوا ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ بِمَا نَأْمُرُ بِأَقْوَمَ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢] سبحان الله يبقى الحواريون أتباع عيسى، وأتباع موسى عليهما السلام قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿الاعراف: ١٢٦﴾ سبحان الله وقال يوسف عليه السلام في آخر قصته التي قصها الله تعالى علينا: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَالْحَقِّقْ بِالصَّلَاحِينَ﴾ ﴿يوسف: ١٠١﴾ ، وبلقيس ملكة سبأ لما جاءت أول ما دخلت ورأت الصرح حسبته لجة وكشفت عن ساقها قالت:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] ولم تقل أنذر عشر شمعات للسيدة لا بل قالت: أسلمت مع سليمان لله لا أسلمت لسليمان لا واسطة بينك وبين الله تقول يارب يقول ليبيك يا عبدي واعلم أن الله قريب كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الدار الباقية

وهي الرحلة الأساسية لكل إنسان في هذه الحياة وهي الدار الباقية التي ينادى فيها أهل الجنة وأهل النار يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فاللهم اجعلها جنة أبداً أو خلوداً في جنة الرضوان يارب العالمين وليس الحديث عن الدار الآخرة كما تكرر على أسماعكم دائماً أنه حديث للقنوت أو لليأس أو للإحباط ولكنه حديث من الله عز وجل من أجل الفرار إليه سبحانه وتعالى وهو الذي أمرنا بالفرار إليه والمسلم دائماً يفر من الدنيا إلى الله ومن الناس إلى الله ومن الابتلاء إلى الله ويعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه والحديث عن الموت وما بعد الموت يوسع صدر الإنسان الضيق ويشرح صدر الإنسان المنغلق ويضئ قلب المسلم العاصي وينير الطريق لكل واحد منا ما الذي ينجيه بعد الموت ما الذي يوجب العذاب بعد الموت عندما يدرك الإنسان هذه الحقائق كلها إنما يدرك إنما هو في الدنيا ضعيف وإنما الدنيا عارية مسترجعة مؤداة إلى رب العباد سبحانه وتعالى والإنسان فيها ضعيف ولا بد أنه سوف يرحل وهو يسمع كلام الصادق عليه السلام سيدنا محمد حيث يقول: «ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(١) فالإنسان نهايته هي الموت وإذا حملت أنت إلى قبر من القبور جنازة فاعلم بأنك سوف تحمل وأنت أن غسلت ميتاً فاعلم بأنك بعدها سوف تغسل وأنت إن اشتريت كفنًا لميت قريب أو عزيز لديك فاعلم أنك سوف يشتري لك كفنًا واعلم أنك إن وضعت ميتاً في قبره فسوف يأتي عليك وقت توضع أيضًا في قبرك حتى الحانوتي الذي هو مهمته وعمله

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٣٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أن يلحد الأموات أو يضع الأموات في أماكنهم وفي قبورهم إنما سوف يلحد يومًا ما وسوف يموت يومًا ما ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال واعلم أن تحت الأرض يدفن الجميع عظيم حقير كبير صغير غنى فقير الكل يدفن تحت الأرض لا يوجد أحد يدفن فوق الأرض أبدًا وكأن الأرض تقول كل يوم يا بن آدم رويدك وأنت تسير فوق ظهري كن شفوقًا على حتى أكون شفيقة بك بعد أن تموت لأنك ﴿لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، ومن صفات عباد الرحمن - أول صفة - من صفاتهم ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] اللهم اجعلنا منهم فلا بد تمشى بتواضع بتدلل لله ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] .

فالمسلم لا يأكل في المسلم أسد على وفي الحروب نعمة



يسألونك عن الروح

بالموت يتحلل بدن الإنسان، ولذلك نوسع في قماش الكفن لأنه بعد أيام يتفتح بفعل ليكريا فبدأ الديدان تأكل إلى أن تلتهم كل اللحم والشحم والهيكل العظمى بعد سنوات يحوب كالرماد فالموت للبدن تحلل والموت للروح ترقى تنطلق في الملكوت عند رب لملكوت وهذه هي روح المؤمن اللهم اجعل أرواحنا من أرواح المؤمنين أما روح الكافر تحبس في سجن يعنى روح المؤمن في عليين يشهده المقربون والثاني يعذب في سجين وما خوراك ما سجين، وتعود كل نفس وروح إلى العالم الذى جاءت منه البدن جاء من التراب يعود إلى التراب والروح تنطلق في هذا الكون وتنطلق إلى ما لا يعلم إلا الله ولا يعلم العبد أين تذهب كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وتغادر الروح البدن وقد ذكر عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وهو في سياق الموت ومعه ابنه يقول له يا أبى قل لا إله إلا الله يقول لا أقولها أبدًا فخاف الابن وارتعب خوفًا من فتنه المحيا والممات فبعد أن أفاق في صحوة الموت قال له يا بنى لا تحل على من يموت يا بنى لقد شعرت بعطش شديد ورأيت كأنما إليس جاء بكوب ماء يقول لى أرويك من هذا وتقول كلمة الكفر قلت والله لا أقولها أبدًا ولكن أنت لا ترى شيئًا لذلك الإنسان المقيم على المعاصى ولم يتب منها يفتن ساعة الموت يُخَيَّلُ له لحظة الموت قريبًا له مات من قبل أب أو أم، أو خال، أو عم يقول له تعرفنى يقول له أعرفك وأنت جالس حوله لا تشعر بشيء كما قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتَ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥].

فالأمر شديد كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْقُرَاقِ ﴿٦٦﴾ وَقِيلَ لَهَا رَاقِ ﴿٦٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْقِرَاقُ ﴿٦٨﴾ وَالْقَعْبُ السَّاقِ ﴿٦٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَهِ الْقِسَاقِ ﴿٧٠﴾ [القيامة: ٢٦-٣٠]، فيحدث له ذهول فيقول له أنا توفيت قبلك إن أردت أن تدخل الجنة فمت على دين النصارى أو مت على دين اليهود هذا الذى يفتن عند الموت إذن فالمسلم يحافظ على طاعة الله ويكثر من العمل الصالح حتى إذا جاءه ملك الموت ثبته الله كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

الوصية

ينبغي على الإنسان أن يوصى بقضاء ما عليه من حقوق، سواء كانت لله مثل: الكفارات، وحجّ الفرض، والزكاة الواجبة التي لم يخرجها، أو كانت تلك الحقوق للعباد كالدّيون التي ليس عليها إثبات ولا يعلمها غيره، وكذلك ما عنده من الودائع والأمانات كأن يوثق ذلك بكتابة أو إشهاد حتى لا يضيع حقّ غيره، ولا يدخل على الورثة ما ليس لهم، ومثله إذا كان له حقّ على أحد ولم يستوفه ولم يسمح به في حال صحته؛ فيجب أن يوثقه حتى لا يضيّعه على ورثته وحتى لا يتسبّب على من هو في ذمته بأكل ما ليس له؛ فلربّما ينسى ولربّما يضيع اسم الغريم؛ فلا يعرف من وراء الميّت، وهذا يحدث كثيراً، وليؤدّي الحق إلى أصحابه إن تيسر له ذلك. وإلا أوصى بذلك، فقد قال ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو ماله، فليؤدها إليه، قبل أن يأتي يوم القيامة لا يقبل فيه دينار ولا درهم؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه، وأعطى صاحبه، وإن لم يكن له عمل صالح، أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه»^(١).

وقال ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا دراهم له ولا متاع؛ فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحه عليه ثم طرح في النار»^(٢).

فلا بد من الإسراع بمثل هذه الوصية لقوله ﷺ: «ما حق امرئ مسلم بيت ليلتين، وله شيء يريد أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه»^(٣).

وقال ابن عمر: «ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي

وصيتي».

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٣٨) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٢٧) كتاب الوصية من حديث عبد الله

ابن عمر رضي الله عنه.

ويوصى لأقربائه الذين لا يرثون منه، لقوله تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وله أن يوصى بالثلث من ماله، ولا يجوز الزيادة عليه، بل الأفضل أن ينقص منه لحديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فمرضت مرضاً أشرفت منه على الموت، فعادني رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن لي مالاً كثيراً، وليس يرثي إلا ابنة لي، أفأوصي بثلثي مالي؟ قال: «لا». قال: قلت: بشطر مالي؟ قال: «لا». قلت: فثلث مالي؟ قال: «الثلث والثلث كثير إنك يا سعد! أن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس، إنك يا سعد لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى إلا أجرت عليها، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك»^(١).

لَا تَضُرُّ وَلَا تَضَارُّ

- وأما الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون من الموصى، فلا تجوز، لأنها منسوخة بآية الميراث، وبين ذلك رسول الله ﷺ أتم البيان في خطبته في حجة الوداع فقال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»^(٢).

- ويحرم الإضرار في الوصية، كأن يوصى بحرمان بعض الورثة من حقهم من الإرث، أو يفضل بعضهم على بعض فيه، لقوله تبارك وتعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧] وفي الأخيرة منها: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرُ مُضَاكَرٍ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

ولقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار من ضار ضاره الله ومن شاق»^(٣) شاق الله عليه»^(٤).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٩٦) كتاب الجنائز، ومسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٨٧٠) كتاب الوصايا، والترمذى (٢١٢٠) كتاب الوصايا، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (١٧٨٩) من حديث أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه.

(٣) شاق: ضلل الناس وحلهم على ما يشتر عليهم، أو أثار الخلاف بينهم، أو كشف مساوئهم ومعاييبهم.

(٤) صحيح: رواه الدارقطنى (٧٧/٣)، ولحاكم (٦٦/٢)، رقم (٢٣٤٥) وقال: صحيح الإسناد على شرط =

والوصية الجائرة باطلة مردودة لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١). ولحديث عمران بن حصين: «أن رجلاً أعتق عند موته ستة رجله^(٢) فجاء ورثته من الأعراب، فأخبروا رسول الله ﷺ بما صنع، قال: «أو فعل ذلك؟!»، قال: «لو علمنا إن شاء الله ما صلبنا عليه»، قال: «فأقرع بينهم فاعتق منهم اثنين، ورد أربعة في الرق»^(٣).

أمور ينبغي التنبيه عليها

أن يوصى أهله بعدم التسخط على قضاء الله وقدره بكل أنواعه، كالنياحة ولطم الخدود، وشق الجيوب، وحشو التراب على الرأس لقول النبي ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية»^(٤)، وقال: «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت»^(٥)، وكما فعل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لما مرض ورأسه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال أنا برىء ممن برىء منه رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة»^(٦)، وكذلك يوصى بعدم إقامة السراقات والمجىء بالمقرئين، أو الذكرى السنوية أو الذهاب كل خميس لأن ذلك لم يثبت عن النبي ﷺ وخير الهدى هدى محمد ﷺ.



=مسلم. والبيهقي (٦/٦٩، رقم ١١١٦٦)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٩٧) كتاب الصلح، ومسلم (١٧١٨) كتاب الأقضية من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رجلة: جمع رجل.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٩٥٠٧)، ومسلم (١٦٦٨) كتاب الأيمان بنحوه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٩٤) كتاب الجنائز، ومسلم (١٠٣) كتاب الإيمان من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٦٧) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٠٤) كتاب الإيمان من حديث أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

نموذج للوصية

بسم الله.....

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الطاهر الأمين وعلى آله وأصحابه الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ويعد:

فهذا ما أوصى به فأنا العبد الفقير إلى ربه الراجي عفوه المنتظر مغفرته ورحمته/..... وأنا في حالة معتبرة شرعاً؛ من كمال عقلي، وسلامة إدراكي:

أوصى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين، وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأشهد أن الموت حق، وأن الجنة حق، والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

أوصى أسرتي - وأخص أهل بيتي من أولاد وبنات وزوجة - وأقاربي بتقوى الله، وطاعته، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه والتمسك بالعقيدة الصحيحة على الكتاب والسنة والحذر من الشرك وذلك بتقوى الله في السر والعلن، والسير على طاعة الله، باقتفاء أثر رسول الله ﷺ والصبر والتسليم بالقضاء والقدر، واجتناب البدع ما ظهر منها وما بطن.

وأبرأ إلى الله مما يخالف السنة من تسخط على قضاء الله وقدره بكل أنواعه، كالنياحة ولطم الخدود، وشق الجيوب، وحشو التراب على الرأس، والاجتماع للعزاء بأي نوع كان؛ لأن هذا ليس من سنة محمد ﷺ ولا من سنة أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

وأن يبادرُوا بِقضاء ما على من دُيُون - إن وُجِدَتْ - : ففلان ابن فلان ابن فلان له

دين مقداره.....

وفلان له كذا وكذا.....

وفلان له أمانة عندي مقدارها.....

وفلان وعدته بتزويج ابنتي فلانة.....

وأوصى بأن القائم على ذرّتي من بعدى هو..... وأنّ له عليهم
الولاية التامة، حتى يرشدوا ويحسنوا القيام على أنفسهم، وأوصيه بأن ينظر لهم فيما
يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم، وأن يتقى الله في ذلك سرّاً وجهراً.

وأوصى بأن يكون ربع مالى في أعمال البرّ - كالمساعدة في بناء المساجد
وتكليفها وفرشها وتنويرها ووضع الماء فيها وعمل مكتبة للمصاحف والكتب
الدينية، وتوزيع المصاحف والتفاسير على المساجد ودور التحفيظ، والتبرع للأيتام
والأرامل شهريّاً، والصّدقة في رمضان وتفطير الصائمين والمساعدة في طباعة كتب
العلم النافعة للإسلام والمسلمين ومساعدة من يجاهد لإعلاء كلمة الله، وكذا
يصرف من هذا الربع حسب ما يراه الناظر، وما ينتج من استثمار يوزّع منه في الأعمال
الخيرية وجهات البرّ المتعدّدة، على نظر الوكيل.

وأوصى أن يحضرني حين احتضاري وموتى بعض العلماء والصّالحين؛
ليذكروني بحسن الظنّ برّبى، ورجاء رحمته ومغفرته وأن يلقنوني كلمة التوحيد - لا
إله إلا الله -، وإذا فاضت روحى فليغمضوا بصرى، ويدعوا لى بخير، ويعجلوا فى
تجهيزى ودفنى حسبما صحّ عن النبى ﷺ.

أوصى بذلك وأشهد على ذلك، كما أشهد عليه، وكفى بالله شهيداً.

وصلى الله على محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموصى	الموصى	الموصى	الموصى
(الاسم)	(الاسم)	(الاسم)	(الاسم)
(التوقيع)	(التوقيع)	(التوقيع)	(التوقيع)

وصية النبي ﷺ

انظروا إليه عليه الصلاة والسلام وهو في مرض موته يعلم أمته الدروس الوجيزة النفيدة، وخلاصة تلك الحياة العامرة في الدعوة لدين الله تبارك وتعالى، شهد الحبيب ﷺ جنازة في البقيع، فلما رجع وهو في الطريق، أخذه صداع في رأسه واتقدت حرارة، حتى إنهم كانوا يجدون سورتها فوق العصابة التي تعصب بها رأسه، فدخل على عائشة فقالت: وارأساه! فقال ﷺ: «بل أنا وارأساه»^(١)، واتقدت حرارة العلة في رأسه ﷺ، فاشتد به الوجع وأغمى عليه، فقال: «هريقوا على سبع قِرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم»، فأقعدوه في مِخْصَبٍ، وصبوا عليه الماء حتى طفق يقول: «حسبكم، حسبكم»^(٢)، ومر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم ييكون فقال: ما يبيكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا فدخل أحدهما على النبي ﷺ فأخبره بذلك فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم. فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى»^(٣) وعييتي^(٤) وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم»^(٥)، وفي رواية أنه قال: «إن الناس يكثرُونَ، وتَقِلُّ الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن سيئهم»^(٦).

ثم قال: «إن عبداً خيرهُ الله بين أن يؤتیه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختر ما عنده». قال أبو سعيد الخدري: فبكى أبو بكر. وقال فدينك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٢١٧) كتاب الأحكام من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه أبو يعلى في مسنده (٥٦/٨)، وصححه العلامة الألباني في فقه السيرة (١/٤٦٢).

(٣) كرشى: أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته.

(٤) عييتي: جماعتي وصحابتي الذين أطلعهم على سرى وأثق بهم وأعتمد عليهم.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٩٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥١٠) كتاب فضائل الصحابة من حديث

أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٣٨٠٠) كتاب المناقب من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول: فدينك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن من أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لا اتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر»^(١)، وأوصى بالصلاة فقال: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»^(٢).

* وعند العشاء زاد ثقل المرض، بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد. قالت عائشة: فقال النبي ﷺ: «أصلي الناس؟». قلنا: لا هم ينتظرونك قال: «ضعوا لي ماء في المخضب»^(٣). قالت ففعلنا فاغتسل فذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال ﷺ: «أصلي الناس؟». قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال: «ضعوا لي ماء في المخضب». قالت فقعد فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال «أصلي الناس». قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال «ضعوا لي ماء في المخضب». فقعد فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال: «أصلي الناس؟». قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي عليه السلام لصلاة العشاء الآخرة فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمر أن تصلي بالناس فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً -: يا عمر صل بالناس فقال له عمر أنت أحق بذلك فصلي أبو بكر تلك الأيام ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأوماً إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر قال «أجلساني إلى جنبه». فأجلساه إلى جنب أبي بكر قال فجعل أبو بكر يصلي وهو يأتهم بصلاة النبي ﷺ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (١٦٢٥) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني في الإرواء (٢٣٨/٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) المخضب: الإناء الذي يغسل فيه صغيراً كان أو كبيراً.

وخُتِمْ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ وَالنَّبِيِّ ﷺ قَاعِدٌ^(١).

• وراجعت عائشة النبي ﷺ ثلاث أو أربع مرات؛ ليصرف الإمامة عن أبي بكر حتى لا يتشاءم به الناس، فأبى وقال: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس»^(٢).

وقال ﷺ قبل موته بثلاث: «ألا لا يموت أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله»^(٣).
• وأعتق النبي ﷺ غلمانَه، وتصدق بستة أو سبعة دنانير كانت عنده، ووهب لمسلمين أسلحته، وفي الليل أرسلت عائشة بمصباحها امرأة من النساء وقالت: تخطف لنا في مصباحنا من عُكَّتِكَ السمن، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي ثلاثين صاعًا من الشعير.

• وقال أنس: إن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين - وأبو بكر يصلي بهم - لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك - يا لقلبي ويا لشعري ما لهذا التبسم، وما لهذا التعجب! إنه - إن شاء الله - تبسم لأنه رأى الصفوف منتظمة، ورأى الدعوة حية، ورأى الرسالة منتصرة، ورأى لا إله إلا الله مرتفعة، ورأى أبا بكر يصلي بالناس، ورأى دعوة التوحيد قد ضربت بجرانها في الجزيرة، فحق له أن يتبسم -، فنكص أبو بكر على عقبيه؛ ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة. فقال أنس: وهَمَّ المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم، فَرَحًا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، ثم لم يأت على رسول الله ﷺ وقت صلاة أخرى.

• ولما ارتفع الضحى، دعا النبي ﷺ فاطمة فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها، فسارَّها بشيء فضحكت، قالت عائشة: فسألنا عن ذلك - أي فيما بعد - فقالت: سارنى النبي ﷺ أنه يقبض في وجهه الذى توفى فيه، فبكيته، ثم سارنى فأخبرنى أنى

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٧) كتاب الأذان، ومسلم (٨٣٤) كتاب الإمامة من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٨) كتاب الصلاة من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

أول أهله يتبعه فضحكت، وبشر النبي ﷺ فاطمة بأنها سيدة نساء هذه الأمة^(١)، ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذي يتغشاه، فقالت: وا كرب أبتاه . فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»^(٢)، ودعا الحسن والحسين فقبلهما، وأوصى بهما خيرًا، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن، وطفق الوجع يشتد ويزيد، وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخير حتى كان يقول: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري»^(٣) من ذلك السم^(٤)، وقد طرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك - وكان هذا آخر ما تكلم وأوصى به الناس - : «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحذر ما صنعوا»^(٥)، وقال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يقين دينان بأرض العرب»^(٦).

✽ انظر إلى حرصه عليه الصلاة والسلام من خلال تلك الوصايا الغالية التي أسداها لأصحابه الكرام وللأمة من بعدهم وأيضًا سماحته، وإرساء دعائم العقيدة الإسلامية الصحيحة وهو يودع أمته عليه الصلاة والسلام، وأوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، ووصى بالاعتصام بالكتاب والسنة، وإنفاذ جيش أسامة، كرر ذلك مرارًا، فما أروعها من وصايا وما أبعد المسلمين عنها في أيامنا هذه.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٨٥) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) الأثير: عرق في الصلب أو في الذراع أو يباطن القلب تشعب منه سائر الشرايين إذا انقطع مات صاحبه.

(٤) صحيح: رواه البخارى (١٦١١/٤)، رقم ٤١٦٥، وأبو داود (٤٥١٢) كتاب الديات عن عائشة وأبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٦) صحيح: رواه البيهقي (٢٠٨/٩)، رقم ١٨٥٢٩، بنحوه، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٦١٧) من حديث أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

موت الحبيب

وبدا الاحتضار فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول: إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته رضى الله عنها وأرضاها! - ودخل عبد الرحمن بن أبى بكر - وبيده السواك، ونا مسنده رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه نث؟ فأشار برأسه أن نعم. فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أليته لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فليته، فأمره وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق لأعلى حتى قبض ومالت يده»^(١). وفي رواية: «أنه استن به كأحسن ما كان مستنًا»^(٢).

* ليلقى الله طيبًا، فإن حياته طيبة، ووفاته طيبة ﷺ ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٣)
رَجَعِيَ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مُرْتَبَةً ﴿١٨﴾ فَأَدْخِلْنِي فِي عِندِي ﴿١٩﴾ وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي ﴿[الفجر: ٢٧-٣٠]

قال أنس: ظننا أن القيامة قامت يوم توفي رسول الله ﷺ أى مصيبة أكبر من مصيبة وفاته على الأمة؟! أى حدث وقع في تاريخ الإنسان يوم توفي خير إنسان وأفضل إنسان عليه الصلاة والسلام؟! ولكن نقول الآن وبعد الآن ويوم نلقى الرحمن: إنا لله وإنا إليه راجعون! ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿[البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

* وتسرب النبا الفادح، وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها، وبقي جثمانه الشريف في غرفة عائشة رضها وأرضاها، ولكن ما هو حال الصحابة وقف الصحابة في موقف لا يعلمه إلا الله، وفي دهشة لا يعلمها إلا الحى القيوم، كلهم يكذب الخبر، ولا يصدق إلا من أتاه اليقين.. وقفوا حول مسجده ﷺ، وأغلق بابيه الشريف على جثمانه، وبقيت عائشة رضها وأرضاها تبكى مع النساء، أما السكك فقد امتلأت بالبكاء والعويل والنحيب، وأما عمر رضها وأرضاها فوقف عند المنبر يسل

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٤٤٩) كتاب المغازى من حديث أم المؤمنين عائشة رضها.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٤٥١) كتاب المغازى من حديث أم المؤمنين عائشة رضها.



سيف الإخلاص والصدق الذي نصر به دين الله، ويقول: يا أيها الناس: من كان يظن أن رسول الله قد مات، ضربت عنقه بهذا السيف.

قال أنس: ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ.

ولما مات قالت فاطمة: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه. يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه^(١).

* قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله ﷺ وأبو بكر بالسنح - يعني بالعالية فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله ﷺ وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ وقبله قال بأبي أنت طبت حياً وميتاً والذي نفسى بيده لا يذيقنك الله الموتين أبداً ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فكان الناس سمعوها لأول مرة، وكأنها ما مرت على أذهانهم، ثم عاد رضى الله عنه وأرضاه فله دره ما أثبتته، فليكن قدوة لكل من أصابته مصيبة أيا كانت.

* ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله ﷺ من غير أن يجردوه من ثيابه، قال على رضي الله عنه: اختلفنا في كيفية تغسيل رسول الله ﷺ، فألقى علينا النعاس، ونحن بالماء حوله ﷺ، حتى نمنا وإن لحية أحدنا إلى صدره، فسمعنا هاتفاً يقول: «اغسلوا رسول الله ﷺ من فوق ثيابه»^(٢)، فغسلوه من فوق ثيابه، طيباً مباركاً مهدياً، عليه السلام يوم ولد، وعليه السلام يوم بعث، وعليه السلام يوم مات، وعليه السلام يوم يبعث حياً، وكان

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦٢) كتاب المغازي من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٣١٤١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألباني في صحيح أبي داود من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

نقاتمون بالغسل العباس وعليًا، والفضل وقثم ابني العباس، وشُقْران مولى رسول الله ﷺ وأسامة بن زيد، وأوس بن خُولى، فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشُقْران يصبان الماء، وعليٌّ يغسله، وأوس أسنده إلى صدره، وقد غسل ثلاث غسلات بماء وسِدر، وغسل من بثر يقال لها: الغَرَس لسعد بن خَيْثَمَةَ بَقْبَاءَ وكان يشرب منها، ثم كفّوه في ثلاثة أثواب يمانية بيض سَحُولِيَّةٍ من كُرْسُف، ليس فيها قميص ولا عمامة. أدرجوه فيها إدراجًا، واختلفوا في موضع دفنه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض الله تعالى نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه»^(١)، فرفع أبو طلحة فراشه الذي توفي عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحدًا، ودخل الناس الحجرة أرسالًا، عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ﷺ أفذاذًا، لا يؤمهم أحد، وصلى عليه أولًا أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم النساء ثم الصبيان.

وصية أبي بكر

لما مرض ﷺ قال له الناس ألا ندعو الطبيب؟ فقال: أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وأن يكفن في ثوبيه ويشتري معهما ثوب ثالث. وقال: الحى أحوج إلى الجديد من الميت إنما هو للمهلة والصديد، وعقد أبو بكر في مرضه الذى توفي فيه لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده بعد أن شاور بعض الصحابة ﷺ جميعًا دعا أبو بكر عثمان خاليًا. فقال له اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين. أما بعد: ثم أغمى عليه فذهب عنه. فكتب عثمان: أما بعد فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيرا ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ على فقرا عليه فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي. قال: نعم. قال: جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله وأقرها أبو بكر ﷺ، ثم أرسل إلى عمر وقال

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٠١٨) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٤٩) من حديث أبى بكر الصديق ﷺ.



له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ وأوصاه بتقوى الله ثم قال: يا عمر إن الله حقًا بالليل ولا يقبله بالنهار وحقًا بالنهار ولا يقبله بالليل وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة. ألم ترى يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا. ألم ترى يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم. وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا. ألم ترى يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء. ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه. ألم ترى يا عمر إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم. فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون منهم وإنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيئ فإذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم فإذا حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه.

وصية عمر

لما طعن عمر رضي الله عنه أتى بلبن فشرب منه، فخرج اللبن من طعته فقال الله أكبر وعلم أنه يموت فجعل جلساؤه يثنون عليه خيرا فقال: وددت أن أخرج من الدنيا كفافا كما دخلت لا على ولا لي، والله لو كان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلاع ولما احتضر غشى عليه ورأسه في الأرض فوضع ابنه عبد الله رأسه في حجره فلما أفاق قال له: ضع رأسى على الأرض كما أمرتك، فقال له ابنه: يا أبت وهل الأرض وحجرى إلا سواء؟ قال ضع رأسى على الأرض كما أمرتك فوضعه، قال: فمسح خديه بالتراب ثم قال: ويل لعمر ويل لعمر ويل لأم عمر إن لم يغفر الله لعمر فإذا قضيت فأسرعوا بى إلى حفرتى فإنما هو خير تقدموننى إليه أو شر تضعونه عن رقابكم، ثم قال: يا عبد الله بن عمر، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: عمر يقرأ عليك السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإننى لست اليوم للمؤمنين أميرا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن عند صاحبيه. فمضى وسلم واستأذن عليها، ثم دخل فوجدها قاعدة تبكى، فقال: عمر يقرأ عليك السلام، ويستأذن أن يدفن عند

صحيه، فقالت : كنت أريده لنفسى، ولأوثرنه اليوم على نفسى . فلما أقبل، قيل : هذا
عده الله بن عمر قد جاء، قال : ارفعونى، فأسنده رجل إليه، فقال : ما وراءك ؟ قال :
أتمنى تحب يا أمير المؤمنين، قد أذنت . قال : الحمد لله، ما كان شىء أحب إلى من
تنت، فإذا أنا مت فاحملونى، ثم سلم، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى،
قد دخلونى، وإن ردتنى، فردونى إلى مقابر المسلمين، وجعل عمر رضي الله عنه الأمر شورى
بين ستة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ : على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وعبد
الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص.



علامات حسن الخاتمة

الصدق مع الله عز وجل: والصدق مع الله يبدأ بصدق النية في جميع الأعمال، فإذا ذهبت إلى فلان لأزوره، هل أزوره لوجه الله أو لأنه يعرف فلاناً صاحب المنصب الرفيع الذي لك عنده مصلحة، ومن ذلك أيضاً تجديد التوبة من حين لآخر، والمصارعة إلى الخيرات:

قال العلامة الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز^(١): «٥».

الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت:

قال ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

الثانية: الموت برشح الجبين:

عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: أنه كان بخراسان، فعاد أخاه وهو مريض، فوجده بالموت، وإذا هو يعرق جبينه؛ فقال: الله أكبر؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «موت المؤمن بِعَرَقِ الْجَبِينِ»^(٣).

الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها:

قال الرسول ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةً الْقَبْرِ»^(٤).

الرابعة: الشهادة في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٥)

(١) أحكام الجنائز (١/٣٤).

(٢) وقد تم ضبط مادة الكتاب من مصادر مختلفة كـ «التفسير الميسر، والتذكرة، وأحكام الجنائز، والمختصر الصحيح عن الموت، ورحلة إلى الدار الآخرة».

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣١١٦) كتاب الجنائز، وأحمد (٢١٥٢٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٩) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٩٨٢) كتاب الجنائز، والنسائي (١٨٢٩) كتاب الجنائز، وابن ماجه (١٤٥٢) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٦٦٥) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٥) حسن: رواه الترمذي (١٠٧٤) كتاب الجنائز، وأحمد (٦٥٤٦)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

فَإِنْ يَمَاتُ عَنْهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَثَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾

[آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

وقال النبي ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال؛ يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه»^(١).

(تنبيه): ترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه ولو لم يتيسر له لاستشهاد في المعركة، بدليل قوله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل شهداء وإن مات على فراشه»^(٢).

الخامسة: أن يموت على طاعة من الطاعات كمن يموت في الصلاة، أو الحج، أو وهو صائم، ومنهم من يموت وهو يقرأ القرآن: فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(٣) وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله». قيل: كيف؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»^(٤).

وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»^(٥).

(١) صحيح: رواه الترمذی (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد، وابن ماجه (٢٧٩٩) كتاب الجهاد، وأحمد (١٦٧٣٠)، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٥) من حديث المقدم بن معدى كرب رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمامة من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه الترمذی (٢١٤٢) كتاب القدر، وأحمد (١١٦٢٥)، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٣٠٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٢٨١٣)، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٥) من =



السادسة: الموت بالطاعون، والموت غرقاً، والموت بداء البطن، والموت في الهدم، والموت حرقاً، وموت المرأة في ولادتها، والموت بذات الجنب - وهو ورم في الغشاء المستبطن للأضلاع - : عن جابر رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: «الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُنع شهيدة»^(١).

وعن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون؟ فأخبرها نبي الله ﷺ: «أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد»^(٢).

السابعة: الموت بداء البطن، قال ﷺ: «...ومن مات في البطن فهو شهيد»^(٣).
عن عبد الله بن يسار قال: كنت جالساً وسليمان بن صرد، وخالد بن عرفطة فذكروا رجلاً توفي بداء البطن، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره»^(٤).

الثامنة: موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها، لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ عاد عبد الله بن رواحة قال: فما تحوز له عن فراشه، فقال: «أتدري من شهداء أمتي؟» قالوا: قتل المسلم شهادة، قال: «إن شهداء أمتي إذاً لقليل! قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة، يجرها ولدها بسرره إلى

= حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣١١١) كتاب الجنائز، والنسائي (١٨٤٦) كتاب الجنائز، ومالك (٥٥٢) كتاب الجنائز من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٧٣٤) كتاب الطب من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥) كتاب الإمامة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه النسائي (٢٠٥٢) كتاب الجنائز، والترمذي (١٠٦٤) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترمذي. = حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه.

لجنة^(١).

التاسعة والعاشر: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس لقول النبي ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد»^(٢)، وقال: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني، قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتله؟ قال: «هو في النار»^(٤).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال: «فذكره بالله»، قال: فإن لم يذكر؟ قال: «فاستعن عليه ومن حولك من المسلمين» قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين، قال: «فاستعن عليه بالسلطان»، قال: فإن نأى السلطان عني؟ قال: «قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك»^(٥).

الحادية عشر: الموت مرابطاً في سبيل الله: قال ﷺ: «رابط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان»^(٦).

وقال ﷺ: «كل ميت يجتم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر»^(٧).

(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٥٦٨)، وصححه العلامة الألباني في أحكام الجنائز (٣٨/١) من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٧٢) كتاب السنة، والترمذي (١٤٢١) كتاب الديات، والنسائي (٤٠٩٥) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤١١) من حديث سعيد ابن زيد رضي الله عنه.

(٣) صحيح لغيره: رواه النسائي (٤٠٩٦) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤١٣) من حديث سويد بن مقرن رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٠) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) حسن صحيح: رواه النسائي (٤٠٨١) كتاب تحريم الدم، وأحمد (٢٢٠٠٧)، وصححه العلامة الألباني في أحكام الجنائز (٤١/١) من حديث مخارق بن سليم ط.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٧) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٠٠) كتاب الجنائز، ولة مذي (١٦٢١) كتاب فضائل الجهاد، وصححه =

الثانية عشر: من قتله الإمام الجائر - لأنه نصحه - قال النبي ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»^(١).

الثالثة عشر: الشاء بالخير على الميت من المسلمين: عن أنس رضي الله عنه قال: مرّ بجنائزة فأثنى عليها خيراً؛ فقال النبي ﷺ: «وجبت وجبت وجبت»، ومرّ بجنائزة فأثنى عليها شراً؛ فقال نبي الله ﷺ: «وجبت وجبت وجبت». قال عمر رضي الله عنه: فدى لك أبي وأمي؛ مرّ بجنائزة فأثنى عليها خيراً فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومرّ بجنائزة فأثنى عليها شراً فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال الرسول ﷺ: «مَنْ أثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»^(٢).

وقال الرسول ﷺ: «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة». قلنا: وثلاثة؟ قال: «وثلاثة». قلنا: واثنان؟ قال: «واثنان»، ثم لم نسأله في الواحد^(٣).

وقال ﷺ: «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنى أنهم لا يعلمون منه إلا خيراً، إلا قال الله تبارك وتعالى: قد قبلت قولكم، أو قال: شهداكم، وغفرت له ما لا تعلمون»^(٤).

الرابعة عشر: علامات ترى على الميت أثناء تغسيله؛ مثل: إشارة إصبع السبابة بـ (لا إله إلا الله)، والوضوء والإشراقة والفرحة والابتسامة التي على وجه الميت؛ لأنه قد بشر برضا الله والجنة وتسليم الملائكة عليه؛ فتجد بعض الأموات مبتسمين ابتسامة لا تفارق وجهه حتى يكفن. ولعل من العلامات سهولة تغسيله وليونة ورقة جسده والله أعلم.

* * *

= العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٢١٨) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(١) حسن: رواه الحاكم (٣/ ٢١٥، رقم ٤٨٨٤) وقال: صحيح الإسناد، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٦٧٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٧) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٤٩) كتاب الجنائز من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٣٦٨) كتاب الجنائز من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) حسن لغيره: رواه أحمد (٣/ ٢٤٢، رقم ١٣٥٦٥)، وقال الميثمي (٤/ ٣): رجاله رجال الصحيح، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥١٥).

علامات سوء الخاتمة

الحديث بلا شك عن سوء الخاتمة مقبض للنفس فإن للإنسان في نهاية حياته إما حسن خاتمة أو سوء خاتمة، فحسن الخاتمة تؤدي إلى الجنة وسوء الخاتمة تؤدي إلى النار، ومنها: أن يموت على شرك، أو ترك للصلاة، أو على معصية من المعاصي مثل نرنا أو الخمر أو سماع الأغاني أو غيرها من المعاصي: كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَخْتَمُ عَمَلُهُ بِعَمَلٍ أَهْلُ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلٍ أَهْلُ النَّارِ ثُمَّ يَخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يَا مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِإِجْتِثِكَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يَقْلِبُهَا كَمَا يَشَاءُ»^(٣). وأسباب كثيرة وسنكتفي بذكر أهم تلك الأسباب:

الأول: الشك والجحود والتعبد بالبدع: ومعناها: أن يعتقد في ذات الله - تعالى - أو صفاته أو أفعاله خلاف الحق، إما تقليدًا، أو برأيه الفاسد، فإذا انكشف الغطاء عند الموت بان له بطلان ما اعتقده فظن أن جميع ما اعتقده لا أصل له.

الثاني: تسويف التوبة: أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: إن من أهم أسباب سوء الخاتمة تسويف التوبة فلا يزال العبد غارقًا في الشهوات والشبهات وهو يؤجل التوبة يومًا بعد يوم حتى يأتيه ملك الموت فجأة فيصرخ هذا العبد ويندم على عمره الذي مضى في معصية الله ويقول: ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(٤) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿[المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٤٢/٤) رقم: (٢٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٤٤٨/٤) رقم: (٢١٤٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٧).



فيا لها من حسرة تجعل القلوب تبكى الدماء بدل الدموع.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّبُوا لِي رَيْبَكُمْ وَأَسْلِمُوا لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَأً إِلَيْنِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٥٤-٦٠].

وصدق من قال:

وَنَقَالَ عَشْرَاتُ الْفَنَى فِيمَوْدُ	الْعَمْرُ يَنْقُصُ وَالذَّنُوبُ تَزِيدُ
رَجُلٌ جَوَارِحُهُ عَلَيْهِ شُهُودُ	هَلْ يَسْتَطِيعُ جُحُودُ ذَنْبٍ وَاحِدٍ
تَقْلِيلُهَا وَعَنِ الْمَمَاتِ يَحْبِدُ	وَالْمَرْءُ يَسْأَلُ عَنْ سَنِيهِ فَيَسْتَهْيِ

فأقبل على الله يا أخى ولا تيأس من رحمة الله فرحمته وسعت كل شيء... وذنبك مهما عظم فهو شيء وسوف تسعه رحمة الله - جل وعلا -... وإياك وتسويف التوبة لكى لا تندم حين لا ينفع الندم فكم من أناسٍ هلكوا بسبب (سوف) إلى أن جاءهم ملك الموت وهم غارقون في الذنوب والمعاصي.

قال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا مِنْ مَّارَرْتَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

قال ابن كثير: «كل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً، ليستعقب ويستدرك ما فات، وهيئات، كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه».

قال الحسن البصرى - رحمه الله -: «هيئات هيئات، أهلك الناس الأمانى، قول بلا عمل، ومعرفة بغير صبر، وإيمان بلا يقين».

البدار البدار قبل الفوات، الحذار الحذار من يوم الغفلات، قبل أن يقول

نَسْنَبُ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] فيقال: فات.

كَلَسَا فِي غَفْلَةٍ وَالْمَوْتُ يَفْعِدُو وَيَرْجُو
نَحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تَسُوحُ
الثالث: عدم الاستقامة على الطاعة:

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

فأهل الاستقامة على الطاعة هم الذين يثبتهم الله - جل وعلا - في الدنيا والآخرة
وهم الذين تنزل عليهم الملائكة عند الموت لتبشرهم بالجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا سَتَزَلُّ عَلَيْهِمُ أَمْلٌ كَافٍ فِي الْآخِرَةِ
وَلَا يَحْزَنُونَ وَأَنبَشِرُوا بِإِجْنَةِ اللَّهِ كُتِبَ لَهُم مَّا عَدَوْتُمْ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزَلُّوا مِنْ عَذَابٍ رَّجِيمٍ﴾
[فصلت: ٣٠-٣٢]

أما الذين تتقاذفهم أمواج الفتنة والشهوات فهؤلاء الذين تُختم لهم بسوء
الخاتمة.

قبل لأحد علماء سلفنا: فلان عرف طريق الله ثم رجع عنه، فقال: «لو وصلوا إليه
ما رجعوا».

فمن عرف طريق الملك - جل وعلا - ثم أعرض عنه وتنبه، واختار طرق
الغواية والضلال، وآثر الغي على الرشاد، والضلالة على الهدى، والفجور على التقى،
كان ذلك من أعظم أسباب سوء الخاتمة.

الرابع: طول الأمل:

إن صاحب الأمل الطويل في الدنيا يركن غالباً إلى الشهوات والملذات، ولذلك
نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله وكلام رسول الله ﷺ. ومن أجل ذلك حذر النبي ﷺ
من طول الأمل، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا
كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح،



وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك^(١).
ولقد قال تعالى عن هذا الصنف: ﴿ذَرَهُمْ يَافِكُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

قال الإمام القرطبي: وطول الأمل داء عُضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويش من بُرئه الحكماء والعلماء.

وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإعراض عن الآخرة.. ولذا قال رسول الله ﷺ: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل»^(٢).

وقال الحسن: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل، وصدق ﷺ! فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني، ويعقب التشاغل والتعاس، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى. وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يُطْلَب صاحبه ببرهان؛ كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويُحيل على المبادرة، ويحث على المسابقة.

وقال علي بن أبي طالب: إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة.

وجاء في الأثر: أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا.

ومن أسباب طول الأمل:

الجهل: فيظن الشاب أن الموت بعيد عنه لأنه مازال في ريعان شبابه وصحته وعافيته.. وما علم هذا الشاب أن الموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً.

قال تعالى: ﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَذْكُرْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٦) كتاب الرقاق من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) حسن: رواه أحمد في الزهد (ص ١٠)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٣٣٢)، رقم ٧٦٥٠، وحسنه العلامة

الألباني في صحيح الجامع (٣٨٤٥).

وصدق من قال:

تزود من الدنيا فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى يمسى ويصبح لاهيا وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صغار يُرنجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

الخامس: حب الدنيا: أما حب الدنيا فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلاقتها، ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذى هو سبب مصرتها، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأمانى الباطلة، بمعنى نفسه أبداً بما يوافق مراده من البقاء في الدنيا، ومحبة الدنيا أشد الناس عذاباً. وهو معذب في دوره الثلاثة يعذب في الدنيا بتحصيلها والسعى فيها ومنازعة أهلها، وفي دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبداً، ويعذب يوم لقاء ربه... قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

[التوبة: ٥٥].

قال القرطبي: ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهمُّ بها، وسبب من أسبابها، حتى لقد حكى لنا أن بعض السماسرة جاءه الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف... غلبت عليه «حب» السمسرة.

ولقد رأيت بعض الحُساب وهو في غاية المرض، يعقد بأصابعه ويحسب... وقيل لآخر قل: لا إله إلا الله فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والجنان الفلانية اعملوا فيها كذا.

وأخبرني بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده وجعلوا يلقنوه «لا إله إلا الله» وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا مشتري جيدٌ هذا كذا حتى قضى!

وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبراً؟ والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم.

وقال لقمان لابنه: يا بني بع دنياءك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياءك تخسرهما جميعاً.. وقال مطرف بن الشخير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر. فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.

السادس: صحبة الأشرار:

قال عليه السلام: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال»^(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت مع من أحبيت»^(٢)، فالصاحب صاحب. إما أن يأخذ بيدك إلى مرضاة الله وإما أن يأخذ بيدك إلى معصية الله (جل وعلا) وكم من أناس عاشوا على طاعة الله فلما اختلطوا بالعصاة والأشرار فإذا بهم ينتكسون على أعقابهم وينغمسون في الذنوب والمعاصي ويموتون على ذلك.. بل ومنهم من يموت على الكفر بعد الإيمان.. ومنهم من يحال بينه وبين الإيمان بسبب مصاحبة الأشرار.

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: «لَمَّا حَضَرْتُ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أُمَيَّةَ بن المُغيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا عَمُّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أُمَيَّةَ: يا أبا طالبٍ أترغبُ عن مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويُعيدُ له تلك المقالة، حتى قال أبو طالبٍ آخر ما كلمهم: هو على مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وأبى أن يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَا وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذي (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أنس رضي الله عنه.

عَقَرُوا أَوَّلَ قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿التوبة: ١١٣﴾ ، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ^(١) [المصم: ٥٦].

السابع: مخالفة الباطن للظاهر:

فقد يكون العبد ممن يُظهر الصلاح للناس فإذا خلا بنفسه أطلق العنان لشهواته وملذاته وحارب الله بالذنوب والمعاصي.

قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرَوْنَ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٠٨].

قال أبو محمد عبد الحق: اعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن سقام ظاهره وصلح باطنه، وما سُمع بهذا، ولا علم به - والحمد لله - وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم. فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله ثم العياذ بالله، أو يكون ممن كان مستقيماً، ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سنته، ... ويأخذ في طريقه، فيكون ذلك سبباً لسوء ختمته وشؤم عاقبته، ﴿كَمْ لِيَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦].

الثامن: تعلق القلب بغير الله: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فحياة القلب في تعلقه بالله - عز وجل - وشقاء القلب في إغراض صاحبه عن الله (جل وعلا) فمن تعلق قلبه بغير الله فهذا يذان بسوء الخاتمة.

التاسع: سوء الظن بالله: قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فِشْرًا» ^(٢)، وقال ﷺ: «لَا يَمُوتُن أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ» ^(٣).

^(١) مضاف عليه: رواه البخاري (١٣٦٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان من حديث المسيب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

^(٢) صحيح: رواه الطبراني (٨٩/٢٢)، رقم (٢١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٦/٩)، وابن عساکر (١١٤/٦٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٥) من حديث وثالة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



فمن أساء الظن بالله واعتقد أن الله لن يرزقه حُسن الخاتمة فإن الله لن يرزقه حُسن الخاتمة لأن سوء ظنه بالله (جل وعلا) هو الذى جعله من الخاسرين.

العاشر: الإصرار على الذنوب والمعاصي:

قال ابن القيم - رحمه الله -: ومن عقوباتها - أى: الذنوب والمعاصي - أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه، فإن كل أحد يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعهاده إلى أن قال: هذا وثَمَّ أمرٌ أخوف من ذلك وأدهى منه وأمر، وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار، والانتقال إلى الله، فربما تعذَّر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثيرًا من المحتضرين أصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم: قل: لا إله إلا الله... فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها.

الحادى عشر: نسيان الآخرة وعدم ذكر الموت: إن الذى ينسى الموت ولا يذكره يُعاقَب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة، فمن لم يذكر الموت لن يستعد له أبدًا ولذلك تجده غافلًا عن طاعة الله؛ لأن الموت لا يخطر له على بال... أما الذى يذكر الموت فإنه يسارع إلى طاعة الله - عز وجل - وكأنه يموت بعد ساعة فلا تكاد تمر لحظة من حياته إلا وهو ذاكرٌ لله، دخل الحسن البصرى على مريض يعود فوجده في سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فو الله لقد رأيت مصرعًا لا أزل أعمل له حتى ألقاه.

أخى الحبيب: إن من جعل الموت تُصب عينيه بادر بالأعمال الصالحة حتى إذا وافته المنية مات على طاعة الله.

الثانى عشر الظلم: فإن الظالم إن لم يتحلل من تلك المظالم - بأن يرد إلى كل واحد مظلمته - فإن الله لا يوفقه أبدًا إلى حُسن الخاتمة بل هو أقرب ما يكون لسوء الخاتمة لأن دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافرًا فلو أن مسلمًا ظلم أى إنسان فقام ودعا عليه بأن يُختم له بسوء الخاتمة لاستجاب الله دعاءه قال ﷺ: «من كانت له مظلمة

ذبحه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته. وإن لم تكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(١)، وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمل على الغمام يقول الله: يعزني وجلالي لأنصرك ولو بعد حين»^(٢)، وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كعُقرًا، فإنه ليس دونها حجاب»^(٣)، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي^(٤) للظالم فإذا خفاه لم يفته»^(٥) ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]

وقال ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة» فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: «وإن قضيبًا من أراك»^(٦).
وقال ﷺ: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: هم المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»^(٧).

* * *

-
- ١ صحیح: رواه البخاری (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
٢ صحیح: رواه الطبرانی (٨٤ / ٤) رقم (٣٧١٨) قال المنذرى (١٣٠ / ٣): لا بأس بإسناده في المتابعات، وصححه العلامة الألبانی في صحيح الجامع (١١٧) من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه.
٣ حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠)، وحسنه العلامة الألبانی في صحيح الجامع (١١٩) من حديث أنس رضي الله عنه.
٤ يمل: يمهّل.
٥ متفق عليه: رواه البخاری (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
٦ صحیح: رواه مسلم (١٣٧) كتاب الإيمان من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.
٧ صحیح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القبر أول منازل الآخرة

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال خرجنا في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد قال فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به قال فرفع رأسه وقال: «استعينوا بالله من عذاب القبر فإن الرجل المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن على وجوههم الشمس معهم حنوط من حنوط الجنة وكفن من كفن الجنة حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج نفسه فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ثم يخرج منها كأطيب نفحة ريح مسك وجدت على ظهر الأرض فلا يمرون بملا من الملائكة إلا قالوا ما هذه الريح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدی فی عِلِّين فی السماء السابعة وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول ربی الله فيقولان ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان ما يدريك فيقول قرأت كتاب الله عز وجل فأمنت به وصدقت قال فينادي مناد من السماء أن صدق عبدی فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك فهذا يومك الذي كنت توعده فيقول من أنت فوجهك الذي يجي بالخير فيقول أنا عمالك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي قال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع عن الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يأتيه ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى

سخط من الله وغضب قال فتتفرق في جسدها فيتزعزعوها لأن ومعها العصب والعروق كما
يتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذونها فيجعلونها في تلك المسوح قال ويخرج منها
كختن جيفة وجدت على ظهر الأرض فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا ما
هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا
حتى انتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحُ
مَعَ الْمُؤْتَبِ السَّمَاءَ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فيقول الله تبارك وتعالى:
كتبوا كتابه في سجين في الأرض السابعة السفلى وأعيدوه إلى الأرض فإني منها
خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال فتطرح روحه طر حاثم قرأ رسول
الله ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ
سَاجٍ﴾ قال: ثم تعاد روحه في جسده قال فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له من ربك
فيقول هاه هاه لا أدري قال فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري قال فيقولان له ما هذا
الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري قال فينادى مناد من السماء أن كذب عبدي
فلقرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا من النار ويأتيه من حرها وسمومها
ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال ويأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح فيقول
لبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول ومن أنت فوجهك الذي يمي
بالشر قال فيقول أنا عمالك الخبيث قال فيقول رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة^(١).

(١) صحيح: رواه أحمد (١٨٠٦٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦) من حديث البراء
ابن عازب رضي الله عنه.

موجبات عذاب القبر

* كَأَنى بِمَلِكِ الْمَوْتِ قَبْضَ رُوحِ الْعَبْدِ فَأَصْبَحَ الْعَبْدُ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي عِدَادِ الْأَحْيَاءِ صَارَ فِي عِدَادِ الْأَمْوَاتِ وَقَلْنَا أَنْ مَوْتَ الْبَدَنِ تَحُلُّ يَعُودُ الْبَدَنُ إِلَى الْأَرْضِ مَا كَانَ مِنَ الْأَرْضِ عَادَ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْتَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥].

* وَكَانَ الْقَبْرِ يَقُولُ لِلْعَبْدِ إِذَا كَانَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مَعْرُضٌ عَنْ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتَ فَرِحًا وَأَنْتَ عَلَى ظَهْرِي فَسَوْفَ تَصِيرُ الْيَوْمَ حَزِينًا وَأَنْتَ فِي بَطْنِي كَمَا أَكَلْتَ وَأَنْتَ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْأَلْوَانِ الْأَلْوَانِ الطَّعَامِ وَالْوَلْوَانِ الشَّرَابِ فَالْيَوْمَ يَأْكُلُكَ الدُّودُ وَأَنْتَ فِي بَطْنِي لَقَدْ كُنْتَ تَسِيرُ عَلَى ظَهْرِي فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَبْغَضُ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى الْيَوْمِ تَرَى صَنِيعِي بِكَ فَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الْقَبْرِ فَيُضْمِئُهُ ضَمًّا تَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ أَمَا إِذَا كَانَ مُقْبِلٌ عَلَى اللَّهِ يَقُولُ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتَ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيَّ وَأَنْتَ عَلَى ظَهْرِي فَسَوْفَ تَرَى صَنِيعِي بِكَ فَيَنْفَسِحَ لَهُ الْقَبْرِ مَدَّ الْبَصَرِ فَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ يَارَبَّ الْعِبَادِ وَاجْتَمِعْ لَنَا بِخَيْرِ يَارَبَّ الْعِبَادِ وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا وَلَا الشَّيْطَانَ وَلَا الْأَوْلَادَ يَغْرُونَا عَنْ عِبَادَتِكَ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ.

قال الإمام ابن القيم: «الأسباب التي يتعذب بها أصحاب القبور فإنهم يُعَذَّبُونَ عَلَى جَهْلِهِمْ بِاللَّهِ وَإِضَاعَتِهِمْ لِأَمْرِهِ وَارْتِكَابِهِمْ لِمَعَاصِيهِ، فَلَا يَعَذَّبُ اللَّهُ رُوحًا عَرَفَتْهُ وَأَحْبَبَتْهُ وَامْتَلَتْ أَمْرَهُ، وَاجْتَنَبَتْ نَهْيَهُ، وَلَا بَدَنًا كَانَتْ فِيهِ أَبَدًا فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَثَرُ غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ عَلَى عَبْدِهِ. فَمَنْ أَغْضَبَ اللَّهَ وَأَسْخَطَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ثُمَّ لَمْ يَتُبْ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ لَهُ مِنَ عَذَابِ الْبَرْزَخِ بِقَدْرِ غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ عَلَيْهِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثَرٌ وَمُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبٌ وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ هُوَ عَذَابُ الْبَرْزَخِ، فَكُلٌّ مِنْ مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ لِلْعَذَابِ نَالَ نَصِيبَهُ مِنْهُ قَبْرٌ أَوْ لَمْ يُقْبَرْ، فَلَوْ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ أَوْ أَحْرَقَ حَتَّى صَارَ رَمَادًا وَنُسِفَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ صُلِبَ أَوْ غُرِقَ فِي الْبَحْرِ وَصُلَّ إِلَى رُوحِهِ وَبَدَنِهِ مِنْ أَعْدَابِ مَا يَصِلُ إِلَى الْقُبُورِ».

* وَنَحْنُ نَسْرِدُ لَكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَقْرُبُ مِنْ ٢٥ سَبَبٍ نَحْنُ نَعْمَلُهَا فِي الدُّنْيَا سَتَكْتَشِفُ أَنَّكَ تَعْمَلُ أَشْيَاءَ وَتُظَنُّهَا بِسَيِّئَةٍ وَهِيَ تَوْجِبُ عَذَابَ الْقَبْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ اللَّهُمَّ

نَجِّنَا مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ وَتَب عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ نَمُوتَ اللَّهُمَّ تَب عَلَيْنَا تَوْبَهُ نَصُوحِهِ خَالِصَةً تَرْضِيكَ وَتَرْضَى بِهَا عَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

عَذَابِ الْقَبْرِ ثَابِتٌ بِصَرِيحِ السُّنَّةِ وَظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ:

* قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ﴾ [التكاثر: ١-٣].

[التكاثر: ١-٣]

وَقَالَ: ﴿وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧].

وَقَالَ: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[السجدة: ٢١]

وَقَالَ: ﴿وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنُ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ﴾ [التأنيث: ١٥] النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

* وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»^(١).

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائط بنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «من يعرف لأصحاب هذه الأقبر» فقال رجل: أنا قال: «متى مات هؤلاء» قال: ماتوا في الإشراك فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه» ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار» قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار قال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجال» قالوا: نعوذ بالله من فتنة

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٩٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث عبد الله عباس رضي الله عنه.

الدجال»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : مرَّ النبيُّ ﷺ على قبرين فقال : «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله»^(٢).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهى تقول: إنكم تفتنون في القبور، فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنها يفتن يهود»، قالت عائشة: فلبشنا ليالى، ثم قال رسول الله ﷺ: «هل شعرت أنه أوحى إلى: أنكم تفتنون في القبور؟ قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يستعيز من عذاب القبر»^(٣).

وعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال: «يهود تعذب في قبورها»^(٤).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فأنتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأننا على رؤوسنا الطير ومعه عود ينكت به الأرض فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «استعيزوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً وذكر الحديث بطوله^(٥).

وقال ﷺ: «لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد بن معاذ ولقد ضمَّ ضمةً ثم روى عنه»^(٦).

وقال ﷺ: «استعيزوا بالله من عذاب القبر إنهم يعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث زيد بن ثابت.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٨) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٨٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٧٥) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٨٦٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٣) كتاب السنة، وأحمد (١٨٠٦٣)، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة (١٦٣٠).

(٦) صحيح: خرجه الطبرانى فى الكبير (٣٣٤/١٠)، رقم (١٠٨٢٧)، وفى الأوسط (٣٤٩/٦)، رقم (٦٥٩٣). قال الميمنى (٤٦/٣): رجاله موثقون. وابن عساكر (٢٣٦/١٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٠٦) من حديث ابن عباس م.

لِيَعْتَمِدُوا^(١).

• اعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين بل يشركهم فيه طائفة من المسلمين وكلٌّ بحسب عمله وما استوجبه بخطيئته وإن كانت تحت النصوص المتقدمة في عذاب القبر إنما جاءت في الكافر والمنافق ومن أين لك إلا ما من تلك الصفة المذمومة والأعمال المشثومة، وإنما الأعمال بالخواتيم وما حتم لك به فهو الواجب عليك واللازم والطوق في عنقك المقيم الدائم وعذاب المسلم لا يكون كعذاب الكافر والحمد لله وقد يكون عذاب المسلم في ضمة القبر أو صيقه أو صعوبة منظره أو بما يصيبه من الروعات عند مشاهدة تلك الزلات ويلحسرات على ما سلف له من الجهالات وبالندامات على ما مضى من الساعات أو ما شاء الله تعالى فيكون من ذلك ما شاء الله أن يكون ويدوم ذلك ما شاء الله أن يدوم حين أمنت ذلك العذاب الأكبر فما الذي أمنتك من هذا الذي هو بالإضافة إليه عذاب صغر فتفكر ما دام ينفعك التفكير وتخيل ما دمت ترجو ثمرة هذا التخيل إذا طرحت في حفرة من الأرض قصيرة الطول ضيقة العرض فاشتدت بها وحشتك واستبان غريبتك وانضمت عليك ضمة كسرت أنفك وشدخت رأسك ورضت عظامك وسدت وراءك وأمامك وتحتك وفوقك وملأت ظلمة أرضك وأفقك، فيالك من قلب قد نكس!! وبدن قد هرس!! ونفس قد قصر وحبس فأردت أن تفر فلم تترك وأردت أن تستغيث فلم تملك ولا تدري ما يدوم ولا متى تدرك أن تقعد أو تقوم، أتراك كنت مفتدياً من هذا المقام بما كنت جمعت من حطام بل بما جمعه جميع الأناس من حلال وحرام بل بما لا يحصر من أضعاف ذلك ولا يحد ولا يجمع ولا يعد ولعلك يا هذا قد كنت في الدنيا لا ترضى بمنزلك المتسع ولا بشملك المجتمع ولا تقنع برزق ربك المتدفق عليك المندفع فانظر رحمك الله لنفسك فادفع عنك جوانب هذه الحفرة ونفْس عنك من هذه الضمة وآنس من هذه الوحشة واعمل ما وجدت سبيلاً للعمل وما دمت في فسحة ومهل، ومهد المضجع ووطئ لذلك المصراع

(١) رواه أحمد (٣٦٢/٦)، رقم ٢٧٠٨٩، وقال الهيثمي (٥٦/٣): رجاله رجال الصحيح، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناده رجاله ثقات رجال الشيخين

وارغب وتوسل واضرع وتذلّل فلعل الإله المعبود الذى عمّ جوده الوجود وكرمه لا محصور ولا محدود وفيض نعمه لا مقطوع ولا محدود سيرسل منه قطرة تغمر العرش والذرة فيصيبك منه بنصيب، ويهلك منه بذنوب، ويعمك منه بشؤبوب وقد انقطع الرجاء إلا منه وسدت الأبواب إلا عنه جلّ وعلا وتبارك وتعالى.

* وكأنى بملك الموت قد انتزع الروح وحملك أهلك على الأعناق فبعد ما كنت فى الدنيا تعاني وتحارب وترفع قضايا وتبتز وتختلس وتناق وتكذب وتنحرف جاءك من لا تهرب منه وما لا انفكاك منه ولا هروب وإنما العبد الذليل والرب الجليل، العبد الضعيف والرب اللطيف، العبد الفقير والرب الغنى سبحانه الله لا ملجأ من الله إلا إليه فيتذكر الإنسان ويقول: ﴿يَلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَبَابِى﴾ [الفجر: ٢٣].

يا ليت الدنيا لم تغرنى ولا الأولاد ظللت آتيتهم بمال من حلال ومن حرام لأمتهم ولا الزوجة التى كانت تكلفنى فوق الطاقة أختى وأختى وخالى وعمى الذين قطعتم أذهب لأزورهم لأن الشيطان الذى غرنى بالله عز وجل وقطعنى عن أهلى وعن أحبابى وعن أقاربى وعن إخوانى وعن المسلمين الذين أمرنى الله أن أصلهم كل هذا الكلام كله ينكشف لك فى الدنيا قد يضيق صدرك بأمر شتى تتضايق العيال يتخرجوا ولم يشتغلوا قلة ذات اليد ولا أدرى ما هذه الهموم كلها، ما من هم أنزلته بالله الا وزال وما من هم أنزلته بالناس إلا وزاد وارب العباد لا إله إلا الله ما من هم تنزله بالله الا يزول ينتهى لأنك أنزلته بمن يقول للشيء كن فيكون يزول واذا انزلت الهم بالناس مازادك الناس الا غما يزيد الهم يزيد تنزل الهم بالناس يزودك هم على همك يزودك غم على غمك يزودك بؤس على بؤسك يزودك كآبه على اكتئابك سبحانه الله لكن إن أنزلت الأمر بالله قل: اللهم اشرح لى صدرى رب يسر لى أمرى رب وفّقنى رب أذهب عنى بلاء الدنيا وابتلاءاتها ربنا أقرب إليك من حبل الوريد ولذلك المؤمن كالنحلة المؤمن لما تمشى معه مثل النحلة إن أكل أكل طيباً وإن أطعم أطعم طيباً وإن وقف على عود لا يחדشه ولا يكسره انت مثل النحلة تأكل تاكل حلال تؤكل أولادك تأكلهم حلال يقول الحبيب: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»^(١).

تجلس الجلسة تخرج منها خفيف الظل بحسنات وليس بذنوب: يقول منصور
 من عبد الله أحد تابعي التابعين مات أباه رآه في الرؤيا يريد أن يطمئن على أبيه قال:
 نعمة التي مات بها قال يا أبت ماذا صنع الله بك؟ ربنا ماذا فعل بك قال: يا بنى سألتني
 منصور بم جئت؟ أنت جئت بماذا معك؟ قال: يارب جئتك بست وثلاثين حجة
 قال: ما قبلت واحدة منها الناس الذين يأخذون أموال الناس ويقولون لك: أنا أذهب
 حج كل عام قل له: يقول الحبيب: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً».

لن أقبل ولا واحدة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولا أحد يسأل ربنا أنت
 هذا لم تقبل؟ لا يسأل، بم جئتني يا منصور؟ قال: جئتك بثلاثة آلاف ختمة وستين
 عملت بثلاثة آلاف وستين ختمة قرآن انظر ختم القرآن كم مرة؟ قال: ما قبلت واحدة
 منها؟ يا منصور بم جئتني؟ منصور هذا كان رجل صالح قال: يارب جئتك بك وقال:
 قد جئتني فغفرت لك أنا جئت إليك أنت بقي لا عمل ولا غير عمل أنت صاحب
 تقصّل إن قبل فتكرما وإن رد فعديا يعنى ربنا لو تكرم علينا وغفر لنا هذا يبقى ايه؟
 جعلنا أم بكرمه؟ بكرمه يا كريم أكرمنا يارب العباد يارب اكرمنا ولا تهناً يارب يعنى
 ربنا تعطف علينا برحمته وبكرمه سوف يقبل سوف يقبل ماذا قال له سيدنا عطاء بن
 رباح لما أفاض من عرفات وأخذته سنة عند المشعر الحرام «المزدلفة» لم الجمرات
 وجلس قبل الفجر أخذته سنة من النوم رأى في الرؤيا ملكين انظر رؤى الصالحين
 قى؟ اللهم ألحقنا بهم يارب قال ملك كم حج البيت هذا العام؟ هذه السنة كم عدد
 لحجاج؟ قال: ستمائة ألف قال: وكم قبل ربنا منهم؟ حجة كم واحد مقبولة؟ قال
 ما قبل الا ستة قام سيدنا عطاء مرعوباً في ذعر نحن للأسف الشديد لو رأى أحد منا
 هذه الرؤيا يمنى نفسه ويقول أنا من الستة أنا على خير الصالح لا يفعل هكذا الصالح
 هو الذى يقول هكذا من اهتم نفسه يبقى هو الذى يمشى في الخط مايزال الرجل يتعلم
 ويتعلم فإن ظن أنه علم فقد بدأ يجهل الواحد يقول: أنا عالم أنا فاهم أنا عارف وهذه
 نهجة غالب المسلمين في بقاع الأرض أنا فاهمها قبل أن تطير وبالذات في الدين حتى
 النساء يفتوا في الدين أيضاً حلال وحرام قام سيدنا عطاء مرعوب من الرؤيا قال: ستة
 من ستمائة ألف قال لأخواننا الذين حولهم الآلاف محيطه بعطاء لأن هذا صاحب

الحسن البصرى يا جماعة قال: احفظ في الدعاء في أيام الحج بقى أيام منى بقى أجارو الى الله بالدعاء قوى الملك يقول للثانى: كم حج البيت هذا العام؟ قال: ستمائة ألف قال: ما قبل الله منهم؟ كم واحد المقبولين قال: ما قبل الله إلا ستة قال: ولكن هذا قليل قال: ولكن ربنا الكريم أعطى مع كل واحد من الستة مائة ألف وهذا تكرم منه أم عدل لا هذا تكرم يبقى الكريم لما يعطى لا يمن مع أن له المن فى الأولى والآخرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

إذن المسلم يأخذ باله من الكلام: لأننا كنا نقرأ فى الاعراف ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

المجرم ولن يدخل الجنة ربنا قال حتى ماذا؟ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وبما أن الجمل لن يدخل فى ثقب الابرة إذن لن يدخل الكافر الجنة ربنا يدخلنا وياكم بدون سابقة عذاب إذا الذنوب نوعان نوع أحاسب عليه فى القبر، ونوع أحاسب عليه أمام الله يوم القيامة إما ان ربنا تكرمنا وتعطفنا ومنه وفضلاً يعفو وقد علمنا الرجل الذى استشهد فى إحدى الغزوات فالصحابة يمشون بجواره شهيداً هنيئاً له الشهادة يا رسول الله فقال الحبيب ﷺ: «كلا إنى رأيت فى النار فى بردة غلها أو عباءة»^(١) إن هذا شهيد يا حبيب الله؟ لماذا يا رسول الله قال: من أجل بردة قد غلها بدون وجه حتى قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۖ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾

[مريم: ٨٥، ٨٦]

يسوقونهم مثل البهائم التى مربوط فيها أو الحبل - القيد - الذى يقودون به الجاموسة والبقرة والحيوانات السائمة أعزكم الله رب العالمين اللهم أحسن لنا

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٤) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

نحتم يارب العالمين أغلب عذاب امه محمد ﷺ ربنا سيخلصه لهم في القبر .
الموضوع ليس سهلاً الموضوع أيضاً ليس سهل يعنى ليس معنى أنه سيخلص لى
لعذاب فى القبر لان القبر حاجة من اثنين ليس ثلاثة إما روضة من رياض الجنة كما
تعقنا وعلمنا الشارع الحكيم أو حفرة من حفرة النار .
من أسباب عذاب القبر:

الشرك بالله

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وَيَقْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿[النساء: ٤٨].
فهو أعظم أسباب عذاب القبر - الإشرak بالله - .
قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾

[الأنعام: ٩٣]

وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال
والسلاسل والجحيم وغضب الرحمن الرحيم فتفرق روحه فى جسده وتعصى وتأبى
لخروج فتضربهم الملائكة حتى تُخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين
نهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ
حُجَّتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

وقال تعالى عن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] .
فالمراد بالنار هنا عذاب القبر ونيرانه؛ لأن الله - عز وجل - قال بعدها: ﴿وَيَوْمَ
تُحْمَرُّ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] .
وعن أبى أيوب قال: خرج النبى ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال: «يهودٌ
تُعَذَّبُ فى قبورها»^(١) .

النفاق

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] .



إن المنافقين أشدُّ خطراً على الإسلام من الكفار الذين يجهرون بعداوتهم للإسلام وأهله... فهم الذين يُشعلون نار الفتنة بين المسلمين ويهدمون جدار الإسلام - باسم الإسلام - ولذلك فإن الله يُشعل قبورهم ناراً كما أشعلوا نيران الفتنة بين المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَنَفِّئُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ لَا يَعْلَمُونَ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدِ لَهُمْ مَّرَتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].
أما قوله تعالى: ﴿سَعَدِ لَهُمْ مَّرَتَيْنِ﴾ قال قتادة والربيع بن أنس: إحداهما في الدنيا والآخرة هي عذاب القبر.

وقال ﷺ: «... وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك» (١).

التناقل عن الصلاة المكتوبة

قال تعالى: ﴿قَوْلِيلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۖ (١) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].
الذي تناقل رأسه عن الصلاة المكتوبة وخاصة صلاة الصبح؛ لأنها امتحان للمؤمنين الصادقين وقد بين ذلك الحبيب ﷺ فقال: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيها لأتوها ولو حبواً ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار» (٢).

وكما في حديث الرؤيا: «أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ» (٣) رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه» (٤) وينام عن الصلاة المكتوبة» (٥) إن الملائكة تأتي للإنسان

(١) حسن: رواه الترمذی (١٠٧١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٧٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) يثلغ: يكسر.

(٤) فيرفضه: يترك حفظه والعمل به.

(٥) صحيح: رواه البخاری (٧٠٤٧) كتاب التعبير من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

هرب رأسه بالحجارة والرأس تتفتت - تتقسم اجزاء - تتكسر وبعدين يذهبوا يجمعوها له ثاني وتكسر ويجمعوها له تاني إلى أن تقوم الساعة هذا من بقى؟ هذا سبحانه الله الانسان المسلم الذي يدعى الاسلام ولكن لما يسمع الاذان يتقل شوية نصف ساعة لسه بدرى العشاء ممدودة الدنيا ما طارت لا الدنيا طارت من قال: لك الدنيا ما طارت؟ إنه بين لحظة وأخرى تقوم ساعة العبد بين لحظة وأخرى قيامة العبد الصغرى تقوم يعنى وأنت تظلم تقوم قيامتك تقوم تموت يعنى يقى تموت وأنت تظلم فتبعث وأنت ظالم يوم القيامة يبقى المتأهل رأسه عن الصلاة لمكتوبة يعنى هذا وهو يصلى ولكنه يؤخرها عن وقتها كل صلاة يعنى يصلى الصبح لساعة عشرة الصبح تكون الشمس طلعت يصلى الظهر الساعة اربعة وثلاث يصلى العصر الساعة سبعة وربع يصلى المغرب الساعة تسعة قبل الوقت الثانى بخمس نقاقت قال ﷺ هو يصف المنافقين المنافقين وقد وصفها لنا الحبيب ﷺ فقال: «تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقرها أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا»^(١).

* من اليوم إن شاء الله سوف أصلى فى أول الوقت يسأل سائل هل أقضى الدين عن أبى نقول له: نعم هل أدعو له نقول له: نعم هل أتصدق عنه نقول له: نعم هل نحج وأعتمر عنه نقول له: نعم هل أصلى له نقول له: لا لأن الصلاة عبادة تخص العبد نفسه لذلك التناقل عن الصلاة المكتوبة من أسباب عذاب القبر أنا أريد أن تجرب ليلة هذه أيقظ زوجتك لصلاة الصبح تقول لها لما تعود إلى البيت يا فلانة سوف نوقظك لصلاة الصبح خلى بالك لا تسهرى أمام التلفزيون إن لم تقومى سأحضر مياها من الثلاجة وأنضح فى وجهك هكذا امرنا الحبيب المصطفى ﷺ والعكس صحيح أيضا المرأة الصالحة تقول لزوجها خلى بالك سوف أوقظك لصلاة الصبح إن لم تستيقظ سأحضر مياها من الثلاجة وأنضح فى وجهك لذلك قال الحبيب ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح فى وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٢٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

في وجهه الماء»^(١).

الكذب

قال ﷺ: «..... وإن الرجل ليكذب....».

واعلم أن كثيراً من المسلمين يقع في الكذب ويسمى الكذب بغير اسمه يسمى «كذب أبيض» وليس في الإسلام كذب أبيض بل ومنهم من يخدع نفسه ويسمى المحرمات بغير اسمها فكل شيء عنده له مسمى يسمى لك مثلاً المشروبات المحرمة مثل الخمر التي حرمه الله يسميه مشروبات روحية يسمى لك الفن والخلاعة يسمية فن الرقص، والعري فن الباليه تكون البنت عارية كما ولدتها أمها إلا مما يستر شيء من الجسم وهذا بسبب الجهل بدين الله عز وجل فنقول للأب وللبنات هذا يسمى العري والخلاعة والفوضى ولو واحدة غطت جسمها وعملت خمار واسع أو لبست جلباب لا ترى أنها سمينة أو رفيعة أو كيفية أو شكلها إليه وغطت وجهها وانتقبت يقول لك هذه متطرفة ويسمى لك الربا فوائد واستثمار وأرباح أنا أقول له لا أنت تسميها خسائر ومصائب وجهنم لو يعطيني المسميات اسميها له أقول له هكذا أقول له: هذه خسائر وليست أرباح هذه مصائب وليست استثماراً هذه جهنم وليست فلوساً لكن هو يسميها مسميات سبحانه الله يبقى إذن الكذب لا كذب أبيض ولا كذب أسود ولا يباح الكذب إلا في مواطن رخص فيها الحبيب ﷺ «في الحرب وفي الإصلاح بين الناس وقول الرجل لامرأته. وفي رواية: «وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها»^(٢)، وقال ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً»^(٣).

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٣٠٨) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٦١٠) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٦٧٣٤)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٩٢) كتاب الصلح، ومسلم (٢٦٠٥) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أم كلثوم بنت عقبة رضى الله عنها.

أكل الربا

قال تعالى: ﴿...كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...﴾ [البقرة: ٢٧٥].

سيدنا الحبيب ﷺ رأى -والعياذ بالله- السابحين في أنهار الدم من هؤلاء يا حبريل؟ قال هؤلاء أكله الربا درهم واحد من دراهم الربا يعني لا يكمل خمسة قروش حجة لا تشتري شيئاً درهم واحد أشد عند الله من ست وثلاثين زنية درهم واحد لما مجتمع بأكمله يقوم على نظام الربا يكون الحل ماذا؟ نسأل الله الرحمة سوف يأتي زمان عى أمتى من لم يتعامل بالربا أصابه غباره عبارة يعني مرتبك داخل فيه جزء من ضريبة لعلاهمى وضريبة صالات القمار وضريبة الخمر ولعلمك الخمر فيه جزء لم يزد عليه ١٠ ٪ ضريبة مبيعات لكى تكون فاهم من ضمن أنا لن أخوض في الحديث عن ربا لان الحديث يدمى قلبى ولو دخلت في الربا الحلقة ضاعت ندعو الله سبحانه وتعالى ان يتوب علينا وعليكم من الربا صغيرة وكبيرة قليلة وكثيرة يارب العالمين .

وفي الحديث السابق أيضاً: «... فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يسبح، وإذا على شط النهر رجلٌ قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابحُ يسبحُ ما يسبحُ، ثم يأتي ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر - نى يفتح - له فاه فيلقمه حجراً فينطلق يسبح ثم يرجعُ إليه، كلما رجعَ إليه ففرَّ فاه فآلقمه حجراً...».

وفي آخر الحديث: «وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه أكل الربا».

الزنا والتبرج

قال تعالى: ﴿...إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۝٣١﴾ [النساء: ٢٢].

فمن موجبات عذاب القبر الزنا والتبرج والسفور ومن يرى شيئاً من جسدها أو شعرها أجنبى والأجنبى كما اتفقنا كل من يحل له ان يتزوج بها ومنهم ابن عمها وابن خالها وابن خالتها وجارها وابن جارها وصاحب البيت والبواب والسائق والطباخ وكل الذين يتعاملون معها وتراهم المرأة وشعرها مكشوف وتقول لك هذا ليس

غريباً هذا السائق هذا ليس غريباً هذا الطباخ هذا البواب.

وفي الحديث السابق كذلك: «... فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ، قال: فطلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراة، وإذا هم يأتيهم هُبٌّ من أسفل منهم إذا أتاهم ذلك اللهبُ ضوضوا....» - أى صاحوا - .
وفي آخر الحديث: «وأما الرجال والنساء العُراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزُناة والزواني»^(١).

وفي حديث آخر: «..... ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»^(٢).

عظم الاستبراء من البول

والمشي بين الناس بالنميمة

* وقد ذكر بعض العلماء السرَّ في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر وهو أن القبر أول منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب. والمعاصي التي يعاقب عليها العبد يوم القيامة نوعان: حقٌّ لله، وحقٌّ لعباده، وأول ما يُقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله: الصلاة، ومن حقوق العباد: الدماء.

* وأما البرزخ فيقضى فيه في مقدمات هذين الحقين، ووسائلهما.
فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء: النميمة، والوقية في الأعراض، وهما أيسر أنواع الأذى، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة، والعقاب عليهما.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بحائط - أى بستان - من حيطان المدينة فسمع صوت إنسانين يُعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: «إنهما ليعذبان، وما يُعذبان في

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كير، ثم قال: «بلى وإنه لكبير كان أحدهما لا يستتر من بوله: وفي رواية: البول، وكان
لآخر يمشى بالنميمة، ثم دعا بجريدة رطبة، وفي رواية: بعسيب رطب فكسرها
كسرتين، وفي الرواية: فشقها نصفين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، ف قيل له: يا
رسول الله لِمَ فعلت هذا؟ قال ﷺ: «لعله أن يُخففَ عنها ما لم ييسأ»^(١).
• وقال ﷺ: «إن عامة عذاب القبر من البول فتزهوا منه»^(٢).

إيذاء الناس باللسان

قال تعالى: ﴿...وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُم بَعْضًا...﴾ [الحجرات: ١٢].
وإيذاء الناس باللسان يكون بالسب واللعن والكذب والاستهزاء والسخرية
والتقذيف والفحش والغيبة وغيرها.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا نمشي مع رسول الله ﷺ فمررنا على قبرين فقام فقمنا
معه فجعل لونه يتغير حتى رعد كم قميصه فقلنا: ما لك يا رسول الله فقال: «أما
تسمعون ما أسمع فقلنا وما ذاك يا نبي الله قال هذان رجلان يعذبان في قبورهما عذابا
شديدا في ذنب هين قلنا فيم ذلك قال كان أحدهما لا يستتره من البول، وكان الآخر يؤذي
الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة»^(٣).

الدين

قال تعالى: ﴿...يَدْعِي إِلَىٰ أَجْلٍ مُّسْكًى فَاصْتَخِبُوا...﴾ [البقرة: ٢٨٢].
فالميت قد يُحبس في قبره بسبب الدين ولذلك يجب على كل مسلم أن يردَّ إلى
الناس حقوقهم قبل أن يترك الدنيا بكل ما فيها ويذوق العذاب الأليم بسبب تلك

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: أخرجه عبد بن حميد (ص ٢١٥، رقم ٦٤٢)، والبزار كما في مجمع الزوائد (١/٢٠٧)،
والطبراني (١١/٧٩، رقم ١١١٠٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢١٠٢) من
حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه (٣/١٠٦، رقم: ٨٢٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح
الترغيب والترهيب (١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المظالم.

* عن جابر بن عبد الله قال: «توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه، ثم أتينا به النبي ﷺ ليصلي عليه فخطّ خطاً، ثم قال: «هل عليه دين؟». قلنا: نعم. قال: «صلوا على صاحبكم»، فقال أبو قتادة: يا رسول الله دينه على؟، فقال النبي ﷺ: «ما عليك حق وبرئ الميت؟»، قال: نعم. فصلى عليه، ثم لقيه في الغد فقال: «ما فعل الديناران؟». فقال: يا رسول الله إنما مات أمس. ثم لقيه من الغد فقال: «ما فعل الديناران؟»، فقال يا رسول الله قد قضيتهما. فقال رسول الله ﷺ: «الآن بردت عليه جلده»^(١).

* وعن سعد بن الأطول رحمه الله: «أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لي نبي الله ﷺ: «إن أخاك محبوس بدينه، فاذهب فاقتض عنه»، فذهبت فقتضت عنه، ثم جئت، قلت: يا رسول الله، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليست لها بيعة، قال: «أعطها فإنها محقة» وفي رواية «صادقة»^(٢).

الغلول من الغنيمة

الغلول: هو أن يأخذ الغازي شيئاً من الغنيمة دون عرضه على ولي الأمر لقسمته. قال ﷺ في الرجل الذي أخذ الغلول: «والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تُصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً»^(٣). - أي في قبره.

الإعراض عن ذكر الله

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْنَى﴾ [طه: ١٢٤].

(١) صحيح: رواه أحمد (١٤١٢٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨١٢) من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٦٧٧٦)، وصححه العلامة الألباني في أحكام الجنائز (١٥/١) من حديث سعد بن الأطول.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٣٤) كتاب المغازي، ومسلم (١١٥) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة.

عن أبي سعيد في قوله: ﴿مَعِيشَةُ ضَنْكَ﴾ قال: «يُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ صَلَاحُهُ فِيهِ».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: «عَذَابٌ نَقِيرٌ».

وقال الإمام ابن القيم في الداء والدواء: وفُسرَت المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا يَبُحُّ أَنَّهُ مِنَ الْمَعِيشَةِ الضنك. - والآية تتناول ما هو أعمّ منه.

النياحة على الميت

وهذا العذاب يكون لمن أوصى أهله بالنياحة عليه بعد موته أو لمن لم يوص أهله بِرِثَةِ النياحة مع علمه أنهم سيفعلون ذلك.. أما من أوصى بترك النياحة فلما مات لم يتركوا النياحة عليه فهذا لا شيء عليه.

قال ﷺ: «إِن الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»^(١).

وقال: «الْخَائِثَةُ إِذَا لَمْ تَتَّبِعْ قَبْلَ مَوْتِهَا تَقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ وَدَرَعٌ مِنْ جَرَبٍ»^(٢).

وقال ﷺ: «الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نَبَّحَ عَلَيْهِ»^(٣).

والمقصود بالبكاء المذكور في الحديث الأول هو النياحة المذكورة في الحديث الثاني، وذلك لأن مجرد البكاء لا شيء فيه بالنسبة للميت وأهله لأن البكاء رقة في القلب تظهر بوضوح عند الموت وفراق الأحبة... ولقد بكى النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم وعند موت بعض أصحابه رضي الله عنه وعن إبراهيم.



(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٠٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٧) كتاب الجنائز من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٣٤) كتاب الجنائز من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٩٢) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٧) كتاب الجنائز من حديث عمر رضي الله عنه.



قاطع الطريق

من ضمن موجبات عذاب القبر وعذاب جهنم يوم القيامة قاطع الطريق الذي يقطع على الناس الطريق بالليل فهذا من الواجب أن يطبق عليه الحد وإذا أقيمت الحدود قل الشر جداً وارتدع كل من تسوّل له نفسه في ارتكاب المحرم لأنه يعرف أنه ستقطع يده أو يده ورجله من خلاف أو يرحم أو يقتل أو ينفي أو يجلد فتطبيق الشرع يحصل بسببه خير كثير لأن الذي شرعه هو أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى وهو أعلم بعباده وبما يصلحهم، وكما قال الحبيب ﷺ: «لحدّ يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحاً»^(١) فقاطع الطريق تقطع يده ورجله من خلاف ذراعه اليمين مع رجله الشمال أو يصلب أو ينفي من الأرض هذا عقاب قاطع الطريق الذي هو حد الحرابة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] وكذلك الذي يروّج المخدرات والذي يجلب أنواع المخدرات لأنه يدخل السجن ثم يخرج وقد ازداد شراً إلا من رحم الله فكل هؤلاء يجب ان يطبق عليهم حد الحرابة لأن هؤلاء من المفسدين في الارض لأنه يدمر شباب الأمة.

الخائن للأمانة

قال ﷺ: «.... وإذا أؤتمن خان....».

من ضمن موجبات عذاب القبر الخائن للأمانة فالأمانة كلمة كبيرة فالوضوء أمانة عندما لا أتوضأ جيداً أكون خائناً للأمانة الصلاة أمانة عندما لا أتم الصلاة جيداً أكون خائناً للأمانة العمل الذي أعمله أمانة إذا لم أعمله بما يرضى الله تكون خائناً للأمانة معاملة الزوجة كما يحب الله أمانة ومعاملة الزوجة لزوجها كما يحب الله أمانة فإن قصّر تكون خائناً للأمانة المرأة التي تخرج أسرار البيت والرجل الذي يخرج

(١) حسن لغيره: أخرجه ابن حبان (٢٤٤/١٠)، رقم (٤٣٩٨)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سرور بيته هذه خيانة للأمانة الذي يأكل أموال الناس خائن للأمانة سبحانه الله الذي يفتك على سر تذهب نفسى سر صاحبك هذه خيانة للأمانة الموضوع كبير وخطير ونحن نعيش في ابتلاءات فعلى كل واحد أن يحاسب نفسه ويتقى الله في نفسه وفي همه.

بذيء اللسان

من موجبات عذاب النار والقبر: الفاحش في قوله بذئ اللسان، وهذا الأمر شتر جداً بين المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد حذر من ذلك الحبيب ﷺ **قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ وَمَا يَرَى أَنهَا تَبْلُغُ حَيْثُ بَلَّغَتْ يَهُوَى بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ حَرِيفًا»^(١).**

فعلى كل مسلم إذا تكلم لا يتكلم إلا بخير وقد حذر الرسول ﷺ من اللسان **قَالَ: «..... كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَإِنَّا حَوَازِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: تُكَلِّتُكَ^(٢) أَمَّكَ يَا مَعَاذُ! وَهَلْ يَكِبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(٣).** وذكر عن عيسى عليه السلام أنه مرَّ مع الحواريين على جيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا فقال عيسى عليه السلام: ما أشدَّ يَصْرُ أَسْنَانِهِ يَعْظُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْغِيْبَةِ.

* ولذلك إذا نظرت لحال الحبيب ﷺ يقول أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا لَعَّانًا وَلَا سَبَّابًا كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَعَاتِبَةِ: «مَا لَهُ تَرْبٌ جَيِّبَةٌ». وَتَقُولُ عَائِشَةُ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «دَخَلَ يَهُودٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا النَّبِيُّ ﷺ: «وَعَلَيْكَ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَهَمِمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَعَلِمْتُ كِرَاهِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ لَذَلِكَ، فَسَكَتَ. ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ فَقَالَ: «عَلَيْكَ»، فَهَمِمْتُ أَنْ****

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣١٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٨) من حديث أبى هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..**

(٢) التكلل: من فقدت ولدها، وتكللتك أمك: دعاء بالفقد والمراد به التعجب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٦١٦) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٣٩٧٣) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٣٦) من حديث معاذ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..**

أتكلم ، فعلمت كراهية النبي ﷺ لذلك، ثم دخل الثالث فقال . السام عليك ، فلم أصبر حتى قلت : و عليك السام وغضب الله ولعته إخوان القردة والخنازير ! أتحيون رسول الله بما لم يحبه الله ؟ ! فقال رسول الله ﷺ : «إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، قالوا قولاً فرددنا عليهم»^(١) .

* وقد قال الله تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] .

القول على الله بخير علم

وهذه مصيبة المسلمين فقد قيل : أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار، وقيل : من قال الله أعلم فقد أفتى، وهذا الإمام مالك رحمه الله إمام دار الهجرة يُسأل عن أربعين مسألة فيجيب عن ست مسائل فقط منها، وقال في الباقي : لا أعلم . وهو يقول : أقول الله أعلم وأدخل الجنة خير من أن أفتى بغير علم وأدخل النار . وعلى سبيل الإجمال فموجبات عذاب القبر كثيرة :

فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصنة والداعى إلى البدعة، والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به والمجازف في كلامه، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامى ظلماً، وأكل السحت من الرشوة، وأكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد، وشارب المسكر وأكل لقمة الشجرة الملعونة «الحشيش»، والزانى، واللوطى، والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر، وأخذ الربا ومعطيه وكتابه وشاهده، والمحلل والمحلل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه، ومؤذى المسلمين ومتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتى بخلاف ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التى حرم الله، والملحد فى حرم الله، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ، والناتحة والمستمع إليها، ونواحى جهنم

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٤٥٠٨)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٩١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وهم المغنون الغناء الذى حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور يوقدون عليها القناديل والسرچ، والمطففون فى استيفاء مالهم إذا أخذوا، وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين، فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر، والذى لا تأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذئ الذى تركه الخلق اتقاء شره وفُحشه، والذى يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولا يؤدى زكاة ماله طيبةً بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدى الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة. ولا يبالي بما حصّل المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم، بل يدعُ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائى العالمين، ويمنع الماعون، ويشغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يُعذبون فى قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب... ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات. وفى باطنها الدواهي والبليات. تغلى بالحسرات كما تغلى القدور بما فيها.... والله المستعان.

المنجيات من عذاب القبر

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: في كتاب الروح.

فجوابها من وجهين: مجمل ومفصل.

أما المجمل: فهو تجنب تلك الأسباب التي تقتضى عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد أنفع من هذه النوم، ولا سيما إذا عَقَّبَ ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله.

أما الجواب المُفَصَّل: فنذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجى من عذاب

القبر^(١).

الإيمان والتقوى والعمل الصالح

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]

ففي تلك الآيات وعد الله أهل التقوى بأن يجعل لهم مخرجاً من كل ضيق، وليس هناك شدة ولا ضيق أعظم من شدة السكرات وخروج الروح ودخول القبر. فمن كان في الدنيا تقياً فإن الفرج والمخرج يكون له ثواباً في قبره...

الإستقامة على طاعة الله - جل وعلا :-

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا

(١) الروح (٧٩/١).

وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولُ مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾
[فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾
﴿لَوْلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الاحقاف: ١٣، ١٤].

فلقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه... فمن عاش على الطاعة مخلصاً لله ومتبعاً لهدى رسول الله ﷺ فإنه يموت على الطاعة وينور الله له قبره بتلك الطاعة بل ويصبح قبره روضةً من رياض الجنة جزاءً لكل لحظة عاشها في طاعة الله - جل وعلا -.

الرباط في سبيل الله

قال رسول الله: «رباطٌ يومٌ وليلةٌ خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعملهُ وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتن» (١).
والرباط: الملازمة في سبيل الله لثغر من ثغور المسلمين، فأما سكان الثغور المقيمون دائماً بأهلهم الذين يعمرّون ويكتسبون هناك، فهم وإن كانوا حماةً فليسوا بمرابطين.

الشهيد في سبيل الله

قال رسول الله: «للشهيد عند الله ستُّ خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويحار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الباقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه» (٢).

وهذا الشهيد هو من توافرت فيه الشروط وهي: أن يموت في قتال الكفار تحت راية قائد مسلم لإعلاء كلمة الله.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمامة من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الترمذی (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد، وابن ماجه (٢٧٩٩) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٥) من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه.

بل قال رجلٌ للحبيب ﷺ: «يا رسول الله ما بال المؤمنين يُقتلون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»^(١).
قال الشيخ الألباني: تُرجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة بدليل قوله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»^(٢).

من مات شهيداً في غير حرب

لقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ بأن هناك شهداء غير الذين يُقتلون في سبيل الله... ولقد علمنا أن الشهيد يُجار من فتنة وعذاب القبر.
قال ﷺ: «ما تعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله! من قُتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتي إذاً لقليل» قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد»^(٣).
وقال ﷺ: «من فصل في سبيل الله فمات أو قُتل أو رفسه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات في فراشه بأى حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة»^(٤).
وقال ﷺ: «من قتله بطنه لم يُعذب في قبره»^(٥).
والموت بداء البطن: هو الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الإسهال. وقيل الذي يشتكى بطنه.
وقال ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم»^(٦).

-
- (١) صحيح: رواه النسائي (٢٠٥٣) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٤٨٣).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥) كتاب الإمارة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) حسن: رواه أبو داود (٢٤٩٩) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
(٥) صحيح: رواه الترمذي (١٠٦٤) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦١) من حديث خالد بن عرفطة وسليمان بن صرد رضي الله عنه.
(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٣٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩١٦) كتاب الإمارة من حديث =

وقال ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»^(١).

وقال ﷺ: «من قُتل دون مظلّمته فهو شهيد»^(٢).

وقال ﷺ: «الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة»^(٣).

فكل هؤلاء الذين ذكرهم الحبيب ﷺ شهداء... والشهداء هم الذين أكرمهم الحق -جل وعلا- في الدنيا بنعمة الشهادة وفي القبر بالنعيم والنجاة من الفتنة والعذاب... وفي الآخرة بالخلود في الجنان مع الأحباب.

قراءة سورة الملك

قال ﷺ: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾»^(٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال: بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك فهي المانعة تمنع عذاب

=أنس رضي الله عنه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٨٠) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٤١) كتاب الإيمان من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه النسائي (٤٠٩٦) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٧) من حديث سويد بن مقرن رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مالك (٢٣٢ - ٢٣٣)، وإبو داود (٢٦ / ٢)، والنسائي (١ / ٢٦١)، وصححه العلامة الألباني في أحكام الجنائز (٣٩ / ١) من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه.

(٤) حسن: رواه الترمذي (٢٨٩١) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألباني في المشكاة (٢١٥٣).

القبر وهى فى التوراة سورة الملك من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب.

الموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة

قال عليه السلام: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر» ^(١).

* * *

(١) حسن نزواه الترمذى (١٠٧٤) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

علامات الساعة الصغرى

إذا ظهرت علامات الساعة الصغرى فما زالت هناك فسحة حتى يعود المذنب وحتى يتوب العاصي وحتى يقلع المنحرف ويعود إلى الرحاب ويسترشد الضال لكن إذا ظهرت أول علامة من علامات الساعة الكبرى فقد أغلق باب القبول وأغلقت باب التوبة كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ مَا يَتَذَكَّرُ فِيَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ مَا يَتَذَكَّرُ فِيَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

وقد ظهرت علامات الساعة الصغرى فسنأل الله السلامة، إذا لم يبق إلا ظهور علامات الساعة الكبرى، والعبد - كما قلنا -: إذا مات قامت قيامته وعالم البرزخ عالم لا يعلمه إلا الله هنا يدخل الإنسان أول منازل أو مدارك الآخرة يقول عز وجل: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] ويقول تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذُكِّرْتُمْ﴾ [محمد: ١٨] يخبر تعالى أن الساعة وهى القيامة اقتربت وأن أوانها، وحان وقت مجيئها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] ومع ذلك، فهؤلاء المكذبون لم يزلوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها، ويريههم الله من الآيات العظيمة الدالة على وقوعها ما يؤمن على مثله البشر، فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، أشار ﷺ إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقين، فلقة على جبل أبى قبيس، وفلقة على جبل قيعقان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة فى العالم العلوى، التى لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخييل، فشاهدوا أمراً ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيراً، ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم، وقالوا: سحرنا محمد، فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعاً، واتبعوا محمداً ﷺ، فالمصدق يتقلب فى جنات النعيم، ومغفرة الله ورضوانه، والمكذب يتقلب فى سخط

الله وعذابه، خالدًا مخلدًا أبدًا.

بعثة الحبيب المصطفى ﷺ

قال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»^(١) وضم السبابة والوسطى لأن الحبيب ﷺ هو آخر الأنبياء وأمه هي آخر الأمم وقال تعالى: ﴿بَتَلَوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (١٢) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ (١٣) ﴿[النازعات: ٤٢، ٤٣] أَى يسألون الرسول ﷺ يعنى ماذا يعنى متى ستأتى وهذه الآية علماء القراءات علمونا جزاهم الله خيرا قالوا هذه اسمها هاء ساكنة هي: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ (١٣) ﴿يجوز أن تقول (فيمه) وتسكت تقول: (فيمه أنت من ذكرها) أى: أنت علامة من علامات الساعة يا محمد لماذا لأننا نحن آخر الأمم .. والرسول الحبيب ﷺ آخر الرسل لا أمة بعدنا ولا رسول بعد سيدنا محمد ﷺ وربما يسأل سائل يقول هذا الكلام منذ ما يقرب من ألف وخمسمائة سنة ولم يحدث. أين قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فنقول له الأيام ليست بأيامك يا بطل .. الأيام ليست بأيامك أنت ولكن الأيام بأيام الله قال تعالى: ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (١٧) ﴿[الحج: ٤٧] فيكون من ألف وخمسمائة سنة لنا كم يوم في الدنيا يوم ونصف يعنى نقضى لك في الدنيا أسبوع أسبوعين ثلاثة أسابيع انظر بقى انظر نحن لنا يوم ونصف من ساعة بعثة الحبيب المصطفى طيب قضينا أسبوع .. هذه سبعة آلاف سنة قضينا شهرا .. هذه ثلاثين ألف سنة صحيح أم لا فالأيام ليست بأيامك أنت .. إذا أول علامة من علامات الساعة بعثة الحبيب المصطفى ﷺ.

موت النبي ﷺ

قال ﷺ: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٠٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥١) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا^(١).

فموت النبي ﷺ من أشراط الساعة.. فبموته انقطع الوحي من السماء وارتد الكثير من قبائل العرب وظهرت الفتن، وأظلمت الدنيا في عيون أصحابه - ﷺ -.

ظهور الفتن

قال ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَمَسَى كَافِرًا، وَمَسَى مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْهَامِشِيِّ، وَالْهَامِشِيُّ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكُسِّرُوا قَسِيَّكُمْ، وَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرَبُوا بِسُيُوفِكُمُ الْحِجَارَةَ؛ فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ؛ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ»^(٢).

ولقد حذرنا النبي ﷺ من تلك الفتن وأمرنا بالتعوذ منها، فقال ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»^(٣).

أَنْ تَلْجِ الْأَمَّةَ رَبَّتْهَا

ونحن نحفظ حديث جبريل عليه السلام عندما جاء إلى الرسول ﷺ كما يقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفِيهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ لَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ صَدَقْتَ فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيَصْدُقُهُ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ صَدَقْتَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ

(١) صحيح: رواه البخاري (٣١٧٦) كتاب الجزية من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥٩) كتاب الفتن والملاحم، وابن ماجه (٣٩٦١) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال: «يا عمر أتدرى من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»^(١).
فهو إخبار عن كثرة السرارى وأولادهن فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها وقيل: معناه أن الإماء يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته.

وقيل: أن يكثر العقوق فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من القسوة والضرب... (وكذلك الأم بعد أن كانت هي المطاعة في البيت أصبحت البنت هي التي تحكم عليها وهي التي تسير البيت) أو أن يبيع السادة أمهات أولادهم فيتداولونهم إلى أن يشتري الولد أمه وهو لا يعرفها.

تطاول رعاء الشاة في البنيان

أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان وهذا كله بسبب حُب الدنيا والتنافس عليها حتى وصل الأمر إلى أن الناس يتفاخرون فيما بينهم بتطاول البنيان وزخرفته، وغير ذلك من حظوظ الدنيا الفانية.

انتشار الشرك في الأمة

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد الأوثان...»^(٢).

وما زال الشرك يزداد في الأمة شيئا فشيئا حتى وقع الكثير من أبناء الأمة المسلمة في الشرك الأكبر، فضلا عن الشرك الأصغر الذي قضى على الأخضر واليابس.. فنسأل الله أن يرد الأمة إليه وإلى توحيدهِ ردًّا جميلاً.

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥٢) كتاب الفتن والملاحم، والترمذي (٢٢١٩) كتاب الفتن، وصححه

العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

اتخاذ المساجد طرقاً

قال ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد لا يصلي فيه ركعتين»^(١). وهذا ليس فيه تعظيم لشعائر الله، فالمساجد ما جعلت لمرور الناس من خلالها، وإنما جعلت للعبادة.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل وصل الأمر في كثير من بلدان المسلمين أن أصبحت المساجد آثاراً سياحية يدخلها الكفار ونساؤهم كاسيات عاريات.. بل وربما تعطل الصلاة حتى تنتهى تلك الزيارة.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فتح بيت المقدس

قال ﷺ: «اعدد ستاً بين يدي الساعة - وذكر منها - فتح بيت المقدس»^(٢). وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

طاعون عمواس

قال ﷺ: «اعدد ستاً بين يدي الساعة - وذكر منها - ثم موتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم»^(٣).

الموتان هو: الموت الكثير.

والقُعاص هو داء يصيب الدواب فتموت فجأة.

وكان هذا الطاعون قد ظهر في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومات فيه خمسة وعشرون ألفاً من بينهم أبو عبيدة عامر بن الجراح.. أمين هذه الأمة.

ضياع الأمانة

فمن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»

(١) صحيح: رواه الطبراني (٢٩٦/٩)، رقم (٩٤٨٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٨٩٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.



قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»^(١).

أَنْ تَجِدَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالْدُّنْيَا .. لَكِحْ ابْنُ لَكِحْ

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكِحْ ابنُ لُكِحْ»^(٢).

واللُكِحْ هو صغير العلم والعقل، وكذلك تُطلق على اللئيم.

بل قال ﷺ: «سيأتى على الناس سنوات خداعات يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويُخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة. قيل: وما الرويضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»^(٣).

وهذا هو الذى نراه في تلك الأيام فقد تجد الناس يعظمون رجلاً، وهو من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين.. وقد يحتقرون رجلاً هو من أكثر الناس بذكلاً وتضحية من أجل نُصرة دين الله (جل وعلا) فإلى الله المشتكى.

انتشار المعازف والغناء

وهذا مما عَمَّت به البلوى في هذا الزمان. فلا تكاد تجد بيتاً إلا وتسمع الغناء والمعارف تنبعث منه، ولا تجد من ينكر عليه.

ولقد جاء الوعيد الشديد لمن يستمع الغناء ولمن يستحله.

قال ﷺ: «ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلون الحرَّ والحريم والخمر والمعارف، ولينزلنَّ أقوامٌ إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم -يعنى: الفقير - لحاجة، فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسحُ آخرين قردةً وخنازير إلى يوم القيامة»^(٤).

وقال ﷺ: «سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسح إذا ظهرت المعازف

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٦) كتاب الرقاق من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٢٠٩) كتاب الفتن، وأحمد (٢٢٧٩٢)، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٧٤٣١) من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦) كتاب الفتن، وأحمد (٧٨٥٢)، وصححه العلامة الألبانى في صحيح ابن ماجه من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٣٩) كتاب اللباس، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٦٧) من حديث أبى مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والقينات واستحلت الخمر»^(١).

ظهور مكاي النبوة

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»^(٢).

ومن بين هؤلاء: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح وغيرهم.

كثرة الأموال

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهمَّ رب المال من يقبله منه صدقة ويُدعى إليه الرجل فيقول: لا أرب لى فيه»^(٣).

ولقد كثر المال في عهد الصحابة - رضاهم - واقتسموا أموال الفرس والروم، وكثر المال في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وسيكثر المال في عهد المهدي وعيسى - عليه السلام - حتى لا يجد الرجل من يأخذ منه صدقته.

كثرة القتل

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج» قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل القتل»^(٤).

وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده لياتين على الناس زمان لا يدري القاتل فى أى شيء قتل ولا يدري المقتول فى أى شيء قتل»^(٥).

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى (١٥٠/٦)، رقم ٥٨١٠، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٦٥) من حديث سهل بن سعد رضاه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٠٩) كتاب المناقب، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضاه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٥٧) كتاب الزكاة من حديث أبى هريرة رضاه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٣٦) كتاب الجمعة، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضاه.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضاه.



وهذا كله قد حدث بسبب انتشار الحروب واستخدام الأسلحة المدمرة، وانتشار الفتن وابتعاد الناس (إلا من رحم الله) عن الدين.. وكثرة المعاصي وخفة العقول.

شرب الخمر واستحلالها

قال ﷺ: «من أشرط الساعة - وذكر منها - ويُشرب الخمر».

وقال ﷺ: «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الجِرَّ والحريِرَ والخمرَ والمعاذِفَ..»^(١).

قتال الحَجَم

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خُوزًا وكِرمان من الأعاجم.. حُمر الوجوه، فُطس الأنوف، صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشَّعر»^(٢).

خُوزًا: هي من بلاد الأهواز من عراق العجم.. بلاد خوزستان. كرمان: هي بلاد مشهورة يحدّها من الغرب بلاد فارس، ومن الشمال خراسان.

قتال التُّرك

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون التُّرك.. قومًا وجوههم كالْمِجَانِ المطرقة، يلبسون الشعر، ويمشون في الشعر»^(٣).

ولقد قاتل المسلمون التُّرك في عصر الصحابة رضي الله عنهم وذلك في أول خلافة بني أمية في عهد معاوية رضي الله عنه.

كثرة الزلازل

عن سلمة بن نفيل السكوني قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ... (فذكر الحديث وفيه): «وبين يدي الساعة مَوْتَانِ شديداً وبعده سنوات الزلازل»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تكثر

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٥٩٠) كتاب المناقب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩١٢) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد (١٦٥١٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات على غرابة في متنه.

وهذا هو الذى نراه ونسمع عنه بكثرة فى أكثر بلدان العالم.

قبض العلم وكثرة الجهل

قال ﷺ: «إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل ويرفع العلم»^(٢).

وقال ﷺ: «من أشرط الساعة أن يرفع العلم وينت الجهل»^(٣).

وقبض العلم يكون بقبض العلماء.. فقد قال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(٤).

رفع القرآن من الصدور والمجاهد

قال رسول الله ﷺ: «يُدرُس الإسلام كما يدرُس وَشَى الثوب، حتى لا يُدرى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ ويُسرَى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز يقولون: أدر كنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها»^(٥). فقال له صلة: ما تُغنى عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها عليه ثلاثاً، كل ذلك يُعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه فى الثالثة، فقال: يا صلة! تُنجيهم من النار ثلاثاً.

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «ليُترعن القرآن من بين أظهركم؛ يُسرَى عليه

(١) صحيح: رواه البخارى (١٠٣٦) كتاب الجمعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٦٥) كتاب الفتن، ومسلم (٢٦٧٢) كتاب العلم من حديث أبى

موسى رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧٣) كتاب العلم من حديث عمرو بن

العاص رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٧)

من حديث حذيفة رضي الله عنه.

ليلاً، فيذهب من أجواف الرجال، فلا يبقى في الأرض منه شيء». قال ابن تيمية: «يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف». وأعظم من هذا أن لا يُذكر اسمُ الله تعالى في الأرض؛ كما في الحديث عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض: الله، الله»^(١).

شهادة الزور وكتماؤ شهادة الحق

قال ﷺ: «إن بين يدي الساعة: تسليم الخاصة وفشو التجارة؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وشهادة الزور وكتماؤ شهادة الحق وظهور القلم»^(٢). وما أبشعها والله من جريمة تقشعر منها القلوب المؤمنة.. فكم تسببت في ظلم اليتامى والمساكين وحرمانهم من أدنى حقوقهم، وكم تسببت في ضياع الأموال والأعراض (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

انتشار الأمن في البلاد

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق»^(٣).

وفي حديث خباب بن الارت قال ﷺ: «والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون»^(٤).

وهذا قد وقع في زمن الصحابة - رضي الله عنهم - وسيكون ذلك في زمن المهدي وعيسى - عليه السلام -.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٨) كتاب الإيمان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٨٦٠)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (٨٦١٥) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٩٤٣) كتاب الإكراه من حديث خباب بن الارت رضي الله عنه.

خروج نار من أرض الحجاز

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل بصرى»^(١).

ولقد خرجت تلك النار في منتصف القرن السابع الهجرى في عام أربع وخمسين وست مائة، وكانت نارًا عظيمة ظهرت بالمدينة. ونقل ابن كثير أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التى ظهرت من أرض الحجاز.

ذهاب أهل الخير والدين

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته - أى أهل الخير والدين - من أهل الأرض فيبقى فيها عجاجة - وهم الأراذل ومن لا خير فيهم - لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا»^(٢).

وتلك العلامة تكون عند كثرة المعاصى، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. فإن الصالحين إذا رأوا المنكر ولم يغيروه عمَّهم العذاب.. وذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّابٌ أَلْ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٥٢﴾ [الأنفال: ٥٢]، حتى ظهر في تلك الأمة من يفتخر، بل ويتفاخر بأنه يعبد الشيطان من دون الله - جل وعلا - بالرغم من أن الله حذرنا من عبودية الشيطان، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٦٠ وَأَنْ أَعْبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس: ٦٠، ٦١].



(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٨) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩٠٢) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٠)، رقم ٦٩٦٤، قال الهيثمى (٨/ ١٣): رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً ورجاله رجال الصحيح. والحاكم (٤/ ٤٨١)، رقم ٨٣٤١ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ارتفاع الأراذل والسفهاء

كثرة الزنا

الفواحش والزنا بدرجاته: سبحانه الله!! العين تزنى وزناها النظر، والأذن تزنى وزناها الاستماع، واليد تزنى وزناها البطش، والرجل تزنى وزناها المشي ويصدق على هذا كله أو يكذبه الفرج سبحانه الله.

وقوع الخسف والمسح والقذف

قال ﷺ: «بين يدي الساعة مسخٌ وخسفٌ وقذفٌ»^(١).
ولقد جاء الوعيد الشديد لأهل المعازف والخمور بتلك العقوبات.
قال ﷺ: «في هذه الأمة خسف ومسح وقذف»، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: «إذا ظهرت القيان والمعارف وشربت الخمور»^(٢).

ظهور الكاسيات العاريات

قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: - وذكر منها - ونساء كاسيات عاريات ميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(٣).
تالله إنني لا أتصور أبداً أن مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر تقرأ هذا الحديث وتعلم أن النبي ﷺ أخبر أنها من أهل النار إن لم تلتزم بحجابها، ثم تستمر بعد ذلك، بل وتصر على أن تكون كاسية عارية.
والعجب كل العجب ليس من النساء فحسب، بل من الرجال الذين يرضون

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٥٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٢١٢) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٠٤) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يخرج نسائهم بتلك الهيئة.

فإن لم يكن عنده الوازع الديني، فأين النخوة والرجولة والغيرة التي تجعل الرجل العفيف يغار على عرضه، بل أين الرجل الذي يتدبر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَقْلِبُوا نَازًا قُدُّوا أَلْسِنًا وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ لَا يَمْسُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. وقول رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...»^(١). فإنا لله وإنا إليه راجعون على ضياع النخوة والرجولة والمروءة، فضلاً عن هوان الدين في قلوب أكثر المسلمين (إلا من رحم الله).

غزارة الأمطار وقلة الإنابات

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يُمطرَ الناس مطراً عاماً ولا تُنبِت الأرض شيئاً»^(٢). وهذا من كثرة المعاصي التي تنزع البركة من الزرع والماء، بل ومن الأرض والسماء.

فسهو التجارة (كثرتها)

قال ﷺ: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفسهؤ التجارة حتى نعين المرأة زوجها على التجارة...»^(٣). وهذا كله من أجل التنافس على تلك الدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

تقارب الأسواق

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق»^(٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٢٠٢١)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤٠٧/١)، رقم (٣٨٧٠) قال الهيثمي (٣٢٩/٧): رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح. والحاكم (١١٠/٤)، رقم (٧٠٤٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه ابن حبان (١١٣/١٥)، رقم (٦٧١٨)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة=

ولقد تقاربت الأسواق بتقدم وسائل المواصلات، وكذلك بمعرفة الأسعار في كل الأقطار من خلال وسائل الاتصال، وبذلك تتقارب الأسعار في أكثر الأسواق لاقتها من بعضها البعض ومعرفة التجار بأسعار الأسواق المجاورة.. والله أعلم.

التماس العلم عند الأصاغر

قال عليه السلام: «إن من أشراط الساعة أن يُلتمس العلم عند الأصاغر»^(١).
وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد عليه السلام ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا».

إشاعة الكذب وكثرته

قال عليه السلام: «سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم»^(٢).
وهذا مما عمّت به البلوى فلقد انتشر الكذب بين الناس، بل وبين بعض الذين لا يثبتون من صحة الحديث الذي ينقلونه للناس عن رسول الله عليه السلام.
ولقد حذر النبي عليه السلام من ذلك فقال: «..ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٣).

أن يتمنى الرجل الموت من شدة البلاء

قال عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه»^(٤).

= (٢٧٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) صحيح: أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٠/١)، رقم (٦١)، والطبراني (٣٦١/٢٢)، رقم (٩٠٨)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٩٥) من حديث عن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦) في المقدمة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٢٩١) كتاب الجنائز من حديث المغيرة بن شعبة ط، ومسلم (٣) في المقدمة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشرط الساعة من=

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «سيأتى عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يُباع لأشتره».

وهذا كله بسبب كثرة الفتن التى يتعرض لها أهل الإيمان الذين يعيشون الغربة فى كل زمان ومكان.

كثرة النساء وقلة الرجال

قال ﷺ: «من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»^(١).

قال العلماء فى تفسير الحديث ما معناه: أن ذلك يكون بسبب كثرة الفتن والحروب، فيقتل الرجال ويكثر عدد النساء، وقيل إنه يكون لكثرة الفتوح فتكثر السبايا، وقيل إن الله يقدّر فى آخر الزمان أن يقل عدد المواليد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث. والله أعلم، وإذا نظرت اليوم سوق الزواج توقف لأننا صعبنا الحلال فصار الحرام يسيرًا.. الحلال صار صعبًا الشاب لكى يتزوج.. هذه مسألة من رابع المستحيلات.. من أين يحضر، من أين يفرش، من أين شبكة، من أين مهر، من أين مؤخر صداق فالحلال صار صعب فصار الحرام أمره ميسور فكثرت الزنا وكثرت الفواحش فلا بد من وقفة حتى ننظر أمر الشباب وأمر تزويجه... وإلا سوف يحاسبنا الله جميعًا وعلى ولى أمر البنت أن لا يصعب على العريس الذى يأتى مسألة الزواج وعليه أن يتقى الله فى ابنته ونحن نرى نسبة الزواج العرفى بسبب المغالاة فإذا جاءك شابٌ ترضى دينه وفروجه ويسر عليه ولا تشق عليه.

كما قال النبى ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنه فى الأرض وفساد كبير»^(٢) وأناشد الأغنياء أن يزوجوا الشباب من ضمن الصدقات فكل ثرى يزوج واحدًا أو أكثر فيكرمه الله كرمًا كبيرًا ويكون هذا فى ميزن حسناته يوم

= حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨١) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) حسن: رواه الترمذى (١٠٨٤) كتاب النكاح، وحسنه العلامة الألبانى فى الإرواء (١٨٦٨).



لا ينفع مال ولا بنون لأنه تسبب في عفة شاب وفتاة من المسلمين.

لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مَرُوجًا خَضِرًا

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مَرُوجًا وَأَنْهَارًا»^(١).

وهذا دليلٌ على أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا، وأنها ستعود مرة أخرى مروجًا وأنهارًا كما كانت.

الْمَدِينَةُ تَنْفَى شَرَارَهَا وَتُخْرِبُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

قال ﷺ: «... لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفَى الْمَدِينَةُ شَرَارَهَا كَمَا يَنْفَى الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٢).

وقد حمل القاضي عياض نفى المدينة لخبثها في زمن النبي ﷺ.. وحمله النووي على زمن الدجال.. وذكر الحافظ ابن حجر أنه يُحتمل أن يكون المراد كلاً من الزمنين. وأما خروج الناس بالكلية من المدينة وخرابها، فذلك سيكون في آخر الزمان قريباً من قيام الساعة.

فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تَرْكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَاقِفُ - يَرِيدُ عَوَاقِفَ السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ - وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزْنَةٍ، يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بَغْنَمَهُمَا، فَيَجِدَانَهَا وَحْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوُدَاعِ؛ خَرًّا عَلَى وَجُوهِهِمَا»^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٧) كتاب الزكاة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٨١٧) كتاب الحج، ومسلم (١٣٨١) كتاب الحج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٧٤) كتاب الحج، ومسلم (١٣٨٩) كتاب الحج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جسر الفرات عن جبل من ذهب

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذى أنجوا»^(١). ولقد نهى النبى ﷺ عن أخذ شىء من ذلك الجبل، فقال ﷺ: «يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً»^(٢)، وقد رجح الحافظ ابن حجر أن سبب المنع من الأخذ من هذا الذهب لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه.

تقارب الزمان

لا تقوم الساعة حتى تذهب البركة من الوقت فيتقارب الزمان كما قال الحبيب ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كالיום ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضربة بالنار»^(٣) حصل فالبركة تنزع من الوقت .. ولقد سئل أبو حنيفة: يا أبا حنيفة في كم يوم تختتم القرآن. قال: في الصلاة أم في خارج الصلاة قالوا: أهول له ختمة في الصلاة وختمه خارج الصلاة، قال لهم: في صلاة الليل أم في صلاة النهار هكذا كانت البركة في الوقت في عصرهم ﷺ.

ولكن نحن ربنا نزع منا البركة من الوقت، ونزع البركة من الأعمار - لا بركة في العمر ولا بركة في الرزق. نسأل الله أن يعيد البركة إلينا مرة أخرى.

كلام السباع مع الإنس

قال ﷺ: «والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٤) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم البخارى (٧١١٩) كتاب الفتن من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٣٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٢٢)

من حديث أنس رضى الله عنه.

الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذُه بما يحدث أهلُه بعده»^(١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: «بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضر بها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنا خلقنا للحرث». فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم فقال: «فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثم - وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كأنه استنقذها منه فقال له الذئب هذا استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيري». فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم قال: «فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثم»^(٢).

ظهور الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة»^(٣).

والفحش هو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي.
وقد وقع كل ذلك فانتشرت المعاصي في بلاد المسلمين بصورة لم تخطر على قلب بشر، وقُطعت الأرحام حتى بين الأبناء والآباء، وأما سوء الجوار؛ فإنني والله أجد نفسي عاجزاً عن وصف سوء الجوار الذي يحدث بين الناس في تلك الأيام وإنا لله وإنا إليه راجعون... وذلك كله من ضعف الإيمان.

انتشار الربا وأكل الحرام

قال ﷺ: «بين يدي الساعة يظهر الربا»^(٤).

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢١٨١) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٧٠٨٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاری (١٢٨٠/٣) رقم: (٣٢٨٤)، ومسلم (١٨٥٧/٤) رقم: (١٣).

(٣) رواه أحمد (٢٧٧٥٧)، وقال الشيخ الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٤) صحيح: رواه الطبرانی فی الأوسط ورجاله رجال الصحيح كما فی مجمع الزوائد (٢١٣/٤) رقم: (٦٥٨٢)، وصححه العلامة الألبانی السلسلة الصحيحة (٣٤١٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

بل ولم يقتصر الأمر على ظهور الربا، بل لقد استشرى أكل الحرام بين الناس بصورة عجيبة.. وهذا ما أخبر عنه الصادق المصدوق عليه السلام حيث قال: «يأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام»^(١).

التناكر بين الناس

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة؟ فقال: «علمها عند ربى، لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها، وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجاً». قالوا: يا رسول الله! الفتنة قد عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال: «بلسان الحبشة: القتل. ويُلقي بين الناس التناكر، فلا يكاد أحد أن يعرف أحداً»^(٢).

وتلك العلامة نراها بين الخواص، فضلاً عن العوام.. فالتناكر انتشر بين المسلمين انتشار النار في الهشيم.. فالكل -إلا من رحم الله- يسعى لحظوظ نفسه، ولو كان ذلك على حساب الآخرين.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المسلمون واليهود يتقاتلون

كما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»^(٣) لذلك أنت لما تذهب القدس ويافا وحيفا تنظر تجد واليهود يزرعة شجر الغرقد لعلمهم بصدق رسول الله لأن الغرقد هذا الذى سيختبئون وراءه فلن يقول عليهم وهناك رأى للعلماء يقول: احتمال هذا نداء معنوى فنحن إنشاء الله سيكرمنا الله ونحارب اليهود فندمر الحصون.. فلا توجد حصون يختبئون فيها فنستطيع قتلهم وأسهرهم بسهولة

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٨٣) كتاب البيوع من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣٨٩/٥)، رقم (٢٣٣٥٤) قال الهيثمى (٣٠٩/٧): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٧١) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٢٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٩٢٢) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ويعود إلينا المسجد الأقصى إن شاء الله مرة ثانية بإذن الله.

تسليم الخاصة

قال ﷺ: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة»^(١).

وقال ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة»^(٢).

فكثير من الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون، وهذا أمرٌ مخالف لسنة الحبيب ﷺ الذي حثَّ الناس على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف. فالسلام سبب في إشاعة الحب والرحمة بين المسلمين، والحب سبب لزيادة الإيمان، والإيمان هو جنة الدنيا التي تثمر جنة الآخرة.

كثرة موت الفجأة

قال ﷺ: «..... وأن يظهر موت الفجأة»^(٣).

ولقد كثر موت الفجأة في تلك الأيام حتى إنك تقف مع الرجل وبه من الصحة والعافية ما لا يعلمه إلا الله، وفجأة تجده قد سقط ميتاً. ولذلك فلا بد أن يكون المؤمن دائماً على طاعة الله في جميع أحواله، فإنه لا يدري متى يأتيه الموت.

تباهى الناس في المساجد وزخرفتها

فسبحان الله يتباهى الناس في المساجد أو بالمساجد «فتزخرف» فيصير هذا المسجد أحمر وهذا أخضر قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٨٦٠)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٨٣٨)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) حسن: أخرجه الطبراني في (الصغير ص ٢٣٣)، وحسنه العلامة الألباني صحيح الجامع (٥٨٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

«مساجد»^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنه: «لُتْزَخِرْفَتَهَا كَمَا زَخِرَفَتِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى». وقال أنس رضي الله عنه: «يَتَبَاهُونَ بِهَا ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا». فالتباهى بها: العناية بزخرفتها.

ولا شك أن عمارة المسجد الحقيقية لا تكون إلا بالطاعة والذكر، ولذلك نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن زخرفة المساجد خوفاً أن ينشغل الناس عن العبادة، فقال للقائمين على تجديد المسجد النبوي: «أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحْمَرُ أَوْ تُصَفَّرَ فَتَفْتَنَ النَّاسَ».

علامات الساعة الكبرى

ولما كان اليوم الآخر من الأمور الغيبية، أعان الله سبحانه وتعالى خلقه على الإيمان به بأمر كثيرة، ومن ذلك ربط هذا الغيب بالأمور المحسوسة، فإن الغيب إذا ربط بالأمور المحسوسة سهل الإيمان به على الإنسان، ومن هذه الأمور المحسوسة التي تعين على الإيمان باليوم الآخر، أشراف الساعة.

* وأهمية معرفة هذه الأشراف والأمارات، تظهر من أهمية الإيمان باليوم الآخر، ولذلك فإن الإيمان بأشراف الساعة وعلاماتها الصحيحة الثابتة، جزء لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر، والذي هو الآخر جزء لا يتجزأ من الإيمان بالغيب.

وقيام الساعة من الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ يُنْقَلِتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

* والحديث عن أشراف الساعة مهم، ولا سيما إذا ابتعد الناس عن تذكر الآخرة واشتغلوا بالدنيا وملذاتها، فإن في أشراف الساعة المحسوسة التي تظهر ويراهها الناس بأعينهم كما أخبر النبي ﷺ، ما يعيد الناس إلى ربهم ويوقظهم من غفلتهم، فعن حذيفة

(١) صحيح: رواه أبو داود (١/ ١٢٣، رقم ٤٤٩)، وابن ماجه (١/ ٢٤٤، رقم ٧٣٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح أبي داود من حديث أنس رضي الله عنه.

ابن أسيد الغفاري - رحمه الله - قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات» فذكر: الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم^(١).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أخفى الساعة عن الخلق، فقد جعل لها عز وجل علامات تدل على قرب وقوعها، ومن الآيات الدالة على ذكر الأشراف قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

ظهور المهدي

* من علامات الساعة وأماراتها الكبرى ظهور المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، ويلى أمر هذه الأمة ويجدد لها دينها، وهو رجل يحكم بالإسلام ويملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً، تنعم الأمة في عهده بالخيرات والنعم التي لم تنعم بمثلها قط، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : في زمانه تكون الثمار كثيرة، والزرع غزيرة، والمال وافرًا، والسلطان قاهرًا، والدين قائمًا، والعدو راغمًا، والخير في أيامه دائم

* وهو الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يعجى في آخر الزمان، ويؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المستظلمون ويستولى على الممالك الإسلامية، ويكون من أهل بيته ﷺ، ويخرج في زمنه عيسى عليه السلام، والدجال.

* وهو من سلالة النبي ﷺ ومن أبناء فاطمة - عليها السلام - وعلى خده شامة كأنها كوكب دري، واسم المهدي (محمد)، واسم أبيه (عبد الله).

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض...» الحديث.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه.

وفي رواية أخرى : « لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي »^(١).

وأما نسبه: فالروايات الكثيرة تبين لنا أنه من ولد فاطمة البتول ، ابنة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام ﷺ وعن أولادها الطاهرين .

عن أم سلمة ؓ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المهدي من عترتي من ولد فاطمة »^(٢).

وعن علي بن أبي طالب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة »^(٣).

فهذه الأخبار كلها تؤكد أن المهدي من ذرية رسول الله ﷺ ، من ولد فاطمة الزهراء صفة المهدي:

من صفات المهدي الواردة في السنة ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ؓ قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول: « المهدي مني ، أجلى الجبهة ، أقى الأنف ، يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، ويملك سبع سنين »^(٤).

ومن الأمور الدالة عليه، أنه يخرج في زمان ساد فيه الجور والظلم ، فيقيم هو بأمر الله العدل والحق ، ويمنع الظلم والجور ، وينشر الله به لواء الخير على الأمة ، حيث يسقيه الله الغيث فتمطر السماء كثيرا لا تدخر شيئا من قطرها ، وتؤتي الأرض أكلها لا تدخر عن الناس شيئا من نباتها ، وتكثر المواشي بسبب الخيرات ، ويفيض المال فيقسمه بين الناس بالسوية . فعن أبي سعيد الخدري ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « يخرج في آخر أمتي المهدي ، يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطى المال

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠) كتاب الفتن، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٥٤٥٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٨٤) كتاب المهدي، وابن ماجه (٤٠٨٦) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٧٣٤).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٨٥) كتاب الفتن، وأحمد (٦٤٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٧٣٥).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٢٨٥) كتاب المهدي، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٦).

صحاحا، وتكثر الهاشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعا، أو ثمانيا، يعنى حججا^(١).
كثرة الخيرات فى عهده:

وفى عهد المهدي تكثر الخيرات وتعمُّ البركات وتنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعمها قط... فتخرج الأرض خيراتها وتُنزل السماء بركاتها، ويكثر المال ويفيض ويسعد الناس سعادة لا يعلم قدرها إلا الله (جل وعلا).

قال ابن كثير رحمه الله: «فى زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافرا، والسلطان قاهرا، والدين قائما، والعدو راغما، والخير فى أيامه دائما».

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج فى آخر أمتى المهدي؛ يسقيه الله الغيث، وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطى المال صحاحا، وتكثر الهاشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعا أو ثمانيا يعنى: حججا^(٢)».

ولأن عيسى (عليه السلام) ينزل ويصلى خلف المهدي فإننى سأذكر بعض الخيرات التى ستكون فى تلك الحقبة المباركة.

فقد جاء فى حديث النواس بن سمعان الطويل فى ذكر الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج فى زمن عيسى (عليه السلام) ودعائه عليهم وهلاكهم، وفيه قوله ﷺ: «ثم يرسل الله مطرا لا يُكنُّ منه بيتٌ مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة - المرأة - ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك، وردى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك فى الرسل - اللبن - حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس^(٣)».

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى، ودينهم

(١) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٦٠١، رقم ٨٦٧٣)، وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧١١).

(٢) صحيح: رواه أخرجه الحاكم (٤/ ٥٥٧ - ٥٥٨) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبى، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٥٢٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل... فيهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، ولتنهار مع البقر، والذئب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لينزلن عيسى بن مريم حكماً عادلاً... وليضعن الجزية، ولتركن القلاص - الناقة الشابة - فلا يُسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال؛ فلا يقبله أحد»^(٢).

كيف نعلم بظهور المهدي:

ولقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ عن علامات نعرف من خلالها أن هذا الرجل الذي سيظهر هو المهدي... وعلى رأس تلك العلامات أنه سيصلي خلفه عيسى (عليه السلام).

ومن العلامات المحكمة أن يُخسف بالجيش الذي يقصد المهدي، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال: «العجبُ أن ناساً من أمتي يؤمون البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس، قال: «نعم، فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم»^(٣).

وعن عبد الله بن صفوان عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «سيعوذ بهذا البيت - يعنى الكعبة - قوم، ليست لهم منعة، ولا عدد، ولا عدة، يبعث إليهم جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم»^(٤).

الأدلة من السنة على ظهوره:

ولقد وردت جملة من الأحاديث الصحيحة والحسنة التي تدل على ظهور المهدي

(١) صحيح: رواه أحمد (٩٠١٧)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ورواه مسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢١١٨) كتاب البيوع، ومسلم (٢٨٨٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها.

في آخر الزمان كحلقة الوصل ما بين علامات الساعة الصغرى والكبرى... وسأكتفى بذكر بعضها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا، قال: ثم يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا»^(١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي، من ولد فاطمة»^(٢).

عيسى (عليه السلام) يصلي خلف المهدي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟!»^(٤).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة». قال: «فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض إمراء، تكرمة الله هذه الأمة»^(٥).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/٣٦، رقم ١١٣٣١)، وابن حبان (١٥/٢٣٦، رقم ٦٨٢٣)، والحاكم (٤/٦٠٠، رقم ٨٦٦٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٨٤) كتاب المهدي، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٤) من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) صحيح: صححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٩٣) وقال عزاه السيوطي في الجامع لأبي نعيم في كتاب المهدي.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٥٦) كتاب الإيمان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

الأمة - مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة - دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة، والله أعلم. اهـ.

لا بد من العمل لنصرة الإسلام:

قال الشيخ الألباني رحمه الله رحمه واسعة: لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض؛ انتظاراً منهم لخروج المهدي، ونزول عيسى عليهما السلام يأساً منهم، أو توهماً أن ذلك غير ممكن قبلهما، فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل؛ فإن الله تعالى أو رسوله ﷺ، لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض، إلا في زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَصُورُوا اللَّهَ يَضْرِبْكُمْ وَيُزَيِّتْ لِقَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]

صحوة مباركة قبل ظهور المهدي:

وليكن معلوماً لدى الجميع أن الخلافة الراشدة تعود قبل ظهور المهدي؛ وليس كما يعتقد الناس، وترغم بعض الجماعات الإسلامية أن الخلافة يرجعها المهدي، وهم ينتظرونه؛ فإن هذا ما لا دليل عليه، بل هو وهم، وخرص، وتخمين. ومن الأدلة الدامغة على أن الخلافة ترجع قبل هذا الخليفة الصالح أن المسلمين يسترجعون بيت المقدس من اليهود، أي أن بيت المقدس يكون في أيدي المسلمين، وبيت المقدس الآن يرزح تحت نيران الاحتلال الصهيوني اليهودي البغيض، فلا بد من قيام الخلافة قبل المهدي، لأنها هي السبيل الوحيد لاسترجاع مجد الإسلام التليد. اهـ.

عودة الأقصى.. قبل ظهور المهدي:

أجل والله... إن الأقصى سيعود مرة أخرى للمسلمين، ولكن لا بد أن نعلم أن الأقصى لن يعود إلا إذا عادت الأمة إلى شرع ربها وسنة نبيها ﷺ وإلى رفع راية الجهاد في سبيل الله (جل وعلا).

ويقتضى هذا كله أن القتال في فلسطين سيعود إسلامياً خالصاً في سبيل الله وحده

لا قومياً رغم أنف العلمانيين والقوميين وأذناهم، ولا يقدر على ردع الشيطان اليهودي سوى نور القرآن؛ يحرقه ويبيده، ولن يهزم شركهم إلا توحيدنا، ولعل تعقيب الآيات في سورة الإسراء بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ، فيه إشارة لطيفة إلى أن سلاح العودة إلى بيت المقدس، وقبلتنا الأولى هو كتاب ربنا لا غير، وعودة الأقصى للمسلمين بالمثابة التي ذكرنا تستلزم قيام خلافة راشدة على منهاج النبوة؛ فقد قال ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً؛ (أى وراثياً)، فيكون جبرياً، (أى قهرياً) فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»^(١).

الرد على من زعم أن الخلافة لن تعود قبل ظهور المهدي:

قال الشيخ الألباني رحمه الله في معرض رده على من زعم أن دولة الخلافة الإسلامية لن تعود قبل ظهور المهدي:

واعلم يا أخى المسلم أن كثيراً من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي، وهذه خرافة وضلالة ألغها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي ﷺ بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات أبرزها: أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام، فهو لفي الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة، كما صح عنه ﷺ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعى وراء طلب العلم، والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل

(١) صحيح: أخرجه الطيالسي (ص ٥٨ ، رقم ٤٣٨) ، والبخاري (٧/ ٢٢٣ ، رقم ٢٧٩٦) ، وأحمد (٤/ ٢٧٣ ، رقم ١٨٤٣٠) ، قال الهيثمي (٥/ ١٨٩) : رواه أحمد في ترجمة النعمان والبزار أتم منه والطبراني يبعثه في الأوسط ورجاله ثقات، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٥).

نعكس هو الصواب؛ فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ﷺ الذي ظل ثلاثة وعشرين عامًا، وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعةً وأحزابًا، وعلماء هم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رؤوسًا، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا - بلا شك - يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج، فقد قاموا بواجبهم، والله يقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَاحِدًا﴾

[التوبة: ١٠٥]

لا بد من التصفية والتربية قبل ظهور المهدي:

قال العلامة ناصر الدين الألباني رحمه الله في معرض مناقشته للذين ادعوا اقتراب ظهور المهدي: «ما أظن أن هذا أو أن ظهوره، فهذا مقتضى السنة الكونية، وما أحسب المهدي يقدر - خلال سبع سنين - على أن يحدث من التغيير في العالم أكثر مما أحدثه رسول الله ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، وظنى أن المهدي سيكون رجلًا فريدًا في كل باب: فريدًا في علمه، فريدًا في ورعه، فريدًا في عبادته، فريدًا في خلقه، وأنه سيظهر، وقد تنبأ للعالم الإسلامي وضع صلح فيه أمر الأمة، وتمت فيه مرحلتنا «التصفية والتربية»، ولم يبق إلا ظهور الزعيم المصلح الذي يقوده، وهو المهدي». اهـ.

فعلى هذا لا بد أن يهتم الدعاة والمصلحون بتربية هذا الجيل تربية إيمانية كما ربّى النبي ﷺ أصحابه على النبع الصافي حتى تنهيا الأمة لاستقبال الزعيم المصلح الذي يقود الأمة بشرع الله وبسنة رسول الله ﷺ فيكون التمكين - بإذن الله - على يديه.

أسأل الله (جل وعلا) أن يعجل بهذا اليوم وأن يجعلنا ممن يشاركون في بناء الدولة المسلمة، وأن نكون من جنود الخلافة الراشدة، وأن يُقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المسيح الدجال

وتعالوا بنا لتتعرف على أخطر وأعظم الفتن التي ستمر على البشرية كلها عبر تاريخها الطويل - ألا وهي فتنة المسيح الدجال.

السرف تسميته بالمسيح الدجال:

ولفظه (الدجال): أصبحت علمًا على المسيح الأعور الكذاب، فإذا قيل: الدجال؛ فلا يتبادر إلى الذهن غيره.

وسُمي الدجال مسيحًا؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يومًا.

والقول الأول هو الراجح؛ لما جاء في الحديث: «إن الدجال ممسوح العين»^(١).

أما المسيح عيسى (عليه السلام) فُسِمَ بذلك لأنه كان يمسح المريض فيبرأ بإذن الله (جل وعلا).

وسُمي الدجال دجالًا؛ لأنه يغطي الحق بالباطل، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم، وقيل: لأنه يغطي الأمر بكثرة جموعه. والله أعلم.

صفات الدجال:

الدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج؛ عرفه المؤمنون، فلا يُفْتَنُون به، بل يكونون على علم بصفاته التي أخبر بها الصادق عليه السلام، وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس، فلا يغتر به إلا الجاهل الذي سبقت عليه الشقوة... نسأل الله العافية.

ومن هذه الصفات أنه رجل، شابُّ أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة، ولا جحرًا، كأنها عنب طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٣) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وهذه بعض الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته السابقة، وهي من لأدلة على ظهور الدجال.

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم أطوف بالبيت... (فذكر أنه رأى عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم رأى الدجال، فوصفه، فقال: فإذا رجل جسيم، نحر، جعد الرأس، أعور العين، كأن عينه عنبه طافئة؛ قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شبهاً ابن قطن، رجل من خزاعة»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس، فقال: «إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى؛ كأن عينه عنبه طافية»^(٢). وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مسيح الدجال رجل، قصير، أفجع، جعد، أعور، مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء، فلإن ألبس عليكم؛ فاعلموا أن ربكم ليس بأعور»^(٣).

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر»^(٤).

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «وإن بين عينيه مكتوب كافر»^(٥).

وفي رواية: ثم تهجاها «(ك ف ر)؛ يقرؤه كل مسلم»^(٦).

وفي رواية عن حذيفة: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»^(٧).

قال النووي: «الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية، جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله؛ يُظهرها الله تعالى لكل مسلم؛ كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته

(١) صحيح: رواه البخاري (٧١٢٨) كتاب الفتن من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٩) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٢٠) كتاب الملاحم، وصححه العلامة الألباني في المشكاة () من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث حذيفة بن اليان رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٧١٣١) كتاب الفتن من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٣) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث حذيفة رضي الله عنه.

وفتنته، ولا امتناع في ذلك».

فهذا يراه المؤمن بعين بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة؛ كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته، ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم؛ لأن ذلك الزمن تنخرق فيه العادات.

ومن صفاته أيضًا ما جاء في حديث فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - في قصة الجساسة، وفيه قال تميم - رضي الله عنه -: «فانطلقنا سرعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط، وأشدّه وثاقًا».

بل وأخبر النبي ﷺ: أن الدجال «عقيم لا يولد له»^(١).

بطلان دعوى الربوبية:

إذا كانت تلك صفات الدجال، وهى صفات بها نقصن كبير، فكيف يصح لهذا المخلوق الضعيف دعوى الربوبية، إنه يدعى أنه رب الناس... ورب الناس لا يرى في الدنيا، يقول ﷺ: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت»^(٢)، ثم هو غير سوى الخلقة، فيه عيوب لا تحفى،... منها عوره.

وصدق ابن العربي في قوله: «في اختلاف صفات الدجال بما ذكر من النقص بيان أنه لا يدفع النقص عن نفسه كيف كان، وأنه محكوم عليه في نفسه». ومراده أنه لو كان ربًا لأزال النقص الذى في نفسه، فعدم إزالته دليل على أنه مربوب مقهور لا يستطيع أن يتخلص من عيوبه.

وتركيز الرسول ﷺ على كونه أعور «لكون العور أثرًا محسوسًا يدركه العالم والعامى، ومن لا يهتدى إلى الأدلة العقلية»، وإلا فإن أصحاب العلم يمكن أن يدركوا أمره، ويصلوا إلى حقيقة دعواه.

أكبر فتنة إلى قيام الساعة:

وإن فتنة المسيح الدجال هى أكبر فتنة منذ خلق الله آدم (عليه السلام) وإلى أن تقوم الساعة... وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التى تبهر العقول

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٢٧) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣١) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وتحير الألباب.

قال ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»^(١).

صور من فتنة المسيح الدجال:

إن الدجال سيدعى أنه إله من دون الله (جل وعلا)... وسيعطيه الله (عز وجل) من القدرات والإمكانات ما يكون سبباً للفتنة ولذا فإنه لا يثبت أمام فتنة الدجال إلا من اعتصم بالله وتسليح بالإيمان والتوحيد.

وأما عن القدرات والإمكانات التي ستكون مع الدجال... والتي ستكون سبباً في فتنة أصحاب القلوب المريضة فهي:

١ - جنته وناره:

فقد ورد أن معه ما يشبه الجنة والنار أو أن معه ما يشبه نهراً من ماء ونهراً من نار... وليس الأمر كما يراه الناس فإن الذي يرونه ناراً فإنما هو ماءً بارداً وإن الذي يرونه ماءً بارداً فإنه نارٌ.

قال رسول الله ﷺ: «معه (أى الدجال) جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار»^(٢).

وفي رواية عند مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما: رأى العين ماءً أبيض، والآخر: رأى العين ناراً تأجج، فإما أدركن أحد، فلبأت الذي يراه ناراً وليغمض، ثم ليطأطأ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد»^(٣).

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم عن حذيفة أيضاً: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً وناراً، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً، فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماء عذب طيب»^(٤).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٦) كتاب الفتن وأشرط الساعة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث حذيفة رضى الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث حذيفة رضى الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٥٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث حذيفة بن اليان رضى الله عنه.

٢ - سرعة انتقاله بين البلدان:

ومن فتنه الدجال أنه يتجول بين البلدان بسرعة تفوق الخيال فلقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ، كما عند مسلم - فقالوا: يا رسول الله وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح»^(١).

ولذلك فهو سيدخل كل بلد على وجه الأرض فيما عدا مكة والمدينة.

٣ - استجابة السماء والأرض لأمره!!!

ومن فتنته أنه يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويدعو الماشية فتتبعه ويأمر الخرائب أن تخرج كنوزها المدفونة فتستجيب.

قال ﷺ: «... فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر. والأرض فتنبت. فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت درًا وأسبغه ضروعًا، وأمدّه خواصر. ثم يأتى القوم. فيدعوهم فيردون عليه قوله. فينصرف عنهم. فيصبحون مُحلّين ليس بأيديهم شيء من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك. فتتبعه كنوزها كيما سيب النحل...»^(٢).

هو أهون على الله من ذلك:

عن المغيرة بن شعبة، قال: ما سأل أحد النبی ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته. قال: «وما سؤالك؟» قال قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خبز ولحم، ونهر من ماء. قال: «هو أهون على الله من ذلك»^(٣).

وهنا نجد أن النبي ﷺ مع أنه أخبر أن الدجال هو أكبر فتنة في هذا الكون إلا أنه يركز على جانب هام من جوانب العقيدة ألا وهو: أنه لن يكون في هذا الكون إلا ما قدره الله (عز وجل)... فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فمع أن الدجال سيكون معه كل هذه الإمكانيات إلا أنه لن يستطيع أن يفعل شيئًا بخلاف ما قدره الله ولذا قال

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٩٧) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث النّوّاس بن سمعان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث النّوّاس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٣٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢١٥٢) كتاب الآداب من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

عن الدجال: «هو أهون على الله من ذلك» أى أنه لن يستطيع أن يتحكم في مقادير نعباد وإنما هو مجرد فتنة عابرة.

٥ - يقتل شاباً ثم يحياه (بإذن الله):

عن أبى سعيد الخدرى (رضي الله عنه) قال: حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن دجال. فكان فيما حدثنا قال: «يأتى، وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخل نقاب المدينة. فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة. فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس. فيقول له: أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه: فيقول الدجال: لرأيتم إن قتلت هذا ثم أحبيته، أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. قال فيقتله ثم يحياه. فيقول حين يحياه. والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن. قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلط عليه»^(١).

هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين:

عن أبى سعيد الخدرى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فيتوجه قبلة رجل من المؤمنين. فتلقاه المسالح، مسالح الدجال. فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذى خرج. قال فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما برنا خفاء فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه. قال فينطلقون به إلى الدجال. فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ. قال فيأمر الدجال به فيُشَبَّح. فيقول: خذوه وشجّوه. فيوسع ظهره وبطنه ضرباً. قال فيقول: أو ما تؤمن بى؟ قال فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال فيؤمر به فيؤثر بالمشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه. قال ثم يمشى الدجال بين القطعتين. ثم يقول له: قم فيستوى قائماً. قال ثم يقول له: أتؤمن بى؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس. قال فيأخذه الدجال ليذبحه. فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً. فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال فيأخذ يديه ورجليه فيقذف به. فيحسب الناس أنها قذفه إلى النار. وإنما ألقى في الجنة» فقال رسول الله ﷺ:

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٣٢) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩٣٨) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث أبى سعيد الخدرى (رضي الله عنه).

«هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»^(١).

الأنبياء يحذرون أقوامهم من فتنة الدجال:

ولأن الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم) يعلمون يقيناً خطر فتنة الدجال فإنه ما من نبي إلا وقد أندر قومه من فتنة الدجال.

ففي صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأتى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، ولكنى سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، إلا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر»^(٣).

ثميم الدارى... وخبره العجيب:

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أنها سمعت منادى رسول الله ﷺ ينادى: الصلاة جامعة... قالت: فخرجت إلى المسجد. فصليت مع رسول الله ﷺ. فكنت في صف النساء التي تلى ظهور القوم. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك. فقال: «يلزم كل إنسان مُصلاه». ثم قال: «أتدرون لِمَ جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إني، والله! ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة. ولكن جمعتكم، لأن ثميمًا الدارى، كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم. وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام. فلعب بهم الموج شهراً في البحر. ثم أَرَفَقُوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس. فجلسوا في أقرب السفينة. فدخلوا الجزيرة. فلقيتهم دابة أهلك كثير الشعر. لا يدرون ما قبَّله من دُبُرِهِ. من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم! انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير. فإنه إلى خبركم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٨) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٣٣٧) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧١٣١) كتاب الفتن من حديث أنس رضي الله عنه.

بالأشواق. قال: لما سَمَّتَ لنا رجلاً فرقنا منها (خفنا) أن تكون شيطانة. قال فانطلقنا سراعاً. حتى دخلنا الدير. فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً. وأشدّه وثاقاً. مجموعة يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه، بالحديد قلنا: ويلك! ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري. فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب. ركبنا في سفينة بحرية. فصادفنا البحر حين اغتلم. فلعب بنا الموج شهراً. ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه. فجلسنا في أقربها. فدخلنا الجزيرة. فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر. لا يُدري ما قبله من دُبره من كثرة الشعر. قلنا: ويلك! ما أنت! فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير. فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً. وفزعنا منها. ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخل بَيْسَانَ. قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: لسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هى كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال: أخبروني عن عين زُغَرَ. قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بهاء العين؟ قلنا له: نعم. هى كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإنى مخبركم عنى. إنى أنا المسيح. وإنى أوشك أن يؤذن لى في الخروج. فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة. غير مكة وطيبة. فهما عمرتان علىّ. كلتاها كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما، استقبلنى ملك بيده السيف صُلْتًا. يصدنى عنها. وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قالت: قال رسول الله ﷺ، وطعن بمخصرته في المنبر «هذه طيبة. هذه طيبة. هذه طيبة» يعنى المدينة «ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟» فقال الناس: نعم. قال: «فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن. لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، ما هو. من قبل المشرق، ما هو»

وأوماً بيده إلى المشرق... قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ^(١).

حال المسلمين في العصر الذي يخرج فيه الدجال:

قبيل خروج الدجال يكون للمسلمين شأن كبير، وقوة عظيمة، ويبدو أن خروجه إنما هو للقضاء على تلك القوة، ففي ذلك الوقت يصلح المسلمون الروم، ويغزون جميعاً عدواً مشتركاً فيُنصرون عليه، ثم تثور الحرب بين المسلمين والصليبيين.

ففى سنن أبى داود عن ذى مخبر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتُصرون وتغنمون وتسلمون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرج ذى تلؤل، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة،... وزاد بعضهم: «فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة»^(٢).

فأنت ترى قوة المسلمين في ذلك الوقت، حيث إنهم يغزون ويُصرون ويغنمون ويرجعون سالمين وترى إلى أى مدى هم متمسكون بدينهم، فإن ذلك الصليبي عندما يرفع الصليب زاعماً أن الانتصار الذى شارك المسلمون في تحقيقه كان للصليب، يقوم مسلم غيور على دينه فيدق ذلك الصليب ويكسره، وتثور العصابة التى تكون في ذلك الموقع من المسلمين إلى سلاحهم، ويقاثلون الروم على الرغم من قلتهم في ذلك الموقع، ويشهد الرسول ﷺ لهم بأنهم شهداء، وأن الله أكرمهم بذلك، ويكون غدر الروم ذلك، وما جرى بعده سبباً في وقوع الملحمة.

النبي ﷺ يصف تلك الملحمة:

ولقد وصف النبي ﷺ تلك الملحمة التى ستدور بين المسلمين والصليبيين... والى سيكون سببها هو السبب الذى أشار إليه في الحديث السابق.. فتأمل معى كيف وصف النبي ﷺ هول تلك الملحمة وشدها وكيف ثبت فيها المسلمون حتى جاءهم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٢) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٩٢) كتاب الملاحم، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٣٦١٢)

من حديث ذى مخبر رضي الله عنه.

صر الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعناق، أو بدابق. فيخرج إليهم جيش من المدينة. من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا فقاتلهم. فيقول المسلمون: لا. والله! لا نخلى بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم. فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً. ويُقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله. ويفتح ثلث. لا يُفتنون أبداً. فيفتحون قسطنطينية. فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون... وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام خرج. فبينما هم يُعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام-. فأثمهم. فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء. فلو تركه لانداب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده. فمريم دمه في حربته»^(١).

وقد حدثنا الرسول ﷺ في حديث آخر عن هول تلك المعركة، وعن الفدائية التي تكون في صفوف المسلمين، حتى إن مجموعات من المسلمين يتبايعون على القتال حتى النصر أو الموت ثلاثة أيام متوالية، ويبدو أن أعداد المسلمين في تلك الأيام قليلة، بدليل أن المسلمين ينتصرون عندما يصلهم المدد من بقية أهل الإسلام.

عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد الله بن مسعود! جاءت الساعة. قال فقعده وكان متكئاً. فقال: إن الساعة لا تقوم، حتى لا يُقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا (ونحأها نحو الشام) فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعنى؟ قال: نعم. وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة. فيشترط المسلمون شرطاً للموت لا ترجع إلا غالبية. فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل. فيفء هؤلاء وهؤلاء. كلٌ غير غالب. وتنفى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطاً للموت. لا ترجع إلا غالبية. فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتنفى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطاً للموت لا ترجع إلا غالبية فيقتلون حتى يمسوا، فيفء

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٧) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة. فإذا كان يوم الرابع، نهد إليهم بقية أهل الإسلام. فيجعل الله الدَّبرَةَ عليهم. فيقتلون مقتلة لم يُر مثلاً حتى إن الطائر ليمر بجنايتهم، فما يخلفهم حتى يخرب ميتاً. فيتعادُّ بنو الأب، كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد. فبأى غنيمة يفرح، أو ميراث يقاسم؟ فينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس، هو أكبر من ذلك. فجاءهم الصريخ، إن الدجال قد خلفهم في ذرايعهم. فيرفضون ما في أيديهم. ويُقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة... قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم. هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ. أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»^(١).

متى سيظهر الدجال؟

ويظهر الدجال بعدما يفتح المسلمون القسطنطينية.. ولذا قال ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يشرب، وخراب يشرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»^(٢).
ووضح النبي ﷺ كيف يفتح المسلمون القسطنطينية وكيف يظهر الدجال بعد فتحها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سمعت بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟» قالوا: نعم يا رسول الله! قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بنى إسحاق. فإذا جاءوها نزلوا. فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم. قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها. الذي في البحر. ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيُفرج لهم. فيدخلوها فيغنموا. فيبينما هم يقتسمون المغنم، إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج. فيتركون كل شيء ويرجعون»^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٩٤) كتاب الملاحم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٠٩٦) من حديث معاذ رضي الله عنه.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٢٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من أين يخرج الدجال؟

يخرج الدجال من المشرق؛ من خراسان، من يهودية أصبهان، ثم يسير في لأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله؛ إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع دخولهما؛ لأنّ ملائكة تحرسهما.

عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق؛ يقال لها: خراسان» (١).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم التيجان» (٢).

قال الحافظ ابن حجر: «وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزمًا» (٣).

وقال ابن كثير: «فيكون بدء ظهوره من أصبهان، من حارة يقال لها: اليهودية».

ولكن ظهور أمره للمسلمين يكون عندما يصل إلى مكان بين العراق والشام.

ففي حديث في صحيح مسلم عن النّوّاس بن سمعان يرفعه: «إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعات يمينًا وعات شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا» (٤). والخلة ما بين البلدين كما يقول الإمام النووي.

أتباع الدجال:

أكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاق من الناس، غالبهم الأعراب والنساء.

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالة» (٥).

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٢٣٧) كتاب الفتن، وابن ماجه (٤٠٧٢) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٣٤٠٤) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٣١) وقال الشيخ الأرئوط: حديث حسن وهذا إسناد قابل للتحسين من أجل محمد ابن مصعب - وهو القرقيساني - فهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين.

(٣) انظر فتح الباری (٩١/١٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٤) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

واسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود، وهم يزعمون أنه يخرج آخر الزمان. فيبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، وهم يزعمون أنه آية من آيات الله، يرد إليهم الملك.

كم يمكث الدجال في الأرض؟

ولقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن المدة التي يمكثها المسيح الدجال في الأرض فقالوا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يومًا. يوم كسنة ويوم كشهر. ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا... اقدروا له قدره»^(١).

قال الإمام النووي: قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله ﷺ. «وسائر أيامه كأيامكم». هكذا يكون الحرص على الدين:

وتأملوا معي كيف أن النبي ﷺ لما أخبر أصحابه بأن الدجال سيمكث أربعين يومًا - منهم يوم كسنة - وإذا بأصحابه يسألونه عن الصلاة ويقولون: أتكفينا فيه صلاة يوم؟... فهذا الذي يشغلهم وذلك لأن الدين هو قضيتهم الأولى والأخيرة (رضى الله عنهم وأرضاهم).

ملائكة الرحمن تحرس مكة والمدينة من الدجال:

ولقد حرم الله (جل وعلا) على الدجال دخول مكة والمدينة. فإن الله حمى مكة والمدينة من الدجال والطاعون.

قال ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»^(٢).

وروى البخاري أيضًا عن أنس يرفعه: «لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان»^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٨٠) كتاب الحج، ومسلم (١٣٧٩) كتاب الحج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٨٧٩) كتاب الحج من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «يأتى المسيح من قيل المشرق، وهمته المدينة، حتى إذا جاء دُبر نُحْد تلقته الملائكة، فضربت وجهه قِبَل الشام، هنالك يهلك، هنالك يهلك» ^(١).

وفي حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجال قال: «فأخرج، فأسير في الأرض، فلا لدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة (المدينة) فهما محرمتان على كلتاها، كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحدًا - منها؛ استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها» ^(٢).

وثبت أيضا أن الدجال لا يدخل أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى.

قال عليه السلام عن الدجال: «وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحًا، يبلغ فيها كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى» ^(٣).

وكيف يخرج المنافقون من المدينة:

فإذا عجز الدجال عن دخول مكة والمدينة فلا بد أن يخرج إليه المنافقون حتى يتبعوه... ولذا أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن كيفية خروج المنافقين من المدينة فقال صلى الله عليه وسلم: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافين، تحرسها، فينزل بالسبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق» ^(٤).

نزول عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان:

بعد خروج الدَّجَال، وإفساده في الأرض، يبعث الله عيسى عليه السلام، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، وعليه مهرودتان،

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣٨٠) كتاب الحج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٢) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٣١٧٢)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٣٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٨١) كتاب الحج، ومسلم (٢٩٤٣) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

واضعًا كَفِّهِ على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، ولا يحلُّ لكافرٍ يجِدُ ريح نفسه إلا مات، ونَفْسُهُ ينتهى حيث ينتهى طرفه. ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التى تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدَّجَال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلى خلف أمير تلك الطائفة. قال ابن كثير: هذا هو الأشهر فى موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق.

وذكر ابن كثير أنه فى زمنه سنة إحدى وأربعين وسبعمائة جدَّد المسلمون منارة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التى كانت مكانها، ولعلَّ هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قيَّض الله بناء هذه المنارة من أموال النصارى، لينزل عيسى ابن مريم عليها، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، ولكن من أسلم وإلا قُتِل، وكذلك غيرهم من الكفار.

ففى حديث النواس بن سميان الطويل فى ذكر خروج الدَّجَال ثم نزول عيسى عليه السلام قال ﷺ: «إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحلُّ لكافرٍ يجِدُ ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبه - أى: يطلب الدَّجَال - حتى يدركه بباب لُد، فيقتله، ثم يأتى عيسى ابن مريم قَوْمٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدُّثهم بدرجاتهم فى الجنة»^(١).

صفة عيسى (عليه السلام):

ولقد وصفه النبى ﷺ وصفا دقيقًا حتى إذا رأيناه عرفناه.

وصفة عيسى (عليه السلام) التى جاءت فى تلك الروايات تفيد أنه رجلٌ، مربع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعدٌ، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديماس - أى: حمَّام - له لمة قد رجَّلها تملأ ما بين منكبَيْهِ.

الأحاديث الواردة فى ذلك:

منها ما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أُسرى بى

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث النواس بن سميان.

قَبِيتُ مُوسَى.. (فَنَعْتُهُ إِلَى أَنْ قَالَ:) وَلَقَبْتُ عِيسَى.. (فَنَعْتُهُ فَقَالَ:) رُبْعَةً، أَحْمَرُ، كَأَنَّهَا خَرَجَ مِنْ دِيَّاسٍ (بِعْنَى: الْحَمَامِ) (١).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى؛ فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ» (٢).

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَجَرِ وَقَرِيشٍ تَسْأَلُنِي.. (فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ:) وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يَصْلِي، أَقْرَبَ النَّاسِ بِهَ شَبْهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ» (٣).

وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ مِنْ كَوْنِهِ فِي بَعْضِهَا أَحْمَرُ، وَبَعْضِهَا آدَمُ، وَمَا جَاءَ أَنَّهُ سَبَطُ الشَّعْرِ، وَفِي بَعْضِهَا بِأَنَّهُ جَعْدٌ:

إِنَّهُ لَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْحُمْرَةِ وَالْأُذْمَةِ؛ لَجَوَازِ أَنْ تَكُونَ أَدَمَتُهُ صَافِيَةً.

وَأَمَّا كَوْنُهُ فِي رِوَايَةِ سَبَطِ الشَّعْرِ، وَفِي أُخْرَى أَنَّهُ جَعْدٌ، وَالْجَعْدُ ضِدُّ السَّبَطِ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا بِأَنَّهُ سَبَطُ الشَّعْرِ، وَأَمَّا وَصْفُهُ بِأَنَّهُ جَعْدٌ؛ فَالْمُرَادُ بِذَلِكَ جَعُودَةُ فِي جِسْمِهِ لَا شَعْرَهُ، وَهُوَ اجْتِمَاعُ اللَّحْمِ وَاكْتِنَاظُهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ: ﴿وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قَالَ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ: ذَلِكَ عِنْدَ نَزُولِ عِيسَى وَقَبْلَ مَوْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا آمَنَ بِهِ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْحَقُّ، وَقِيلَتْ تَفَاسِيرُ شَتَّى فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَكِنْ أَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّحَةِ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بَعْدَ نَزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا آمَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ فِي تَقْرِيرِ بَطْلَانِ مَا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٩٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٨) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٤٣٨) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٢) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ادّعتهم اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من مسلم لهم من النصارى الجهلة في ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبّه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وأنه باقٍ حيٌّ، وأنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلّت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعنى لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف. والمراد بهذا الذى ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، ليكذب هؤلاء من اليهود والنصارى الذين تابنت أقوالهم فيه، وتصادمت وتعاكست، وتناقضت، وخلت من الحق، ففرط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصارى، تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادّعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً، وتنزهه وتقدس لا إله الا هو.

أدلة نزوله (عليه السلام) من القرآن الكريم:

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى..

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا شَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (٧٥) إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَآتٍ لِّلسَّاعَةِ﴾ (الزخرف: ٧٥-٦١).

أى: نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة ويدل على ذلك القراءة الأخرى: (وإنه لآتٍ للساعة)؛ بفتح العين واللام؛ «أى: علامة وأماره على قيام الساعة، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أئمة التفسير».

وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس - رضى الله عنه - في تفسير هذه الآية: ﴿وَأَنَّهُ لَآتٍ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ قال: «هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة».

وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ لَا يَرِثُ مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْفِتْنَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٩).

فهذه الآيات؛ كما أنها تدلُّ على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فإنها تدلُّ على أنَّ من أهل الكتاب مَنْ سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان، وذلك عند نزوله وقبل موته؛ كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة. أدلة نزوله من السنة المطهرة:

إن الأدلة على نزوله عليه السلام في آخر الزمان كثيرة ومتواترة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»^(١). ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَإِلَّا يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة؛ قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: صل لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازل، فإذا رأيتموه؛ فاعرفوه»^(٣).

الحكمة في نزول عيسى (عليه السلام) دون غيره: تلمس بعض العلماء الحكمة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ولهم في ذلك عدة أقوال:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٢٤) كتاب الملاحم، وأحمد (٩٠١٧)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١- الردُّ على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فبيّن الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدّجال.

ورجّح الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره.

٢- إن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْإِسْلَامِ فَلْيَسْلُكْ سَبِيلَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ فَاسْتَقْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْدٍ﴾ [الفتح: ٢٩]، فدعا الله أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام.

قال الإمام مالك رحمه الله: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خيرٌ من الحواريين فيما بلغنا». وقال ابن كثير: «وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة».

وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه «تجريد أسماء الصحابة»، فقال: «عيسى ابن مريم عليه السلام صحابيٌّ؛ ونبيٌّ؛ فإنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء، وسلّم عليه، فهو آخر الصحابة موتاً».

٣- إن نزول عيسى عليه السلام من السماء؛ ليدنُو أجله، ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، فيوافق نزوله خروج الدجال، فيقتله عيسى عليه السلام.

٤- إنه ينزل مكذّباً للنصارى، فيُظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل، ويُهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام؛ فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

٥- إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، ليس بيني وبينه نبيٌّ»^(١).

فرسول الله ﷺ أخص الناس به، وأقربهم إليه؛ فإن عيسى بشر بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده، ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِهِ﴾

(١) صحيح: وقد تقدم.

يَقِي مِنْ يَدِي أَمَّهُ أَحَدٌ ﴿[الصف: ٦]﴾

وفي الحديث: «أنا دعوة إبراهيم وكان آخر من بشر بي عيسى ابن مريم»^(١).

هلاك الدجال على يديه:

يكون هلاك الدَّجَال على يدى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام؛ كما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وذلك أنَّ الدجال يظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة، ويكثر أتباعه، وتعمُّ فتنته، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين، وعند ذلك ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام على المنارة الشرقية بدمشق، ويلتف حوله عبادُ الله المؤمنون، فيسير بهم قاصداً المسيح الدجال، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهاً نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عند باب (لُد)، فلإذا رآه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى عليه السلام: فيتداركه عيسى، فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهوديٌ خلفي، تعال فاقتله؛ إلا الغرق؛ فإنه من شجر اليهود.

ويقتله - لعنه الله - تنتهى فتنته العظيمة، وينجى الله الذى آمنوا من شره وشر أتباعه على يدى روح الله وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه المؤمنين.

بماذا يحكم عيسى (عليه السلام)؟

يحكم بالشرعية المحمدية، ويكون من أتباع محمد ﷺ، فإنه لا ينزل بشرع جديد؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وبقى إلى قيام الساعة، لا يُنسخ، فيكون عيسى عليه السلام حاكماً من حكام هذه الأمة، ومجدداً لأمر الإسلام، إذ لا نبى بعد محمد ﷺ.

فمرحى بأمة رسول الله ﷺ نبيها أعظم الأنبياء، وآخر مجدديها نبى على ملة رسول الله وشريعته، بل آخر صحابى نبى.

عيسى (عليه السلام) يحج إلى بيت الله الحرام:

عن حنظلة الأسلمي قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبى ﷺ أنه قال:

(١) صحيح: أخرجه ابن عساكر (٢/ ٣٩٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٦٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

«والذى نفسى بيده لِيُهْلَنَ ابنُ مريمَ بفِجِّ الرُّوحاءِ حَاجًّا أو معتمرًا أو لِيُثْبِتَنَّهُما»^(١). أى يجمع بين الحج والعمرة.

وضعه للجزية ليس نسخًا لحكم الجزية:

أما وضع عيسى - عليه السلام - الجزية عن الكفار - مع أنها مشروعة في الإسلام قبل نزوله عليه السلام -؛ فليس هذا نسخًا لحكم الجزية جاء به عيسى شرعًا جديدًا؛ فإن مشروعية أخذ الجزية مقيد بنزول عيسى عليه السلام بإخبار نبينا محمد ﷺ، فهو المبيِّن للنسخ بقوله لنا: «والله لينزلنَّ ابنُ مريمَ حكمًا عدلًا، فليَكسرنَّ الصليبَ، وليقتلنَّ الخنزيرَ، وليضعنَّ الجزية»^(٢).

انتشار الأمن وظهور البركات في عهده (عليه السلام):

ولأن الكون كله قد أسلم واستسلم لله - جل وعلا - فإن الإنسان كلما ازداد طاعة لله كلما سخر الله له الكون كله.

ولذلك فعند نزول عيسى - عليه السلام - يعلم الناس أن نزوله علامة على قرب القيامة فينشغل الناس جميعًا بالعبادات والطاعات فيأمر الله الأرض أن تُخرج بركتها ويأمر السماء أن تُنزل بركتها فيفيض المال ولا يجد من يأخذه وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد.

طوبى لعيش بعد المسيح:

قال ﷺ: «طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حَبَّكَ على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره... ولا تشأخ، ولا تحاسد ولا تباغض»^(٣).

فضل الذين يصحبون عيسى (عليه السلام):

قال النبي ﷺ: «عصابتان من أمتى أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند،

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢٥٢) كتاب الحج من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٥) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: أخرجه أيضًا: الديلمي (٢/ ٤٥٠، رقم ٣٩٤٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٩١٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وعصاة تكون مع عيسى ابن مريم^(١).

كم يمكث عيسى (عليه السلام) في الأرض؟

وأما مدة بقاء عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله؛ فقد جاء في بعض الروايات أن يمكث سبع سنين، وفي بعضها أربعين سنة.

ففي رواية الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «فيبعث الله عيسى ابن مريم... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته»^(٢).

وفي رواية الإمام أحمد وأبي داود: «يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلى عليه المسلمون»^(٣).

وكلا هاتين الروايتين صحيحة، وهذا مشكل؛ إلا أن تحمل رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافاً إلى مكثه في الأرض قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور.. والله أعلم.

لهذا لم يذكر اسم الدجال في القرآن؟

تساءل كثير من العلماء، بل ومن العامة عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع أنه أعظم فتنة في الحياة كلها.

وجاءت الإجابة من بعض أهل العلم فقالوا:

١- أنه مذكور ضمن الآيات التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ مَا يَتَوَرَّكُ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والآيات هي: الدجال وطلوع الشمس من مغربها والدابة.

قال عليه السلام: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في

(١) صحيح: رواه النسائي (٣١٧٥) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٠١٢) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٠) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث عبد الله بن عمرو م.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٢٤) كتاب الملاحم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٣٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض،^(١).

٢- أن القرآن ذكر نزول عيسى عليه السلام، وعيسى هو الذى يقتل الدجال فاكتمى بذكر مسيح الهدى عن ذكر مسيح الضلالة، وعادة العرب أنها تكتفى بذكر أحد الضدين دون الآخر.

٣- أنه مذكور في قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، وإن المقصود بالناس هنا الدجال من إطلاق الكل على البعض.

٤- أن القرآن الكريم لم يذكر الدجال احتقارًا له، لأنه سيدعى الربوبية. شبهة.. والرد عليها:

فإن اعترض بأن القرآن ذكر فرعون وهو قد ادعى الربوبية والألوهية، فيقال: إن أمر فرعون انقضى وانتهى، وذكر عبرة للناس وعظة، وأما أمر الدجال؛ فسيحدث في آخر الزمان، فترك ذكره امتحانًا به، مع أن ادعاءه الربوبية أظهر من أن يُنبّه على بطلانه؛ لأن الدجال ظاهر النقص، واضح الدم، أحقر وأصغر من المقام الذى يدعيه، فترك الله ذكره؛ لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين؛ أن مثل هذا لا يخيفهم ولا يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا لله ورسوله؛ كما يقول الشاب الذى يقتله الدجال ويجيبه: «والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم»^(٢).

كيف ننجو من فتنة الدجال؟

إنه ما من نبي إلا وأنذر أمته فتنة الدجال.

وها هو الحبيب ﷺ يحذر أمته من تلك الفتنة الشديدة، وذلك لأن الدجال خارج في تلك الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ورسولنا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

وليكتم جميعًا الوسائل التى نجعلنا ننجو بإذن الله من فتنة الدجال:

أولًا: الاعتصام بالله - جل وعلا - والتمسك بالإيمان والتعرف على أسماء الله

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٨) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

وصفاته الحسنی، فنعلم أن الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أما الدجال فهو أعور والله ليس بأعور، وأنا لن نرى ربنا حتى نموت، أما الدجال فيراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

ثانيًا: التعوذ من فتنة المسيح الدجال:

وخاصة في الصلاة بعد التشهد وقبل التسليم.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(١).

وفي إطلاق الدنيا على الدجال إشارة إلى أن فتنة الدجال أعظم الفتن الواقعة في الدنيا.

قال السفاريني: «مما ينبغي لكل عالم أن يبيث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال... وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر».

ثالثًا: حفظ آيات من سورة الكهف:

فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها.

وعن النواس بن سمعان قوله ﷺ: «..... من أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»^(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^(٣)؛ أي: من فتنته. وقفة لطيفة:

وقد يقال: لِمَ كانت قراءة فواتح سورة الكهف، وخواتيمها أمانًا من الدجال؟ قال بعضهم: لأن الله أخبر في طليعة هذه السورة أن الله أَمَّنْ أولئك الفتية من

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٨٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.



الجبار الطاغية الذى يريد إهلاكهم، فناسب أن من قرأ هذه الآيات وحاله كحالهم، فإنه ينجيه كما أنجاهم.

وقيل: لأن في أولها من العجائب والآيات التى تثبت قلب من قرأها بحيث لا يُفتن بالدجال، ولا يستغرب ما جاء به الدجال، ولم يُلْهِه ذلك، ولم يؤثر فيه. رابعاً: الفرار من الدجال، والابتعاد منه:

والأفضل سكنى مكة والمدينة، فقد سبق أن الدجال لا يدخل الحرمين، فينبغى للمسلم إذا خرج الدجال أن يتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التى يجريها الله على يديه فتنة للناس؛ فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال.

قال ﷺ: «من سمع بالدجال؛ فليأمنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات»^(١).

فأسأل الله (جل وعلا) أن يحفظنا جميعاً من فتنة الدجال وأن يثبت قلوبنا على الإيمان والتوحيد حتى نلقاه.

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ

ويأجوج ومأجوج من ذرية يافث أبى الترك، ويافث من ولد نوح عليه السلام. والذى يدل على أنهم من ذرية آدم عليه السلام ما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد». قالوا: وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا؛ فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف»^(٢).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٣١٩) كتاب الملاحم، وأحمد (١٩٤٦٦)، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٦٣٠١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٢) كتاب الإيمان من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

صفة يأجوج ومأجوج:

أما صفتهم التي جاءت بها الأحاديث؛ فهي أنهم يُشبهون أبناء جنسهم من الترك الغتم المغول، صغار العيون، ذلف الأنوف، صهب الشعور، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، على أشكال الترك وألوانهم.

الأدلة على خروج يأجوج ومأجوج:

والأدلة على خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان ثابتة في القرآن والسنة المطهرة.

أما عن أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فَوِجَتِ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (١١) وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شُخْصِبَةٌ أَبْعَثُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَآ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وقال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبَّأًا﴾ (١٢) حَقَّ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدِّينِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٣﴾ قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْيَتَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٥﴾ مَا تَوَلَّى زُبَيْرُ الْحَيْدِ حَقَّ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفَعُوا حَقَّ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ مَا تَوَلَّى أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿١٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿١٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٨﴾ ﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَفُتِحَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (١٩)

[الكهف: ٩٢-٩٩].

فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج والقوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة؛ اندك هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فسادًا.

وهذا علامة على قرب النفخ في الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة.

أما عن أدلة السنة المطهرة:

إن الأحاديث التي تخبر عن ظهور يأجوج ومأجوج بلغت حدَّ التواتر المعنوي وسأكتفي بذكر حديث واحد.

فعن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزَعَا يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وخلق بأصبعيه الإبهام والى تليها)». قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم؛ إذا كَثُرَ الخبث»^(١).

قصة بناء السد:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف: ٩٢-٩٣].

﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ أى سلك طريقاً ثالثاً بين المشرق والمغرب يوصله جهة الشمال حيث الجبال الشاهقة ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴿٩٣﴾﴾ أى حتى إذا وصل إلى منطقة بين حاجزين عظيمين، بمنقطع أرض بلاد الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان. قال ابن كثير في تفسيره:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴿٩٣﴾﴾ وهما جبلان متناوحيان، بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيشون فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل.

﴿قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ بَأْسُكُمْ وَاعْلَمُوا بِمَا جَاءُوكُمْ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكُمْ خُرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا

﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكِّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٤، ٩٥].

وعندما وجدوه فاتحاً قوياً، وتوسموا فيه القدرة والصلاح.. عرضوا عليه أن يقيم لهم سداً في وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين، ويغيرون عليهم من ذلك الممر، فيعيشون في أرضهم فساداً، ولا يقدرّون هم على دفعهم وصدّهم.. وذلك في مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم.

وتبعاً للمنهج الصالح الذي أعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد في

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٨٠) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها.

الأرض فقد رد عليهم عرضهم الذي عرضوه من المال؛ وتطوع بإقامة السد؛ ورأى أن أيسر طريقة لإقامته هي ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين؛ فطلب إلى أولئك القوم المتخلفين أن يعينوه بقوتهم المادية والعضلية: ﴿فَاعِثُونِي بِقُوَّةٍ أَلْجَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

وهذه شهامة منه حيث رفض قبول المال وتطوع ببناء السد واكتفى بعون الرجال ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أى أعطوني قطع الحديد واجعلوها لى فى ذلك المكان ﴿حَقَّ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أى حتى إذا ساوى البناء بين جانبى الجبلين ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ أى انفخوا بالمنافخ عليه ﴿حَقَّ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ أى جعل ذلك الحديد المتراكم كالنار بشدة الإحماء ﴿قَالَ أَتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أى أعطوني أصب عليه النحاس المذاب.

قال الرازى: لما أتوه بقطع الحديد وضع بعضها على بعض حتى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ عليها حتى إذا صارت كالنار صبَّ النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق ببعضه ببعض وصار جلاً صلباً ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أى فما استطاع المفسدون أن يعلوه ويتسوروه لعلوه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقَبًا﴾ (١٧) أى وما استطاعوا نقبه من أسفل لصلابته وثخائنه، وهذا السد المنيع أغلق ذو القرنين الطريق على يأجوج ومأجوج ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ أى قال ذو القرنين هذا سد نعمة من الله ورحمة على عباده ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أى فإذا جاء وعد الله بخروج يأجوج ومأجوج وذلك قرب قيام الساعة ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أى جعله الله مستویاً بالأرض وعاد متهدماً كأن لم يكن بالأمس ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (١٨) أى كان وعده تعالى بخراب السد وقيام الساعة كائنًا لا محالة.

كيف يخرجون؟!!!

وأما عن كيفية خروجهم فى آخر الزمان فلقد أخبر الحبيب ﷺ عن ذلك...

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حضروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله،

واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهية الدم الذي اجفظ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نَقْفًا في أقتانهم فيقتلهم بها، والذي نفسى بيده إن دواب الأرض لتسمن وتَشْكُرُ شُكْرًا من لحومهم ودمائهم^(١).

وما يعلم جنود ربك إلا هو:

إن الاستدراج سُنة ثابتة وهى تتغير بتغير الأحوال والأشخاص والأزمان.. وفى آخر الزمان سيبلغ الاستدراج درجة عالية مع يأجوج ومأجوج ففى الوقت الذى يخرجون فيه ويعيشون فى الأرض فسادًا وإفسادًا فيمرون على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ثم يسيرون حتى يتنهوا إلى جبل الخمر - جبل بيت المقدس - وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَنْ فى الأرض، هلم فلنقتل مَنْ فى السماء، فيرمون بنشابهم - نباهم وسهامهم - إلى السماء، فيرد الله عليهم بنشابهم مخضوية دماء^(٢).

وعن كيفية هلاكهم يقول ﷺ: «إذ أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجتُ عبادًا لى لا يُدان لأحد بقناهم، فحرز عبادى إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حذب ينسلون فيمر أولئك على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصِرُ نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النصف - دود يكون فى أنوف الإبل والغنم - فى رقابهم، فيصبحون فرسى - قتلى - كموت نفس واحدة، ثم يُهبطُ نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم وتنتهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخت - الإبل - فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله^(٣).

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٨٠) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة

(١٧٣٥) من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) انظر الحديث السابق.

الخشوفات الثلاثة

وتلك الخشوفات الثلاثة من علامات الساعة الكبرى الثابتة.
ومعنى الخسف: يُقال: خسف المكان يخسف خسوفاً إذا ذهب في الأرض
وغاب فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿تَخْسِفُنَا بِمِهِ وَيَذَرُونَ الْأَرْضَ﴾ [الفصص: ٨١]
أدلة السنة على ظهور الخشوفات:

وسأكتفى بذكر حديث واحد للاستدلال على ذلك، فعن حذيفة بن أسيد - رضي الله عنه -
أن رسول الله ﷺ قال: «إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات... (فذكر منها): وثلاثة
خشوف: خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب» ^(١).

الدخان

وظهور الدخان في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى الثابتة في
الكتاب والسنة المطهرة.

الأدلة من القرآن الكريم على ظهور الدخان:

قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١٠، ١١]

والمعنى: انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح
يغشى الناس ويعمهم، وعند ذلك يُقال لهم: هذا عذاب أليم؛ تقريباً لهم وتوبيخاً، أو
يقول بعضهم لبعض ذلك.

وفي المراد بهذا الدخان؟ وهل وقع؟ أو هو من الآيات المرتقبة؟ قولان للعلماء:
الأول - أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم
النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون في السماء كهيئة الدخان.

وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وتبعه جماعة من السلف.
الثاني - أن هذا الدخان من الآيات المنتظرة، التي لم تجيء بعد، وسيقع قرب قيام
الساعة.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه.

وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين.
على أن بعض العلماء ذهب إلى الجمع بين هذه الآثار بأنهما دخانان ظهرت إحداهما وبقيت الأخرى، وهى التى ستقع فى آخر الزمان، فأما التى ظهرت؛ فهى ما كانت تراه قريش كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقى، الذى يكون عند ظهور الآيات التى هى من أشراط الساعة.

قال القرطبى: «قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذى بقى يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر؛ فتثقب مسامعه».

الأدلة من السنة المطهرة: عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة...»^(١)

طلوع الشمس من مغربها

وطلوع الشمس من مغربها علامة من علامات الساعة الكبرى الثابتة فى الكتاب والسنة المطهرة.

الأدلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ نَنْظُرُونَ مُنْتَظِرُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

أى يوم يأتى بعض أشراط الساعة حيثئذ لا ينفع الإيمان نفساً كافرة آمنت فى ذلك الحين ولا نفساً عاصية لم تعمل خيراً.

قال الطبرى: أى لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً بالله أن يؤمن بعد مجىء تلك الآية العظيمة الهول الوارد عليهم من أمر الله فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة.

ولقد دلت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات المذكورة فى الآية هو

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين.
الأدلة من السنة المطهرة:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس؛ آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة»^(٢).

ما السبب في عدم قبول الإيمان والتوبة بعد طلوع الشمس من مغربها!!!

وهذا سؤال قد يخطر ببال كثير من الناس... ويتولى الرد على هذا السؤال باقية من أئمتنا - رحمة الله عليهم أجمعين -.

قال القرطبي: «قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم - لإيقانهم بدنو القيامة - في حالٍ من حضره الموت؛ في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال؛ لم تُقبل توبته؛ كما لا تقبل توبة من حضره الموت».

وقال ابن كثير: «إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يُقبل منه، فأما مَنْ كان مؤمناً قبل ذلك؛ فإن كان مصلحاً في عمله، فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطاً فأحدث توبة؛ حيثئذ لم تقبل منه توبة».

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٣).

ويرى بعض العلماء أن الذين لا يُقبل إيمانهم هم الكفار الذين عاينوا طلوع الشمس من مغربها، أما إذا امتدَّ الزمان، ونسى الناس ذلك؛ فإنه يُقبل إيمان الكفار

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٦) كتاب الرقاق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧) كتاب الفتن وأشراف الساعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وتوبة العصاة.

والجواب عن هذا كله: «أن النصوص دلّت على أن التوبة لا تُقبل بعد طلوع الشمس من مغربها، وأن الكافر لا يُقبل منه الإسلام، ولم تفرّق النصوص بين مَنْ شاهد هذه الآية وبين من لم يشاهدها».

ولقد ذكر الحافظ ابن حجر (رحمه الله) أحاديث وآثارًا كثيرة تدلّ على استمرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة، ثم قال: «فهذه آثار يشدُّ بعضها بعضًا متّفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب؛ أغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختصُّ بيوم الطلوع، بل يمتدُّ إلى يوم القيامة».

الدابة

وخروج الدابة في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى الثابتة في الكتاب والسنة. الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَاثِرُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]. أى أخرجنا للكفار هذه الآية الكبيرة «دابة الأرض» تكلم الناس وتناظرهم وتقول من جملة كلامها: ألا لعنة الله على الظالمين الذين لا يصدقون ولا يؤمنون بآيات الله.

قال ابن كثير: هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق فتكلم الناس وتخاطبهم مخاطبة. قال ابن عباس وعطاء: تكلمهم كلامًا فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. الأدلة من السنة المطهرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»^(١).

وعن ابن عمرو رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعتُ

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٨) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتهما؛ فالأخرى على إثرها قريبا»^(١).

من أين تخرج الدابة:

اختلف العلماء في ذلك اختلافاً واضحاً فمنهم من قال: إنها تخرج من مكة المكرمة من أعظم المساجد، ومنهم من قال: إنها تخرج ثلاث خرجات.. فالله تعالى أعلم.

ماذا تفعل الدابة إذا خرجت:

قال ﷺ: «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يُعمّون فيكم حتى يشتري الرجل الدابة فيقال: ممن اشتريت؟ فيقول: من الرجل المخطم»^(٢).
فالدابة إذا خرجت فإنها تسم المؤمن والكافر؛ فأما المؤمن؛ فإنها تجلو وجهه حتى يشرق، ويكون ذلك علامة على إيمانه.

وأما الكافر؛ فإنها تخطمه على أنفه، علامة على كفره والعياذ بالله.

وجاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾.

ما المراد بتكليم الدابة للناس!!!؟

وفي معنى هذا التكليم اختلفت أقوال المفسرين:

١- أن المراد: تكلمهم كلاماً؛ أى: تخاطبهم مخاطبة، ويدل على هذا قراءة أبى بن كعب - رحمه الله -: (تنبئهم).

٢- تجرحهم، ويؤيد ذلك قراءة (تكلمهم)؛ بفتح التاء وسكون الكاف، من الكَلَم، وهو الجرح، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس - رحمه الله -: تسمهم وسمًا.

وروى عن ابن عباس أنه قال: «كلّا تفعل» أى: المخاطبة والوسم.

قال ابن كثير: «وهو قولٌ حسن، ولا منافاة، والله أعلم».

وأما الكلام الذى تخاطبهم به؛ فهو قولها: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(٣).

[النمل: ٨٢].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤١) كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث عبد الله بن عمرو - رحمه الله.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٨٠٥)، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٢٩٢٧) من حديث أبى أمامة - رحمه الله.

النار التي تحشر الناس

وهي آخر علامة من علامات الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة.

من أين تخرج تلك النار؟

جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعره عدن، وتخرج من بحر حضرموت؛ كما جاء في روايات أخرى.

واليك طائفة من الأحاديث التي تبين مكان خروج هذه النار، وهي من الأدلة على ظهورها.

عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل، ومنها: ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبي ﷺ: «أما أول أشراط الساعة؛ فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» (١).

وجاء في حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة الكبرى قوله ﷺ: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم» (٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ستخرج نارٌ من حضرموت أو من بحر حضرموت، قبل يوم القيامة، تحشر الناس» (٣).

والجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشراط الساعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراط الساعة: أن آخريتها باعتبار ما ذُكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، وأوليتها باعتبار أنها أوّل الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور؛ بخلاف ما ذُكرَ معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا.

وأما ما جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ فيجاب عن ذلك بأجوبة:

- (١) صحيح: رواه البخاري (٣٣٢٩) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
- (٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه.
- (٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٢١٧) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

١- أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله: «تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ»؛ إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب.

٢- أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولاً، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب؛ فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب.

٣- يحتمل أن تكون النار المذكورة في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارها الشر العظيم والتهدت كما تلتهب النار، وكان ابتداءها من قِبَلِ المشرق، حتى خرب معظمه، وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر، وهما من جهة المغرب؛ كما شوهد ذلك مراراً من عهد جنكزخان ومن بعده.

وأما النار التي في حديثي حذيفة بن أسيد وابن عمر، فهي نار حقيقية، والله أعلم. كيف تحشر النار الناس إلى أرض المحشر؟ عند ظهور هذه النار العظيمة من اليمن؛ تنتشر في الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر، والذين يحشرون على ثلاثة أفواج: الأول: فوجٌ راغبون طاعمون كاسون راكبون.

والثاني: وفوجٌ يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبون على البعير الواحد. والفوج الثالث: تحشرهم النار، فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف أكلته النار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ، وَرَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بِقَيْتِهِمُ النَّارَ؛ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتَمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٢٢) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٦١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هل هذا الحشر في الدنيا أو الآخرة؟

وقد يتساءل البعض: هل النار التي تحشر الناس إلى أرض المحشر تكون في الدنيا أم في الآخرة؟!

والحق أن هذا الحشر في الدنيا وليس في الآخرة.

ذكر القرطبي أن الحشر معناه الجمع، وهو على أربعة أوجه: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة: أما حشرا الدنيا:

فالأول - إجلاء بني النضير إلى الشام.

والثاني - حشر الناس قبل القيامة إلى الشام، وهى النار المذكورة هنا في الأحاديث.

وذهب بعض العلماء كالغزالي والحليمي إلى أن هذا الحشر ليس في الدنيا وإنما هو في الآخرة.

وهذا مخالف لما جاءت به النصوص.

قال النووي: «قال العلماء: وهذا الحشر في آخر الدنيا قبيل القيامة، وقبيل النفخ في الصور، بدليل قوله ﷺ: تحشر بقيتهم النار؛ تبيت معهم وتقبل وتصبح وتمسى». وإلى هذا الرأي ذهب ابن كثير وابن حجر.

وأما حشر الآخرة: فإنه قد جاء في الأحاديث أن الناس مؤمنهم وكافرهم يُحشرون حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا بُهْمًا، ففي الصحيح عن ابن عباس؛ قال: قام فينا النبي ﷺ، فقال: «إنكم محشورون حفاة عُرَاةٍ غُرْلًا؛ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ» [الأنبياء: ١٠٤]، وإن أول الخلق يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل^(١).

فدلَّ هذا على أن هذا الحشر يكون في الدنيا قبل يوم القيامة.

وبهذا تظهر لنا أهمية الإيمان بالغيب ومكانته في الإسلام، فهو صفة المؤمنين المتقين، وكل من يدعى علما بشيء من الغيب من تلقاء نفسه، يكون ضالاً ومكذبا لخبر الله عز وجل. ونصوص الكتاب والسنة تبين أن علم الغيب من خصائص

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

لعمولى تبارك وتعالى ، وهذا يبين لنا حكم الذين يزعمون أنهم يخبرون عما سيقع فى المستقبل من حوادث ، أو يزعمون علم ما فى نفس الإنسان ، وغير ذلك من كذب ودجل وشعوذة ، مما نجد له صورا فى بعض الصحف والمجلات التى تحتوى على زاوية لقراءة حظ الإنسان ، أو معرفة ما يقع له فى المستقبل خلال معرفة الأبراج والكواكب ، نسأل الله السلامة والعافية .

واعلم أن الإيمان بأشراط الساعة جزء من الإيمان باليوم الآخر الذى هو ركن من أركان الإيمان . والإيمان بالغيب هو أساس الإيمان كله ؛ لأن أركان الإيمان كلها من الأمور الغيبية ، وقد بين الله عز وجل فى كتابه المبين أن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين المتقين فقال عز وجل : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾﴾

[البقرة: ١-٥]

البحث من القبور (يوم الحشر)

خلق الله العباد لطاعته، وكلفهم بعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقد رسم لهم سبيل الخير، كما بين لهم طرق الشر، ولما كانت الطبيعة البشرية فيها الاستعداد لقبول الخير والشر كما قال تعالى: ﴿وَفَسَّسَ وَمَاسَوْنَهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨] فقد يطغى جانب الشر أحيانا على جانب الخير، استجابة لداعى الشهوة الموجودة فى الطبيعة البشرية، فهى غالبا ما تجنح بصاحبها إلى تعدى الحدود التى يتحتم على المرء ألا يتجاوزها، فيوقع الظلم على الآخرين.

وواقع الحال يبين لنا أن كثيرا ممن ارتكبوا تلك الجرائم فى حق غيرهم، وأوقعوا الظلم بالآخرين قد غادروا هذه الحياة الدنيا، ولم يتل المظلوم حقه منهم، مع العلم بأن كل ذلك واقع بعلم الله القوى القادر السميع البصير، الذى يمهل ولا يهمل، والذى حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما.

ولما كان الظالم والمظلوم قد غادرا هذه الحياة الدنيا، ولم يأخذ المظلوم حقه من



ظالمة ولما كانت عدالة الله تعالى تقتضى القصاص، وأن يأخذ المظلوم حقه من الظالم كان لا بد من حياة أخرى، غير هذه الحياة، يتم فيها تقاضى الحقوق بين العباد ويقتص فيها للمظلوم من الظالم هذه الحياة هى التى تكون فى الآخرة، حين يبعث الله الناس من قبورهم ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يَرَوْنَهَا كَأَنَّهم إِلَى نُصُبٍ يُوفِصُونَ﴾ (١٢) [المعارج: ٤٣] ولذا كان من المحتم على المرء الاعتقاد، بوقوعه وتحققه. وهذا أمر يرشد إليه العقل، و يحتمه المنطق، وتدلل عليه النصوص الدينية، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١٣) [المؤمنون: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُترَكُ أَن يَقُولُ ﴿أَنزَلْنَاكَ نُطْعَةً مِّن مَّوَدِّعَيْنِ﴾﴾ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَعَلَ يَنَّهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَن يُخْرِجَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].
لكن كثيرا من الناس قد ضلوا فى هذا الباب، فقصرت عقولهم عن إدراك هذا المعنى فأنكروا البعث بعد الموت، بلا دليل، سوى أنه استبعدوا وقوعه بعد تفتت الأجساد وتمزقها.

الحكمة من البحث والمحاد

إن الحكمة من المعاد الآخرى الذى هو بعث الخلائق أحياء بعد موتهم وفنائهم، أحياء كما كانوا يوم بدأ الله تعالى خلقهم، هو مجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادى الاختيارى الذى كسبوه فى هذه الدنيا، لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْصَمَةِ فَمَن زُجِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْفُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].
فالناس يعيشون فى هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتاً كبيراً فى أرزاقهم، وأجالهم، وأعمالهم، وفى سعادتهم، وشقائهم، فمنهم الظالم الغشوم، ومنهم المظلوم المهضوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم، ومنهم الغنى الثرى، ومنهم الفقير الشقى ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، ومنهم المحسن، ومنهم المسىء، إلى غير هذا من التفاوت والاختلاف فلو أنهم يموتون بانقضاء آجالهم، ولا يُبعثون لكان ذلك منافياً للحكمة، مجانباً للعدل والرحمة، ومن هنا قضى الله تبارك وتعالى بالبعث والجزاء، وحكم بهما. فهما كائنان لا محالة، فقد أمر رسوله محمداً ﷺ أن يقسم

عليهما في قوله من سورة التغابن: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا عَمِلُوا﴾ [التغابن: ٧].

وقال تعالى من سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلْ وَعَدَ عَلَيْهِمْ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨] لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

[النحل: ٣٨ - ٤٠]

أجالة البحث والنشور

لقد سلك القرآن الكريم في إثبات المعاد والحياة الثانية مسالك عقلية هي غاية في الوضوح والسهولة منها:

أولاً: إعادة خلق الشيء أيسر من خلقه أول مرة:
أن الشيء إذا لم يكن ثم كان وأعدم كانت إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم أعدمه، وأفناه. فالذي بنى داراً، ثم هدمها لا يستحيل عليه ولا في حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيراً مما كانت.

والذي يصنع آلة من الآلات مخترعاً لها لا يستصعب عليه أن يعيدها كما كانت إذا هو كسرهما بإرادته وإختياره ليحولها إلى آلة أفضل منها قبل.

ورد هذا المسلك من الاستدلال في سورة الروم إذ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

كما ورد في سورة يس في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

ثانياً: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة:
أعظم الأدلة الدالة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمن آمن بالله، وصدق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥]

وقوله: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

* وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لَا رَبَّ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته كقوله: ﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍ مَسْهُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فَع ٧ مَا لَّهُ مِنْ دَافِعٍ ٨﴾ [الطور: ١-٨].

* الرد على المكذبين به المنكرين له، كقوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنَا قُلُوبَنَا وَنَزَّلْنَا رُسُلَنَا ثُمَّ لَنْ يَذَّبُوا بِمَا عَيَّنُوا وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧﴾ [التغابن: ٧].

* وفي مواضع أخرى يذم المكذبين بالمعاد، كقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ ١٥﴾ [يونس: ٤٥].

* وأحياناً يمدح المؤمنين بالمعاد ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْكِتَابِ ٧﴾ رَبَّنَا لَا تُغِ غُفُوتَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ ١٢﴾ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ١١﴾ [آل عمران: ٧-٩].

* وأحياناً يخبر أنه وعد الصادق وخبر لازم وأجل لا شك فيه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ١٢﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ١٣﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤].

* وفي بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه كقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ١﴾ وَرَبَّهُ قَرِيبًا ٢﴾ [المعارج: ٦، ٧] وقوله: ﴿أَنَّى أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ١﴾ [النحل: ١] وقوله: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَسْنَقَ الصُّمُورُ ١﴾ [القدر: ١].

* وفي مواضع أخرى يمدح نفسه تبارك وتعالى بإعادة الخلق بعد موتهم، ويذم الآلهة التي يعبدونها المشركون بعدم قدرتها على الخلق وإعادته كقوله: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قُلْ هَسَاؤُا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢١﴾ [النمل: ٦٤].

* وبين في مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث الذي يعجز العباد ويذهلهم سهل يسير عليه، ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كُفَّيْسٍ وَجِدَّةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ٢٨﴾

[لقمان: ٢٨].

وقال: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ ②﴾ بَلْ قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بِتَانِهِ ① ﴿[القيامة: ٣، ٤].

هول المطلع

* هول المطلع هو الخروج من القبور أى النشور والبعث مرة أخرى وسمى هكذا لأننا نطالع المشاهد التى سمعنا عنها فى كتاب الله من أهوال القيامة، وقد قال الرسول ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت»^(١).

يقول الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ⑧ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑫ ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيََتْ ⑬﴾ [التكوير: ١-١٤].

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ①﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ② ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤﴾..... ﴿إلى آخر السورة [سورة الانفطار].

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ①﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤﴾ يَتَأَبَّأُ الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقْدِرْ ⑥ ﴿.....﴾ إلى آخر السورة [سورة الانشقاق]

* تخيل معى هذا المشهد المهيب... ها هى القبور تتشقق فى كل أنحاء الأرض والناس يخرجون بعد رقادٍ طويل فى تلك القبور الموحشة على العصاة والكافرين المنيرة للظالمين والموحدين، الكل يخرج من القبر ينفض التراب من على جسده وهو يشخص ببصره فى اتجاه واحد إلى هذا الداعى (الملك الكريم) الذى يقود الناس إلى أرض المحشر للحساب والوقوف بين يدي الله - عز وجل - أيتها العظام البالية... أيتها الأجساد العارية... أيتها الناس لقد حان وقت القيام للوقوف بين يدي الله (عز وجل).

فها هو الكون كله يتجه إلى أرض المحشر للوقوف فى تلك الأرض لانتظار بدء

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٧/٢) رقم ٤٨٠٦، وقال الهيثمى (١٣٤/٧): رواه أحمد بإسنادين ورجالها ثقات والترمذى (٤٣٣/٥)، رقم ٣٣٣٣ وقال: حسن غريب. والحاكم (٤/٦٢٠)، رقم ٨٧١٩ وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٣).

الحساب.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمِ لَا عِجَاجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ١٠٨﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضَى لَهُ قَوْلًا ١٠٩ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ١١١ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ١١٢﴾ [طه: ١٠٨-١١٢].

فعندما نخرج من القبور لا يعرف بعضنا البعض وإذا عرفه أحد ينكره فالإنسان ينكر أمه وأباه وأخاه وزوجته لأنه لكل منهم يومئذ شأن يغنيه كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الصَّلَاةُ ٣٢﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٣ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ٣٤ وَصَنْجِيهِ ٣٥ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: ٣٣-٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ٣٨﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ٣٩ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ٤٠ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ٤١ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَجْمَلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ٤٢ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ٤٣﴾ [الحاقة: ١٣-١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ٤٤﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ٤٥ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ٤٦ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ٤٧﴾ [ق: ٤١-٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِيرٍ ٤٨﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ٤٩ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ٥٠﴾ [القمر: ٦-٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُفُسٍ يَؤْفَكُونَ ٥١﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ زَهَقَهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ٥٢﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوكَ ٥٣﴾ قَالُوا يَنْبَلَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدَانَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ٥٤ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ٥٥﴾ [يس: ٥١-٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ٥٦﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَفْقَالَهَا ٥٧ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ٥٨ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا ٥٩ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ٦٠ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ٦١ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٦٢ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

صفحة حشر العباد

يُحْشَرُ الْعِبَادُ حِفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا أَى غَيْرِ مَخْتُونِينَ كَمَا قَالَ الْحَبِيب ﷺ «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا» قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ» (١).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ عُرَاةٌ غُرْلًا» ثُمَّ قَرَأَ ﴿كَأَبَدْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ. وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤] (٢).

إِنَّ الْعَبْدَ يَبْعَثُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي مَاتَ عَلَيْهَا مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْيَقِينِ وَالشَّكِّ، كَمَا يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ... يَدُلُّ عَلَى هَذَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابَ مِنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ» (٣).

فَالَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُحْرَمٌ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرَمٌ فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تُؤَسُّوهُ بِطِيبٍ، وَلَا تَخْمُرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا» (٤).

وَالشَّهِيدُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَرَحُهُ يَثْعَبُ اللَّوْنُ لَوْنِ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحَ الْمَسْكَ. وَمَنْ هُنَا اسْتَحَبَّ تَلْقِينَ الْمَيِّتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَعَلَّهُ يَمُوتُ عَلَى التَّوْحِيدِ، ثُمَّ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاطِقًا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ.

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَخْنِيهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ﴿٨٨﴾ وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٩﴾

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٢٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٦٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٠٨) كتاب الفتن، ومسلم (٢٨٧٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٦/٢) رقم (١٧٥٢)، ومسلم (٨٦٥/٢) رقم (١٢٠٦).

[مریم: ٨٥، ٨٦] قال ابن عباس رضي الله عنه: وفذاً: ركباناً.

أما الورد: الجماعة العطاش، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً.

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكَآ وَصُمًا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقال النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ. وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَنَحْشَرُ بِقَبْتِهِمُ النَّارَ ثَقِيلَ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتَبَّتَ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَصَبَّحَ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتَمَسَّى مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»^(١).

وقال ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِفَاةَ عَرَاةٍ غُرَلَا» قالت عائشة: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»^(٢).

وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ شَأْنٌ يُنْبِئُهُ﴾ [عبس: ٣٧].

ونحشُرهم يوم القيامة على وجوههم

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يُحْشَرُ الكافر على وجهه؟ قال: «اليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة؟»^(٣) قال قتادة: بلى وعزة ربنا، قلت: وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكَآ وَصُمًا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

أَرْضُ الْمُحْشَرِ

وها هي أرض المحشر التي يحشر عليها الناس جميعاً يوم القيامة ليس فيها شجر ولا حجر ولا بنيان فليس فيها مكان يختبئ وراءه الخلائق بل هي أرض مستوية كما أخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بِيضَاءٍ كَقَرَصَةِ النَّقْصِ»

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٩٠/٥)، رقم (٦١٥٧)، ومسلم (٢١٩٥/٤)، رقم (٢٨٦١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٩٤/٤)، رقم (٢٨٥٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٨٤/٤)، رقم (٤٤٨٢)، ومسلم (٢١٦١/٤)، رقم (٢٨٠٦).

ليس فيها معلّم لأحد»^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إسرايم: ٤٨] الآية. قال: تبدل الأرض أرضاً كأنها الفضة لم يُسْفَك عليها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة.

وقال عليه السلام: «تكون الأرض يوم القيامة خُبْزَةً واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلًا لأهل الجنة»^(٢).

جاءت الأحاديث الصحيحة لتخبر أن أرض المحشر هي أرض الشام.

قال عليه السلام: «إنكم تحشرون رجالاً وركبانا ونجرون على وجوهكم هاهنا - وأوماً بيده نحو الشام»^(٣).

من أهوال يوم القيامة

إن يوم القيامة حَظُّهُ جليل وشأنه عظيم لا يستطيع عقل بشر أن يتخيل شدائده وأهواله... فلقد وصفه الحق (جل وعلا) بأنه يوم عظيم فقال تعالى: ﴿الْأَيُّظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ④ **يَوْمَ عَظِيمٍ** ⑤ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ⑥ ﴿[المطففين: ٤-٦] ووصفه في موضع آخر بأنه عسير فقال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑦ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑧﴾ [المدثر: ٩، ١٠] ووصفه في موضع آخر بأنه ثَقِيلٌ فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجْعَلُونَ الْعَاجِلَةَ يُذْذَرُونَ وَرَأَاهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ⑨﴾ [الإنسان: ٢٧].

بل إن الطفل الوليد الذي لم يفعل سيئة واحدة ولم يرتكب جُرمًا فإنه يشيب شعر رأسه إذا عاين ورأى يوم القيامة... قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑩﴾ **السَّمَاءُ مَطْفِطَةٌ ⑪** **وَكَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ⑫** ﴿[المزمل: ١٧، ١٨].

وها هي الأم التي تتمنى أن تغدى وليدها بنفسها... ها هي تذهل عنه في ذلك

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٩٠/٥)، ومسلم (٦١٥٦)، ومسلم (٢١٥٠/٤)، رقم (٢٧٩٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٨٩/٥)، ومسلم (٦١٥٥)، ومسلم (٢١٥١/٤)، رقم (٢٧٩٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣/٥)، رقم (٢٠٠٤٣)، والترمذي (٤٨٥/٤)، رقم (٢١٩٢) وقال: حسن صحيح، والحاكم (٤/٦٠٨)، رقم (٨٦٨٦) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٣٠٢).

اليوم... والحامل تُسقط حملها وترى الناس سُكَّارِي من هول ذلك اليوم.
قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ زَلَّزَلْتُمُ السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾ [الحج: ٢، ١].

وها هي الأنساب تنقطع بين الناس كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ ③﴾ [المؤمنون: ١٠١].

فكل واحد يريد النجاة بنفسه ولا يهتم بغيره بل إنه يفر من أحب الناس إليه...
قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الصَّلَاةُ ④ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ⑤ وَأُمِّيهِ وَأَبِيهِ ⑥ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ⑦ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ⑧﴾ [هيس: ٣٣-٣٧].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ⑨﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَتَقُولُوا يَوْمًا لَا يَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ⑩﴾ [البقرة: ٤٨].

وها هي أبصار الظالمين تشخص من هول ذلك اليوم فلا تطرف أبداً من شدة الخوف ولا تلتفت يمينا ولا شمالاً بل تصبح أفئدتهم خاوية لا تعقل شيئاً.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ⑪ مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ⑫﴾ [الأنعام: ٩٢].

[إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

بل ترتفع قلوبهم من شدة الهول إلى حناجرهم فلا هي تخرج ولا تستقر في مكانها.

قال تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ⑬﴾ [غافر: ١٨].

فالقلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم. قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها... ومعنى

كاظمين: أى ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبا: ٣٨).

ويزداد هول ذلك اليوم بسبب طول الانتظار

قال تعالى: ﴿تَنفِخُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (قاص: ١٠) فاصبر صَبْرًا حَبِيلًا ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ (١) وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٢﴾ [المعارج: ٤-٧] ولذلك فهم يظنون أنهم لم يلبثوا إلا يومًا أو جزءًا يسيرًا من اليوم.

قال تعالى: ﴿قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (٣٣) ﴿[المؤمنون: ١١٢] وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَا يُلْهَوْنَ أَعْيُنُهُمْ أَزْوَاجُهَا﴾ (١١) ﴿[النازعات: ٤٦] وقال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ مَطِيعَةٌ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (١٠٤) ﴿[طه: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (٥٥) ﴿[الروم: ٥٥].

وحسبنا أن نعرف أن الكافر يأتى يوم القيامة فيرى أهوالها وشدائدها فيتمنى أن يفدى نفسه بكل ما فى هذا الكون.... قال تعالى مصورًا هذا المشهد المهيّب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُبْعَل مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (١١) ﴿[آل عمران: ٩١] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٥٤) ﴿[يونس: ٥٤] بل إنه لو كان يملك ضعف ما فى الأرض لافتدى به ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَل مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٦) ﴿[البائدة: ٣٦].

وقال ﷺ: «إن الله يقول لأهل النار عذابًا لو أن لك ما فى الأرض من شىء كنت تفتدى به قال نعم قال فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى فأبیت إلا الشرك» (١).

بل يصل الحال بهذا الكافر فى ذلك اليوم إلى أنه يتمنى أن يفدى نفسه من العذاب ولو دفع بأعز الناس عنده فى النار... قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِشَيْءٍ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣/ ١٢١٣)، رقم (٣١٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٦٠)، رقم (٢٨٠٥).

﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ، وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَدُّ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّمَا لَطْفٌ ﴿١٥﴾

[المعارج: ١١-١٥].

أول من ينشق عنه القبر

فإذا نفخ إسرافيل (عليه السلام) نفخة البعث يكون حبيبنا ﷺ أول من ينشق عنه القبر - أى أول من تنشق عنه الأرض - .

قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» (١).

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «استب رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، فقال: المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: «لا تُخبروني على موسى، فإنَّ الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى الله عز وجل» (٢).

وفي رواية لهما: «... فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يبعث، فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدري: أحوسب بصعقة الطور، أم بُعث قبلي؟» (٣).

كم يبلغ طول هذا اليوم

وأما عن طول يوم القيامة فلقد أخبر عنه الحق (جل وعلا) بقوله: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِمَذَاقٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَرْجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ١-٤].

وكل ذلك في انتظار بدء الحساب... ومع ذلك فهناك صنف كريم أخلص العبادة

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/١٧٨٢، رقم ٢٢٧٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢/٨٤٩، رقم ٢٢٨٠)، ومسلم (٤/١٨٤٤، رقم ٢٣٧٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣/١٢٥٤، رقم ٣٢٢٣)، ومسلم (٤/١٨٤٣، رقم ٢٣٧٣).

هـ - جل وعلا- فيمر عليه يوم القيامة كما بين صلاتي الظهر إلى العصر.
قال ﷺ: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»^(١) ومع ذلك فإنهم لا يقفون في أرض المحشر في تلك الشمس الحارقة بل يجلسون في ظل عرش الرحمن -جل وعلا- يأكلون من تلك الوجبة التي أعدّها لهم الملك -جل جلاله- وهى زيادة كبد الحوت ثم يذهبون لحوض النبي ﷺ فيشربون من يديه شربة هنيئة مريئة لا يظماؤن بعدها أبداً.

من سره أن ينظر إلى يوم القيامة

قال ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ» إذا الشمس كورت» وإذا السماء انفطرت» وإذا السماء انشقت»^(٢).
وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة، لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها، وتكور شمسها وانكدار نجومها، وتناثر كواكبها، إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم، بعد نشر صحفهم، وقراءة كتبهم، وأخذها بأيامهم وشمائلهم، أو من وراء ظهورهم في موقفهم على ما يأتى بيانه.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] وقال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وقال ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ وَغُفِّرَتِ الْمَلَائِكَةُ مُنْزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥] فتراها واهية منقطرة متشقة، كقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾ [النبا: ١٩] ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض، وقيل إن الباء بمعنى عن، أى تشقق عن سحاب أبيض، ويقال: انشقاقها لما يخلص إليها من حر جهنم، وذلك إذا بطلت المياه، وبرزت النيران، فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية كالدهن، وتشقق لما يريد الله من

(١) صحيح: رواه الحاكم (١/ ١٥٨، رقم ٢٨٣) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٩٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٧ رقم ٤٨٠٦)، وقال الهيثمى (٧/ ١٣٤): رواه أحمد بإسنادين ورجالهما ثقات والترمذى (٥/ ٤٣٣، رقم ٣٣٣٣) وقال: حسن غريب. والحاكم (٤/ ٦٢٠، رقم ٨٧١٩) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٣).

نقض هذا العالم، ورفعته. وقد قيل: إن السماء تتلون، فتصفر، ثم تحمر، أو تحمر. ثم تصفر، كالمهرة تميل في الربيع إلى الصفرة، فإذا اشتد الحر مالت إلى الحمرة، ثم إلى الغبرة. قاله الحلیمی.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١] قال ابن عباس رضي الله عنه: تكويرها إدخالها في العرش. وقيل: ذهاب صفوها... قاله الحسن وقتادة.

فهي تُكوَّر، ثم يمحو ضوءها ثم يُرمى بها والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ٢] أي انثرت، قيل: تتناثر من أيدي الملائكة، لأنهم يموتون، وفي الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدي الملائكة. وقال ابن عباس رضي الله عنه: انكدرت تغيرت، وأصل الانكدار الانصباب، فتسقط في البحار، فتصير معها نيرانا، إذا ذهبت المياه.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [التكوير: ٣] هو مثل قوله ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧] أي تحول عن منزلة الحجارة، فتكون كثيباً مهيباً، أي رملاً سائلاً، وتكون كالعهن، وتكون هباءً منبثاً، وتكون سرايا، مثل السراب الذي ليس بشيء. وقيل: إن الجبال بعد اندكاكها أنها تصير كالعهن من حر جهنم، كما تصير السماء من حرها كالمهل.

وقوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٤﴾ [التكوير: ٤] أي عطّلها أهلها، فلم تُحلب من الشغل بأنفسهم. والعشار: الإبل الحوامل، واحداها عشر، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع، وبعدما تضع،... وإنما خص العشار بالذكر، لأنها أعز ما يكون على العرب.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥] أي جُمعت، والحشر الجمع.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦] أي أوقدت، وصارت نارا. رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه. وقال قتادة: غار ماؤها، فذهب. وقال الحسن والضحاك: فاضت ويقال: إن الشمس تُلف، ثم تُلقى في البحار، فمنها تحمى، وتنقلب نارا. قال الحلیمی: ويحتمل إن كان هذا هكذا أن البحار في قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حيثئذ تكون أكثرها، لأن الشمس أعظم من الأرض

مرات كثيرة، فإذا كُورِت، وأُلقيت في البحر، فصارت نارا، ازدادت امتلاءً.

وقوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُجِعَتْ ۖ﴾ [التكوير: ٧] تفسير الحسن أن تلحق كل شيعة شيعتها: اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئاً يلحق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين. وقال عكرمة: المعنى تُقرن بأجسادها، أى تُرد إليها، وقيل: يُقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان. وقيل: يُقرن المؤمنون بالهور العين، والكافرون بالشياطين.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۖ﴾ [التكوير: ٨] يعنى بنات الجاهلية، كانوا يدفنوهن أحياء، لخصلتين: إحداهما: كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به. الثانية: مخافة الحاجة والإملاق، وسؤال الموءودة على وجه التوبيخ لقاتلها، كما يقال للطفل إذا ضُرب: لِمَ ضُربت؟ وما ذنبك؟ وقال الحسن: أراد الله أن يوبخ قاتلها، لأنها قُتلت بغير ذنب. وبعضهم يقرأ: وإذا الموءودة سألت، تعلق الجارية بأبيها، فتقول: بأى ذنب قتلتنى؟ وقيل: معنى سئلت، يسأل عنها كما قال: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا ۖ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ نُشِرَتْ ۖ﴾ [التكوير: ١٠] أى للحساب.

وقوله: ﴿وَإِذَا النَّمَاءُ كُيِّسَتْ ۖ﴾ [التكوير: ١١] قيل: معناه طويت، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۖ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أى كطى الصحيفة على ما فيها، فاللام بمعنى «على»، يقال: كشطت السقف، أى قلعت، فكان المعنى: قُلعت، فطويت والله أعلم، والكشط والقشط سواء، وهو القلع، وقوله: ﴿وَإِذَا الْجَبَعُ سُيِّرَتْ ۖ﴾ [التكوير: ١٢] أى أوقدت. وقوله: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ ۖ﴾ [التكوير: ١٣] أى قربت لأهلها، وأدريت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ﴾ [التكوير: ١٤] أى من عملها، وهو مثل قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۖ﴾ [الانفطار: ٥].

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ

فمثل لنفسك وقد بُعثت من قبرك مبهوراً من شدة الصاعقة شاخص العين نحو

النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الرعب مضافاً إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر.... قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [الزمر: ٦٨].

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور وظننت أن يوم الفصل بعيد.

﴿اقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾ مَا يَأْنِيهِمْ مِّن ذِكْرِ مَن رَّبِّهِمْ يُتَخَذَ إِلَّا اسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا إِلَهَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتَوْنَ السِّحْرَ وَأَن تَبْصُرُوا﴾ ﴿٣﴾ [الأنبياء: ١-٣].

فأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويدهم أفندتهم ويدل على ذلك شدة تشميرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهيرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال، بل إذا سُئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم.

ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه - الذي أخبر - صدقت، ثم مد يديه لتناوله؛ كان مصداقاً بلسانه ومكذباً بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان.

فتفكر في الخلائق وذلهم. وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة، وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل إن كنت في الدنيا من المترفين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقهم.... يوطنون بالأقدام مثل الذر، وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنس بها، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة، وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾ [التكوير: ٥].

فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته، فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا

الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطُمس ضوء الشمس والقمر، وأظلمت الأرض لخمود سراجها. فبينما هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام، والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبه ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها! ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صُفرة فصارت وردة كالدهان، وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن، واشتبك الناس كالفراش المبتوث وهم حفاة عراة مشاة.

إنه اليوم الذي قال عنه الحق جل وعلا: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۚ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

إنه اليوم الذي قال عنه الحق تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رِيَكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَقٌّ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرْوَنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝﴾ [الحج: ٢٠].

[الحج: ١، ٢].

يوم القيامة... يا له من يوم

إنه اليوم الذي يقبض فيه الحق (جل وعلا) الأرض بيده ويطوى السماوات بيمينه كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [الزمر: ٦٧]. بل لقد أخبر عن كيفية طيه للسماوات فقال (عز وجل): ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يهوديًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [الزمر: ٦٧].



وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوى الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرض بشماله - وفي رواية: يأخذهن بيده الأخرى - ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون؟»^(١).

وإنه اليوم الذى تتفجر فيه البحار وتشتعل نارًا «وإذا البحار فجرت» «وإذا البحار سُجرت».

بل وتُنسف فيه الجبال الراسيات وتصبح كثيبًا مهيلًا ككثبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء... قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝﴾ [المزمل: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ وَالْجِبَالُ فَدُكْدَانٌ وَاحِدٌ ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝﴾ [الحاقة: ١٣-١٦].

بل إن الحق (جل وعلا) يزيل هذه الجبال عن مواضعها.... قال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۝﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝﴾ [النبا: ٢٠].

حتى هذه السماء الجميلة التى تسعد القلوب والعيون برؤيتها فإنها تضطرب اضطرابًا عظيمًا وتمور مورأنا وتشقق ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا رَحْمَةً ۝ فَتَصْبِحُ السَّمَاءُ وَاهِيَةً ضَعِيفَةً ۝ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝﴾.

أما لون السماء الأزرق الجميل فإنه يزول ويذهب، وتأخذ السماء فى التلون فى ذلك اليوم كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها، فتارة حمراء، وتارة صفراء، وأخرى خضراء، ورابعة زرقاء، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝﴾ [الرحمن: ٣٧].

حتى هذه الشمس التى جعلها الله سببًا من أسباب الحياة فإنها تجمع وتُكَوَّر ويذهب ضوءها كما قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝﴾.

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢١٤٨، رقم ٢٧٨٨).

بل وهذا القمر الذى نراه فى أبهى وأجل صورة ويأنس به المسافرون فإنه يخسف ويذهب ضوؤه كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ﴾ [القيامة: ٨، ٧] وهذه النجوم التى تُزين السماء فإنها تنكدر وتتناثر كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ تَنَزَّتَتْ ۚ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۚ﴾﴾. فيا له من يومٍ ما أصعبه... فنسأل الله (عز وجل) أن يربط على قلوبنا وأن يرزقنا الأمان فى يوم الفزع الأكبر.

الاستعداد لهذا اليوم

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه، المديد زمانه، الفاهر سلطانه، القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والكواكب من هولاء قد انشردت، والنجوم الزواهر قد انكدرت، والشمس قد كورت، والجبال قد سُيرت، والعشار قد عُطلت، والوحوش قد حُشرت، والبحار قد سُجرت، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت، والجحيم قد سُمرت، والجنة قد أزلقت، والجبال قد نُسفت، والأرض قد مُدت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، يوم تُحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، يومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة. يوم تُرج الأرض فيه رجاً وتبس الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً، يوم يكون الناس كالفراس المبيوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، يوم تُنسف فيه الجبال نسفاً فتترك قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان، يوم يُمنع فيه العاصى من الكلام، ولا يسأل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصى والأقدام، يوم تجد كل نفس

ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، يوه تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق الجوارح يوم شُيِّب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق عليه السلام: أراك قد شبت يا رسول الله قال: «شبيتنى هود وأخواتها»^(١).

وهى الواقعة والمرسلات وعم يتسألون وإذا الشمس كورت، فيا أيها الإنسان م غرك بربك الكريم، حيث أغلقت الأبواب وأرخت الستور، واستترت عن الخلقات فقامت الفجور، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك؟ فالويل كل الويل لك معشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين، ثم يعرفنا غفلتنا ويقول: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ① مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ② لَا هِيَ تُلَبِّسُهُمْ بِأَسْرَارِهِمْ الَّذِينَ ظَلَمُوا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ③ ﴿[الأنبياء: ١-٣] ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ④ ﴿[القمر: ١]﴾ وَهُمْ يَرْوْنَهُ بَعِيدًا ⑤ وَرَبُّهُ قَرِيبٌ ⑥ ﴿[المعارج: ٦، ٧] ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميهِ ولا نستغد للتلخيص من دواهيهِ. فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يدركنا الله بواسع رحمته.

مثل لقلبك أيها المغرور	يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت	حرًا على روس العباد تقور
وإذا الجبال تعلقت بأصولها	فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت	وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها	خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت	وتقول للأملاك أين نسير

(١) صحيح: رواه الترمذى (٤٠٢/٥)، رقم (٣٢٩٧) وقال: حسن غريب، والحاكم (٣٧٤/٢)، رقم (٣٣١٤) وقال: صحيح على شرط البخارى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٢٣).

فيقال سيروا تشهدون فضائحا وعجائبا قد أحضرت وأمور
وإذا الجنين بأمره متعلق خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم على الذنوب دهور؟؟

مجيء جهنم

تأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً، ينتظرون حقيقة أنبائها، وتشفيح شفعاها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً وجر جرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل؟ فيأدرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظام التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] فأسكنوه داراً ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإننا لا نعود، فتقول لهم الزبانية: هيهات هيهات لا خروج لكم من دار الهوان. فلا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف فهم غرقى في النار، طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران، وسرايل القطران، وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضائقها، ويتحطمون في دركاتنا، ويضطربون بين غواشيتها، تغلى بهم النار كغلى القدور، ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور صَبَّ من فوق رؤوسهم الحميم، يُصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع

من حديد، تهشم بها جباههم، فيتفجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، كلما نضجت جلودهم يُدلّوا جلوداً غيرها.... وكسرت عظامهم، وجُدعت آذانهم وأُعميت أبصارهم وأُبُكمت ألسنتهم وغُلّت أيديهم إلى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، وهم يمشون على النار بوجوههم، ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم. وحيات الهاوية وعقاربها متشبثةً بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

قال ﷺ «يُخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة..... بكل جبارٍ عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين»^(١).

وقال ﷺ «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(٢). فياله من مشهدٍ مهيبٍ تنفطر منه القلوب فإذا جرى بجهنم لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه وقال: يارب سلم سلم.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ وَجِئَئْهُمْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۚ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۚ﴾ [الفجر: ٢١-٢٤].

تأمل معي هذه الحسرة الشديدة لكل من فرط في حق الله جل وعلا - أو رأى جهنم فإنه يصرخ ويقول: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ كلمة يقولها كل من فرط في الصلاة وكل من عصى والديه وكل من ظلم العباد وكل من حارب الله جل وعلا وتقولها كل من تركت حجابها وخرجت سافرة متبرجة ناسية قول الله جل وعلا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ ادْفُكْ أَنْ يُعْرِقْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٥٩].

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/٣٣٦، رقم ٨٤١١)، والترمذي (٤/٧٠١، رقم ٢٥٧٤) وقال: حسن غريب. والبيهقي في شعب الإيمان (٥/١٩٠، رقم ٦٣١٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٠٥١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/٢١٨٤، رقم ٢٨٤٢).

وناسية قول رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).
أما آن الأوان يا أختاه أن تلبسى حجابك ليكون حجاباً لك من النار..... أما آن الأوان لتلبسى لباس الستر والعفاف وتقادى لأمر الله وأمر رسول الله ﷺ حتى لا تكونى من أهل النار الذين أخبر عنهم النبى ﷺ فى الحديث السابق.... إنها كلمة فى أذن كل فتاة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر - يا أختاه أنقذى نفسك من النار قبل أن تصرخى وتقولى: ﴿يَلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢١) ﴿٢٢﴾.

فها هى الفرصة أمامك فتوبى إلى الله وأسرعى الخطى ولسان حالك ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (٨٤) ﴿طه: ٨٤﴾ واسجدى بين يدى الله عز وجل واطلبى منه المغفرة والرحمة فهو القائل ﴿نَحْنُ عِبَادٌ خَالِدُونَ أَيْنَا أَلْفُورُ الرَّجِيمِ﴾ (٢١) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

ويا من تظلم وتتجبر لا تنس هذا المشهد المهيّب عند مجىء جهنم فتب إلى الله وتحلل من المظالم. قبل أن تصرخ وتقول: «يا ليتنى قدمت لحياتى» فتندم حيث لا ينفع الندم ولا تُدفع النقم.

فى ظل عرش الرحمن - جل وعلا-

ومع كل هذه الأهوال والكربات فهناك صنفٌ كريم يكون فى ظل عرش الرحمن - جل وعلا-.

قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»^(٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٣/ ١٦٨٠، رقم ٢١٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١/ ٢٣٤، رقم ٦٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١٥، رقم ١٠٣١).

والإظلال في ظل عرش الرحمن ليس مقصوراً على السبعة المذكورين في الحديث بل لقد أخبر النبي ﷺ عن غيرهم أنهم يكونون في ظل عرش الرحمن -جل وعلا- .
قال ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»^(١).

وقال ﷺ: «من أنظر مُعْسِراً أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»^(٢).

وقال ﷺ: «من نفَّس عن غريمه أو محأ عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»^(٣).

المشركون ومشاهد الحسرة

إنها الحسرة على كل من أشرك بالله -جل وعلا-.

وذهب يطلب المدد من البدوى وغيره وذهب يذبح وينذر لغير الله ويعتقد أن النفع والضرب بيد المخلوقين وليست بيد الله جل وعلا فيعيش في تلك الحياة، وقد انسلخ من ثوب الإيمان وارتدى ثوب الجحود والكفران فيُحرم من نعيم القرب من الرحمن ويعيش عيشة الذل والحرمان..... إنها الحسرة عندما يخرج أهل الشرك على تلك الهيئة التي يصورها القرآن لنا، حيث يقول جل وعلا ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَيْنَا نَصِبٌ يُفْضُونَ﴾^(١٣) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلٌّ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٤﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤].

وقال ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا يتبع كل إنسان ما كان يعبد؟ فيُمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التماوير تماويره ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين...»^(١٤).

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/١٩٨٨، رقم ٢٥٦٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/٢٣٠١، رقم ٣٠٠٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/٣٠٠، رقم ٢٢٦١٢) وعبد بن حميد (ص ٩٧، رقم ١٩٥)، والدارمي

(٢/٣٤٠، رقم ٢٥٨٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩١١).

(٤) صحيح: رواه الترمذی (٤/٦٩١، رقم ٢٥٥٧) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في

صحيح الجامع (٨٠٢٥).

ثم بعد ذلك يناهى المشركون على آلهتهم فلا تستجيب لهم. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا
شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ (٥٢) [الكهف: ٥٢].
وفي النهاية فالنار تجمع المشركين وآلهتهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا
صَبُودُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٥٨) لَوْ كُنَّا هَكَوْلَاءَ إِلَهِةً مَا
وَرَدُّوْهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٦١) لَهُمْ فِيهَا زُفُورُهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (٦٢)

[الأنبياء: ٩٨ - ١٠٠].

قال ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين، ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ
فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ اللَّهُ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرِكِ» (١).
وقال ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرُكَ الْأَصْفَرُ الرَّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُتِبَ تَرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَعْبُدُونَ
عِنْدَهُمْ جِزَاءً» (٢).

الكافر ليس له حسنات

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ مَكَرُوا بِكُمْ فَأَنْقَضَ اللَّهُ أَمْرَهُمْ وَأَثَرَهُمْ فَطَعَمَهُمْ بِحَسَنَاتِهِمْ﴾ (٢٣) [الفرقان: ٢٣].
وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يُعْطِي عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَيُنَازِلُ عَلَيْهَا
فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ
يُعْطَى بِهَا خَيْرًا» (٣).

يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ
الْقَبْلَةِ. قَالَ الْكَافِرُ لِلْمُسْلِمِينَ: أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: بَلَى. فَيَقُولُونَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ

(١) حسن: رواه أحمد (٣/ ٤٦٦، رقم ١٥٨٧٦)، والترمذي (٥/ ٣١٤، رقم ٣١٥٤) وقال: حسن غريب،
وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٨٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨، رقم ٢٣٦٨٠). قال المنذرى (١/ ٣٤): إسناده جيد. وقال الهيثمي
(١٠٢/ ١): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني في الجامع (١٥٥٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٦٢، رقم ٢٨٠٨).



إسلامكم إذ أنتم معنا في النار، فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيسمع الله عز وجل ما قالوا. فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة، فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا، ثم قبرا رسول الله ﷺ: ﴿رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) ﴿[الحجر: ٢]﴾^(١).

فيا لها من فرحة لأهل الإسلام والتوحيد... فيا إخواني اعرفوا قدر الإسلام، بل اعرفوا قدر أنفسكم في ظل الإسلام.

ظلمات بعضها فوق بعض

إن الشدائد التي تمر بالكفار والمنافقين لا تنتهى أبداً... فالعذاب لا يفارقهم أبداً منذ اللحظة التي يأتيهم فيها ملك الموت وإلى أن يدخلوا نار جهنم - أعاذنا الله وإياكم منها -.

فها هم يخرجون من قبورهم في حالة شديدة من الذلة والمهانة كما وصفهم الحق - جل وعلا - فقال: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصُوبٍ يُوَفَّوْنَ ﴿١٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ رَهْمُهُمْ ذُلٌّ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤].

بل إنهم ينادون بالويل والثبور إذا نُفخ في الصور وقاموا من القبور... قال العزيز الغفور: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ قَالُوا يَتُوبَلْنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥١، ٥٢].

وها هم في أرض المحشر شاخصة أبصارهم وأفندتهم خالية إلا من الهول والشدائد التي تحيط بهم من كل جانب.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الْقَلِيلُ مِّنَ الَّذِينَ يُجْرِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿١٦﴾﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِبِينَ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئَدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

فإذا برزوا للواحد القهار جىء بهم في حالة شديدة من الذل والصغار مقرنين في

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم (٢/ ٤٠٥، رقم ٨٤٣)، وابن جرير في التفسير (٢/ ١٤)، والحاكم (٢/ ٢٦٥، رقم ٢٩٥٤)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. والبيهقي في البعث والنشور (ص ٩١، رقم ٧٩). وعزاه ابن كثير في التفسير، وصححه العلامة الألباني في ظلال الجنة (٨٤٣).

لأصْفَادٍ مُسْرَبِلِينَ بِالْقَطْرَانِ تَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ... قَالَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ
الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥٠]

ويتحسر الكافر يوم القيامة على كفره ويندم على عمره الذي ضاع في الشرك
والكفران بدلاً من أن يستعمله في نعمة التوحيد والإيمان... قال ذو الجلال والإكرام:
﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧٧﴾ يَوَيْلَ لِّيَ لَمَّا أَخَذْتُهَا
خَلِيلًا ﴿٧٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٧٩﴾﴾

[الفرقان: ٢٧-٢٩]

فيتمنى الكافر في ذلك اليوم أن يهلكه الله وأن يجعله تراباً ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢].
﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾ [النبا: ٤٠].

ويزداد الأمر سوءاً عندما يجد الكافر أعماله أصبحت يوم القيامة هباءً منثوراً...
كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مَاعِزٍ مِّنْ عَمَلٍ فَعَمَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

فتنة الإتياع والمتبعين

إنه مشهد الخزي الذي تنفطر له القلوب المؤمنة، إنها اللحظة الحاسمة التي يتبرأ
فيها أهل الطغيان من الإتياع الذي اتبعوه في كفرهم وضلالهم.
وكانت البداية في الحياة الدنيا كما سطرها الله في كتابه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِّنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [المنكوت: ١٢].

وهذه هي البداية وهذا هو دأب أهل الضلال في مكربهم بأهل الإيمان فهم
يطلبون منهم أن يتبعوه في كفرهم ويعطونهم العهود والمواثيق أنهم سيعملون
خطاياهم يوم القيامة «وهذا على سبيل المكر والخداع» فمن تبعهم من المؤمنين في
الدنيا فسوف يذوق الحسرة الدائمة التي لا تنقطع في الآخرة ولذا قال الله جل وعلا
رداً على هؤلاء الكافرين: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِّنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾

وَلْيَحْمِلْ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾

[العنكبوت: ١٢، ١٣]

ولكى يزداد الأمر وضوحًا وجلاءً فإن الحق تبارك وتعالى يصور لنا تلك المشاهد محذراً لنا من اتباع أهل الباطل ومحذراً لنا من حسرات يوم القيامة فقال جل وعلا:

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١].

أى قال الأتباع وهم ضعاف الإيمان للكبراء والكفار ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ لقد سرنا وراءكم فى كل ما يغضب الله جل وعلا وما عصينا أمركم أبداً بل عصينا الله من أجل أن ترضوا عنا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يسألونهم هل ستدفعون عنا شيئاً من عذاب الله كما أظعنكم فى سخط الله ﴿قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهَ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١].

وما زالت المشاهد تتوالى وتتوالى - يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَفَّضُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر: ٤٧]. فإذا بالسادة أذلة قد عنت وجوههم للحى القيوم ولا يملكون لأنفسهم شيئاً ولا يستطيعون وهم يقولون: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا لَأَبَتْ﴾ الله قد حكّم بينك العباد ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٨].

فكم من ظالم يردد ﴿أَتَدْعُونَا سَيْبًا لَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ وَلْيَحْمِلْ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

فالعقلاء بمقاتلتهم لا يفترون وإن فعلوا فهم فى العذاب والخزى والحسرة يومئذ مشتركون.

وتصور معى يا أخى هذا الجو من الحسرة والخزى والندامة والمخيمة على المستضعفين والمستكبرين - فالأتباع الضعفاء يتهمون زعماءهم بالحيلولة بينهم وبين الإيمان.... والمستكبرون يقولون لأتباعهم أنتم المجرمون دعوناكم فكنتم مجبيين..... فلو رأيتم إذ وقفوا بين يدى ربهم من غير إرادة منهم ولا اختيار ترهقهم ذلة وهم ينتظرون الجزاء!!

يتراجعون فيرجع بعضهم إلى بعض القول ويلوم بعضهم بعضاً ويؤنب بعضهم بعضاً، ويلقى بعضهم تبعه ما هم فيه على بعض فيقول أتباع الضلال الذين استضعفوا لقادة الضلال الذين استكبروا ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

يقولونها جاهلين بها صادعين في وقت لم يكونوا في الدنيا بقادرين على تلك المواجهة، فكان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام وبيع الحرية التي وهبها الله لهم والكرامة التي منحهم الله إياها.

فاليوم في تلك الحسرة قد سقطت القيم الزائفة وواجهوا العذاب فهم يقولونها غير خائفين ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١] لقد كنتم حائلاً بيننا وبين الإيمان لقد زينتم لنا الفسق والكفران فأنتم المجرمون وبالعذاب أنتم جديرون وله مستحقون.... وفي تلك اللحظات يضيق الذين استكبروا بهم ذرعا فهم في البلاء سواء.... وعندها يردون عليهم في ذلة مصحوبة بفظاظة وفحشاء ﴿أَتَحْسَبُ مَكْدَنَّا كُنَّا عَنْ الْمُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُرٌّ﴾ [سبأ: ٣٢] الله أكبر!! كانوا في الدنيا لا يقيمون للضعفاء وزناً ولا يأخذون لهم رأياً ولا يعتبرون لهم وجوداً ولا يحتملون منهم مخالفة أو حتى مناقشة، أما اليوم في تلك الحسرة فهم يسألونهم في ذل وحقار ﴿أَتَحْسَبُ مَكْدَنَّا كُنَّا عَنْ الْمُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُرٌّ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ﴾ [سبأ: ٣٢].

وهذا اعتراف منهم بأنهم زينوا لهم الإجماع والكفر ولكنهم لم يقهروهم عليه بل لقد كان الضعفاء مستعدين لقبول هذا الكفر والإجماع.

وتأتى الردود الحاسمة من المستضعفين الذين لم يكونوا في الدنيا قادرين على أن ينطقوا بكلمة واحدة، ولكن بعد أن سقطت القناعات الزائفة وظهرت الحقائق واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار قالوا: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً﴾ [سبأ: ٣٣].

أى أن مكركم لم يفتر ليلاً ولا نهاراً في الصد عن الهدى فأنتم تزينون لنا الضلال وتشجعوننا على الفساد وتقولون إنه الحق ثم تقدحون في الحق وتزعمون أنه باطل فما زال مكركم بنا حتى أغويتهمونا وفتنتمونا!!

وتالله يا إخواني إن صور المكر تتنوع وتتغير من عصر لآخر ففى وقت نزول



القرآن كانت تتخذ أشكالا من الأشعار في المتتديات الجاهلية توجه بها التهم الباطلة لرسول الله ﷺ ومن معه أو لصد الناس عن سماع الحق، أو لإثارة نكرة القوميات والآباء والأجداد، لكن ماذا يساوى هذا المكر بالنسبة للمكر في زماننا الحاضر فما يكاد التلفاز وما فيه من الرذيلة يبت على مدى الأربع وعشرين ساعة الرذيلة في بيوت المسلمين وينهاهم عن كل فضيلة وما يكاد التلفاز يغلق حتى يأتي دور الفيديو ثم يأتي البث المباشر ثم المجلة الهابطة والقصة الخليعة، وهكذا ﴿بَلْ مَكْرٌ أَتَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾ ولكننا نسأل أنفسنا هذا السؤال: هل يُعذر المسلم لمعايشة هذا المكر؟! كلا والله لا يُعذر لأنه هو الذى أتى به إلى بيته واستأنس بكل ما فيه من الرذيلة ﴿أَفَحُكُّمَ مَكْرُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِكُفْرٍ كَثِيرٍ مِّنْ قَبْلِهِ﴾ [سبا: ٣٢].

ويرد هؤلاء المستضعفون ﴿بَلْ مَكْرٌ أَتَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾.

ومن هنا ندرك أن هذا الحوار البائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء إلا براءة بعضهم من بعض لأنه قد علم كل واحد منهم أنه ظالم لنفسه مستحق للعذاب فندم حين لا ينفع الندم وتمنى أن لو كان على الحق والإيمان ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبا: ٣٣]، ففضى الأمر وسكت الحوار وانتهى الجدل.

وفي سورة البقرة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، أى مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطان الله وجليل قدرته وجد في الناس من يتخذ معه سبحانه نداً يعبد من الأصنام ويحبه «كحب الله»، أى كحب المؤمنين لله... أو كما يحب المشركون الله يحبون أندادهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أى أشد في حبه لله من حب الكفار للأنداد ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ سَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

أى ولو أن الذين ظلموا بمحبتهم الأنداد كحب الله لو يرون حالهم عند رؤيتهم العذاب يوم القيامة ومعاينتهم قوة الله وبطشه وعجز آلهتهم عن أن تدفع عنهم شيئا من عذاب الله ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أى تبرأ السادة والرؤساء وأئمة الكفر ممن تبعهم

على الكفر ﴿وَرَأَوْا الْكُذَّابَ﴾ يعنى التابعين والمتبوعين ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] الصلات والعلاقات التى كانوا يتواصلون بها فى الدنيا من الرحم وغيره ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي فَنَتَّبِعَ لِمُتَّبِعِهِمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَغْمَلَهُمْ خَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]

ففى هذا المشهد يتمنى الأتباع أن يعودوا إلى الدنيا ويعملوا صالحًا ويتبرأوا من نعمة الكفر كما تبرأوا منهم فى الآخرة، ولكن هيهات هيهات ويا لها من حسرة!!! ويقول الحبيب ﷺ: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل»، قال سليم بن عامر ما أدرى ما يعنى بالميل: أمسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجماعاً» (١).

وها هى الأم التى تتمنى أن تفدى وليدها بنفسها... ها هى تذهل عنه فى ذلك اليوم... والحامل تسقط حملها وترى الناس كأنهم سُكارى من هول ذلك اليوم.

بل ترتفع قلوبهم من شدة الهول إلى حناجرهم فلا هى تخرج ولا تستقر فى مكانها.

وقال ﷺ: «إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين باعاً وإنه ليلج إلى أفواه الناس أو أذانهم» (٢).

وقال ﷺ فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْآَلَمِينَ﴾ قال: «يوم يقوم أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه» (٣).

قال تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الصُّعَفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ مَوَاءً عَلَيْهِمْ أَجْرٌ عَلَيْنَا أَم

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢١٩٦، رقم ٢٨٦٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/٢١٩٦، رقم ٢٨٦٣).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥/٢٣٩٣، رقم ٦١٦٦).

صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ [إبراهيم: ٢١]. الضعفاء المستذلين. ومعهم الشيطان.. ثم الذين آمنوا بالرسول وعملوا الصالحات.. برزوا «جميعًا» مكشوفين. وهم مكشوفون لله دائمًا. ولكنهم الساعة يعلمون ويحسون أنهم مكشوفون لا يحجبهم حجاب، ولا يسترهم من ساتر، ولا يقيهم واق.. برزوا وامتلات الساحة وُرفِعَ الستار، وبدأ الحوار: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

✽ والضعفاء هم الضعفاء. هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه؛ وجعلوا أنفسهم تبعًا للمستكبرين والطفة. ودانوا لغير الله من عبيده واختاروها على الدينونة لله. والضعف ليس عذرًا، بل هو الجريمة؛ فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيفًا، وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله. وما يريد الله لأحد أن ينزل طائعًا عن نصيبه في الحرية - التي هي ميزته ومناط تكريمه - أو أن ينزل كارهاً. والقوة المادية - كائنة ما كانت - لا تملك أن تستعبد إنساناً يريد الحرية، ويستمسك بكرامته الأدمية. فقصارى ما تملكه تلك القوة أن تملك الجسد، تؤذيه وتعذبه وتكبله وتحبسه. أما الضمير. أما الروح. أما العقل. فلا يملك أحد حبسها ولا استذلالها، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال!

من ذا الذي يملك أن يجعل أولئك الضعفاء تبعًا للمستكبرين في العقيدة، وفي التفكير، وفي السلوك؟ من ذا الذي يملك أن يجعل أولئك الضعفاء يدينون لغير الله، والله هو خالقهم ورازقهم وكافلهم دون سواه؟ لا أحد. لا أحد إلا أنفسهم الضعيفة. فهم ضعفاء لأنهم أقل قوة مادية من الطفة، ولا لأنهم أقل جاهًا أو مالًا أو منصبًا أو مقامًا.. كلا، إن هذه كلها أعراض خارجية لا تعد بذاتها ضعفًا يلحق صفة الضعف بالضعفاء. إنما هم ضعفاء لأن الضعف في أرواحهم وفي قلوبهم وفي نخوتهم وفي اعتزازهم بأخص خصائص الإنسان!

إن المستضعفين كثرة، والطواغيت قلة. فمن ذا الذي يُخضع الكثرة للقلة؟ وماذا الذي يخضعها؟ إنما يخضعها ضعف الروح، وسقوط الهمة، وقلة النخوة، والتنازل

لداخلي عن الكرامة التي وهبها الله لبنى الإنسان!

إن الطغاة لا يملكون أن يستذلوا الجماهير إلا برغبة هذه الجماهير. فهي دائماً قادرة على الوقوف لهم لو أرادت. فالإرادة هي التي تنقص هذه القطعان! إن الذل لا ينشأ إلا عن قابلية للذل في نفوس الأذلاء.. وهذه القابلية هي وحدها التي يعتمد عليها الطغاة!! والأذلاء هنا على مسرح الآخرة في ضعفهم وتبعيتهم للذين استكبروا يسألونهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَبَلَّغْ أَمْرُكُمْ أَنْتُمْ مُقْتَنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟﴾..

وقد اتبعناكم فانتبهنا إلى هذا المصير الأليم؟!

أم لعلهم وقد رأوا العذاب يهمون بتأنيب المستكبرين على قيادتهم لهم هذه القيادة، وتعريضهم إياهم للعذاب؟ إن السياق يحكى قولهم وعليه طابع الذلة على كل حال!

ويرد الذين استكبروا على ذلك السؤال:

﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (٥) ..
 فعلام تلومونا ونحن وإياكم في طريق واحد إلى مصير واحد؟ إننا لم نهدى ونضللكم. ولو هدانا الله لقدناكم إلى الهدى معنا، كما قدناكم حين ضللنا إلى الضلال! وهم ينسبون هداهم وضلالهم إلى الله. فيعترفون الساعة بقدرته وكانوا من قبل ينكرونه وينكرونها، ويستطيّلون على الضعفاء استطالة من لا يحسب حساباً لقدرة القاهر الجبار. وهم إنما يتهربون من تبعة الضلال والإضلال برجع الأمر لله.. والله لا يأمر بالضلال كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأمراء: ٢٨].. ثم هم يؤنبون الضعفاء من طرف خفى، فيعلنونهم بأن لا جدوى من الجزع كما أنه لا فائدة من الصبر. فقد حق العذاب، ولا راد له من صبر أو جزع، وفات الأوان الذي كان الجزع فيه من العذاب يجدى فيرد الضالين إلى الهدى؛ وكان الصبر فيه على الشدة يجدى فتدركهم رحمة الله. لقد انتهى كل شيء، ولم يعد هنالك مفر ولا محيص:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (٦) !

لقد قُضى الأمر، وانتهى الجدل، وسكت الحوار.. وهنا نرى على المسرح عجباً. نرى الشيطان.. هاتف الغواية، وحادى الغواية.. نراه الساعة يلبس مسوح الكهان، أو

مسوح الشيطان! ويتشيطان على الضعفاء والمستكبرين سواء، بكلام ربما كان أفسى عليهم من العذاب:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

الله! الله! أما إن الشيطان حقاً لشيطان! وإن شخصيته لتبدو هنا على أتمها كما بدت شخصية الضعفاء وشخصية المستكبرين في هذا الحوار...

إنه الشيطان الذي وسوس في الصدور، وأغرى بالعصيان، وزين الكفر، وصدّهم عن استماع الدعوة... هو هو الذي يقول لهم وهو يطعنهم طعنة أليمة نافذة، حيث لا يملكون أن يردوها عليه - وقد قضى الأمر - هو الذي يقول الآن، وبعد فوات الأوان:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾!

ثم يخزهم وخزة أخرى بتعيرهم بالاستجابة له، وليس له عليهم من سلطان، سوى أنهم تخلوا عن شخصياتهم، ونسوا ما بينهم وبين الشيطان من عداة قديم، فاستجابوا لدعوته الباطلة وتركوا دعوة الحق من الله:

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾!

ثم يؤنبهم، ويدعوهم لتأنيب أنفسهم. يؤنبهم على أن أطاعوه!

﴿فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾!

ثم يخلى بهم، وينفض يده منهم، وهو الذي وعدهم من قبل ومنأهم، ووسوس لهم أن لا غالب لهم، فأما الساعة فما هو بمليهم إذا صرخوا، كما أنهم لن ينجدوه إذا صرخ:

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾..

وما بيننا من صلة ولا ولاء!

ثم يبرأ من إشراكهم به ويكفر بهذا الإشراك:

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾!

ثم ينهى خطبته الشيطانية بالقاصمة يصبها على أوليائه:

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢)!

فيا للشيطان! ويا لهم من وليهم الذى هتف بهم إلى الغواية فاطاعوه؛ ودعاهم فرسل إلى الله فكذبوهم وجحدوه!

وقبل أن يسدل الستار نبصر على الضفة الأخرى بتلك الأمة المؤمنة، الأمة الفائزة، الأمة الناجية:

﴿وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (٢٣) ﴿[إبراهيم: ٢٣].

ويسدل الستار..

فيا له من مشهد! ويا لها من خاتمة لقصة الدعوة والدعاة مع المكذبين والظغاة! بل يذكر الحق (جل وعلا) تخاصم الضعفاء والسادة فى موضع آخر فيقول: ﴿وَإِذْ يَتَحَلَّجُونَ فِي السَّارِ يَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّْا فَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (٢٨) ﴿[غافر: ٤٧، ٤٨].

وها هى صورة أخرى من تخاصم الأتباع مع قادة الضلال من أصحاب المبادئ المناقضة للإسلام.

قال تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (٢٣) وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْغُولُونَ﴾ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) قَالُوا إِنَّا كُنْكُمْ تَابُونَ تَنَاعَى الْيَمِينِ﴾ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ﴾ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ (٣١) فَأَعْوَيْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا عَاوِينَ﴾ (٣٢) فَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) ﴿[الصافات: ٢٢-٣٥].

بل ها هى صورة أخرى من مخاصمة العابدين للمعبودين.

قال تعالى: ﴿وَبَرَزَتِ الْجَنَّةُ لِلْعَاوِينَ﴾ (٣٦) وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ (٣٨) فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ﴾ (٣٩) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٠) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٤١)

﴿٧﴾ إِذْ تُسَوِّعُكُمْ رَبِّ الْمَلَايِكَةِ ﴿٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩﴾ [الشعراء: ٩١-٩٩].

إنهم يخاطبون آلهتهم التي كانوا يعبدون، معترفين بضلالهم إذ كانوا يعبدونها. ويسوون بينها وبين الخالق، وقد خاب وخسر من رفع المخلوق إلى مرتبة الخالق. وكل من عبد من دون الله آلهة، فقد سوى بين الخالق والمخلوق، وهذا هو الظلم العظيم، كما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

[لقمان: ١٣].

أما الصالحون الأخيار الذين عبدوا وهم لا يعلمون، أو عبدوا بغير رضاهم كالملائكة وصالحى البشر، فإنهم يتبرؤون من عابديهم، ويكذبون زعم العابدين وافتراءهم فإن الملائكة ما طلبت هذه العبادة ولا رضيت بها، والذين طلبوها هم الجن، كى يضلوا البشر ويوبقوهم، فهؤلاء الضالون عبّادون للجن لا للملائكة ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُكُلَا إِنَّا كُنتُمْ عِبَادُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [سبا: ٤٠، ٤١].

بل إنه في ذلك اليوم - يوم القيامة - يقع التخاصم بين الكافر وبين قرينه الشيطان. قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴿١٢﴾ أَتِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَابِدٍ ﴿١٣﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَقٍ ﴿١٤﴾ أَلَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿١٥﴾﴾ ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَفْعَيْتُنَا وَلَكِنْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٦﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿١٧﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمِيرٍ لَّيْسِيذٍ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ٢٣-٢٩].

وفي ذلك الموقف يمقتون أنفسهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [هافر: ١٠]، كما يمقتون كل الذين كانوا لهم أنصارًا وخلائًا في الدنيا، ويدعون عليهم، ويطلبون لهم المزيد من العذاب ﴿يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ بَلَّيْتَنَا اللَّهُ وَالْعَلَفَا الرَّسُولَا ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٢١﴾ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ فِي الْعَذَابِ وَالْعَنَتِمْ لَعْنَا كَبِيرَا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨] ولشدة حنقهم على من أضلهم يسألون الله أن يريهم الذين أضلوهم ليدوسوهم بأقدامهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْإِنِّ وَآلِإِنِّ جَعَلَهُمَا نَحْتًا أَقْدَامَنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٩].

الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان

بل إن الجوارح والأركان تنطق وتعترف بجرم كل من كفر بالله جل وعلا، وبذنب كل من عصى الله سبحانه وتعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]. ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [حق إذا ما جاءوها شهيد عليهم سَمِعُوهُمْ وَأَبْصَرُوهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ أَعْمَلْتُمْ فَتَرْجَبُونَ ﴿٥٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ يَصْبِرْ وَأَلْتَأَسَّ مَنْوًى فَمَنْ يَسْتَعْتِبْهَا فَمَنْهُمْ مِنَ الْمُتَعْتِبِينَ﴾ [نصفت: ١٩-٢٤]..

قال ﷺ: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا قال: هل تضارون، في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا قال: فوالذي نفسى بيده لا تضارون في رؤية ربكم عز وجل إلا كما تضارون في رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول: أى فل - يعنى يا فلان - ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب! فيقول: أفظنت أنك ملائى؟ فيقول: لا فيقول: فلانى أنساك كما نسبته. ثم يلقى الثانى فيقول له: أى فل؟ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب! فيقول: أفظنت أنك ملائى؟ فيقول: لا فيقول: إنى أنساك كما نسبته. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: رب آمنت بك وبكتابك. وبرسلك وصليت وصُمت وتصدقت وبنى بخير ما استطاع فيقول: ها هنا إذن. ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكر فى نفسه: مَنْ ذا الذى يشهد على؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه: انطقى فتتطق فخله ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعْلم من نفسه، وذلك المنافق الذى يسخط الله عليه (١).

فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدى الله

تعالى يسألك شفاها، فيقول لك: ألم أنعم عليك بالشباب ففى ماذا أبليت، ألم أمهل لك من العمر ففيم ماذا أفنيت، ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته، وفى ماذا أنفقته، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت. فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدّ عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساوئك، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك..

قال أنس رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال: «أندرون مما أضحك» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم؟» قال: «يقول: بلى» قال: «فيقول: إني لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً» قال: «فيختم على فيه ويقال لأركانہ انطقى» قال: «فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه: بعداً لكنّ وسُحقاً فعنكن كنت أناضل»^(١).

فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء، إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره.

فاتق الله يا أخى فى تلك الجوارح ولا تسع بها إلى المعاصى، بل اجعلها تعمل فى طاعة الله جل وعلا، فإن الجوارح ستنطق وتتكلم وتخبر بما عملته، وهذا ليس بعجيب إذا ما علمت أن الأرض التى هى من الحجارة والصخور سوف تتكلم وتخبر بكل ما حدث على ظهرها ﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ١ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ٢

[الزلزلة: ٤، ٥].

إننا لابد أن نعلم يقيناً أنه ما من ذنبٍ إلا وكانت عاقبته الحسرة والندامة فى الدنيا والآخرة ولكننى سوف ألقى الضوء على بعض الذنوب التى تضاعبها مشاهد الحسرة يوم القيامة.

يقول ابن الجوزى: لتعظمن على أهل المخالفات الآفات ولتقطعن أفئدة المفرطين بالزفرات وليشتهزن الفاجر فى الخلوات بالجلوات ولتمورن السُّوق يوم السُّوق إلى سُّوق المحاسبات وتسلين الدماء بعد الدموع على الوجنات وليتحسرن أهل المعاصى إذا لاحت درجات الجنات ولينادين منادى الجزاء يخبر بتفاوت

نِعْطَاءَ وَوُقُوعِ السَّيِّئَاتِ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الباقية: ٢١].

وقال أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة): ومن الناس من يُحشر بفتنته دنيوية، فقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم، فعند قيام أحدهم من قبره يأخذه يمينه فيطرحه من يده ويقول: سحقاً لك، شغلتنى عن ذكر الله، فيعود إليه، يقول: أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، وكذلك يبعث السكران سكران، والزامر زامراً، وكل واحد على الحال الذى صده عن سبيل الله.

من قتل نفساً بغير حق

إنها الحسرة على كل من قتل نفساً بغير حق. فقد قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء: ٩٣]. وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وأما حسرته في الآخرة فقد أخير بها الصادق المصدوق عليه السلام، فقال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة - وذكر منهم - ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه». فهو من أبغض الخلق إلى الله جل وعلا في الدنيا والآخرة.

أما المشهد الثانى فيصوره لنا النبى ﷺ قائلاً: «يحيى المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلنى؟ حتى يدينه من العرش».

الذين ياكلون الربا

إنها الحسرة على من ترك البيع الحلال وذهب يتعامل بالربا الذى حرّمه الله (عز وجل).

فأما حسرته في الدنيا فيقول النبى ﷺ: «لن الله أكل الربا وموكله وشاهديه وكتابه وهم فيه سواء»^(١).

(١) صحيح: رواه مسلم (٣/١٢١٩، رقم ١٥٩٨).



وقال ﷺ: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية»^(١).
وقال ﷺ: «الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الرب
استطالة الرجل في عرض أخيه»^(٢).

بل إنه إذا ظهر الربا في قوم فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله عز وجل: قال ﷺ «إذا
ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»^(٣).

وأما حسرة أكل الربا في القبر فيقول ﷺ في جزء من حديث طويل: «فانطلقنا فأتينا
على نهر - حسبت أنه كان يقول: «أحمر مثل الدم» - وإذا في النهر رجل سابح يسبح وإذا
على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي
ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه فليقمه حجراً فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما
رجع إليه فغر فاه فألقمه حجراً». فلما سأل النبي وقال: ما هذان؟ قال -: «وأما الرجل
الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه أكل الربا»^(٤).

فهذا عذابه في قبره وأما عن عذابه وحسرتة يوم القيامة فقد قال جل وعلا:
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:
٢٧٥].

أي أن الذين يأكلون الربا لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم
المصرع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياماً منكراً.
يقول ابن عباس: أكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنوناً يخنق.

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢٥ / ٥)، رقم (٢٢٠٠٧)، والدارقطني (١٦ / ٣)، والطبراني كما في مجمع الزوائد
(١١٧ / ٤) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح،
وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٥).

(٢) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٨ / ٣١٤)، رقم (١٥٣٤٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع
(٣٥٣٧).

(٣) صحيح: رواه الحاكم في المستدرک (٢ / ٤٣)، رقم (٢٢٦١)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع
(٦٧٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٨ / ٥)، والطبراني (٧ / ٢٣٧)، رقم (٦٩٨٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح
الترغيب والترهيب (٥٧٨).

الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠﴾ [النساء: ١٠]

قال ابن كثير: أى إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة.

وقال السدي: يُحشر أكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهيب النار يخرج من فيه - فمه - ومن مسامعه وأنفه وعينه كل من رآه يعرفه أنه أكل مال اليتيم .

تارك الصلاة

وها هو تارك الصلاة عندما تنكشف له الحقائق يوم القيامة يريد أن يسجد فيُحال بينه وبين السجود لله - جل وعلا - .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ١٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ زَهْفُهُمْ ذُلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِتُونَ ١٤﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣] .

قال ابن كثير: أى فى الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم فى الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه. ولما دعوا إلى السجود فى الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه فى الآخرة، إذا تجلى الرب، عز وجل، فيسجد له المؤمنون، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خَرَّ لِقَفَاهُ، عكس السجود، كما كانوا فى الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون.

قال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون «حى على الصلاة حى على الفلاح» فلا يجيبون وهم أصحاب سالمون.... فكل من حافظ على الصلاة فى الدنيا يسجد لله فى الآخرة أما من تركها فى الدنيا فإن الله يسلبه نعمة السجود فى الآخرة.

- وروى أنه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة وأن فى جهنم وادياً يقال له: (لملم) فيه حيات: كل حية بشخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه.

فيا لها من حسرة.

الذين لا يؤدون الزكاة

وأما عن مشاهد الحسرة للذين لا يؤدون الزكاة فهي كثيرة وسأكتفي بمشهدٍ منها:

أما المشهد الأول فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

ويا له من مشهد عظيم... والسؤال هنا لماذا اختار الله الجبهة والجنب والظهر دون سائر الجسد؟!

والجواب عن ذلك أن الفقير كان في الدنيا إذا ذهب إلى الغنى ليسأله أن يعطيه مما أعطاه الله فإن الغنى يعبس بجبهته في وجه الفقير فإذا تكرر السؤال من الفقير فإن الغنى يعطيه جانبه فإذا ازداد إلحاح الفقير فإن الغنى يعطيه ظهره!! فاختار الله عز وجل تلك المواطن الثلاث التي أعرض بها الغنى عن الفقير لتعذب بنفس أمواله بعد أن يُخَمَّى عليها في نار جهنم... وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ أيضًا حيث يقول: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار، فأُخِي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار». قيل: يا رسول الله، فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر، أو فر ما كانت، لا يفقد منها فصيلة واحدًا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أو لاهأرُدَّ عليه أخرها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟ قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي فيها

حتمها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عقضاء ولا طحاء ولا عضباء، تنطحه بقرونها وتنطوهُ بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه آخرها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى الله بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»^(١).

وأما المشهد الثاني: فإنه يُمثَّل لصاحب المال ماله شجاعاً أقرع، له زبيبتان، مبطوق عنقه، ويأخذ بلهزمتي صاحبه، قائلًا له أنا مالك، أنا كنزك، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا: ﴿وَلَا يَخْصِبُ الَّذِينَ يُبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يُبْخَلُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»^(٢).

المتكبرون

ويا له من مشهد رهيب للمتكبرين الذين ملأوا الدنيا كبراً وعناداً واستعلاءً. هاهم يُحجبون عن آيات الله في الدنيا كما قال تعالى: ﴿سَاصِرُونَ عَنِ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلَ الْغَنِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وفي الآخرة يُحشرون في صورة مهينة ذليلة أخبر عنها الحبيب ﷺ فقال: «يُحشَر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يُسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يُسْقون من عصارة أهل النار»^(٣) فيا له من عذاب شديد!!!

(١) صحيح: رواه مسلم (٢/٦٨٠، رقم ٩٨٧).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢/٥٠٨، رقم ١٣٣٨).

(٣) حسن: رواه أحمد (٢/١٧٩، رقم ٦٦٧٧)، والترمذى (٤/٦٥٥، رقم ٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح، وحسنه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٨٠٤٠).



والذر: صغار النمل... ومن المعلوم أن الناس لا يعاون به ولذلك فهم يطؤون بأرجلهم وهم لا يشعرون.

هؤلاء لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم

ومن الذين يغضب الله عليهم يوم القيامة، فلا يكلمهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم. الذين ينقضون ما عاهدوا الله عليه ويشترون بأيمانهم ثمنًا قليلًا، فيحلفون الأيمان الكاذبة تحقيقًا لكسب دنيوى تافه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧].

وقد ساق ابن كثير أحاديث كثيرة تتعلق بهذه الآية:

منها الحديث الذى رواه مسلم عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم». قلت: يا رسول الله، من هم؟ خسروا وخابوا. قال: وأعاده رسول الله ثلاث مرات. قال: «المسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان»^(١).

ومنها ما رواه البخارى ومسلم عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله - عز وجل - وهو عليه غضبان»^(٢).

ومنها ما رواه البخارى عن عبد الله بن أبى أوفى أن رجلاً أقام سلعة له فى السوق، فحلف بالله لقد أعطى فيها ما لم يعطه، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

بل لقد أخبر الصادق عليه السلام عن أصناف كثيرة من البشر لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم رجلٌ حلف على سلعته

(١) صحيح: رواه مسلم (١/١٠٢، رقم ١٠٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤/١٦٥٦، رقم ٤٢٧٥)، ومسلم (١/١٢٢، رقم ١٣٨).

قَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرُ مِمَّا أُعْطِيَ؛ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ؛ يَجْتَطِعُ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَائِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتُ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِدَاكَ»^(١).

وَقَالَ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ؛ وَلَا يَزْكِيهِمْ؛ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلٍ مَاءٍ بِالْفَلَاحِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسُلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ؛ فَحَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ لِأَخْذِهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ بِمَا لَا يَبِيعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يَعْطِهِ لَمْ يَفِ»^(٢).

وَقَالَ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَلَا يَزْكِيهِمْ؛ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»^(٣).

وَقَالَ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمَتْرَجِلَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ، وَالذَّيْوُثُ. وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ، وَالْمَدْمَنُ الْخَمْرَ، وَالْمَنَانُ بِمَا أُعْطِيَ»^(٤).

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي يَأْتِي أَمْرَانِهِ فِي دُبُرِهَا لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي يَمُرُّ ثِيَابَهُ مِنَ الْخِيَلَاءِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٦).

لِجَامِ مِنَ النَّارِ لِمَنْ يَكْتُمُ عِلْمًا

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٣٤/٢)، رقم (٢٢٤٠)، ومسلم (١٠٣/١)، رقم (١٠٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٣/١)، رقم (١٠٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٢/١)، رقم (١٠٧).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١٣٤/٢)، رقم (٦١٨٠)، والنسائي في الكبرى (٤٢/٢)، رقم (٢٣٤٣)، والطبراني

(١٢/٣٠٢)، رقم (١٣١٨٠)، والحاكم (١٤٤/١)، رقم (٢٤٤) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة

الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧١).

(٥) صحيح: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٣٥٥)، رقم (٥٣٧٦) وأخرجه أيضًا: عبد الرزاق عن

معمر في الجامع (١١/٤٤٢)، رقم (٢٠٩٥٢)، وأحمد (٢/٢٧٢)، رقم (٧٦٧٠)، وصححه العلامة الألباني

في صحيح الجامع (١٦٩١).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٣/١٦٥٢)، رقم (٢٠٨٥).

الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ النَّعُوتُ ﴿١٧١﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُ عَنِ النَّارِ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٤، ١٧٥].

وقال ﷺ: «من سُئِلَ عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»^(١).

الْغِيْبَةُ

قال ﷺ: «الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»^(٢).

وأما عن حسرته في الآخرة يقول النبي ﷺ واصفًا تلك الحسرة: «لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»^(٣). قال الطيبي لما كان خش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلها جزاء من يقع في أعراض المسلمين إشعارًا بأنهما ليستا من صفات الرجال بل هما من صفة النساء أقبح حالة وأبشع صورة.

الَّذِينَ لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ بِالْغَيْبِ

قال ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضَاءٍ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا، أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمَنْ جَلَدَتْكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»^(٤).

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٤٤/٢)، رقم ٨٥١٤، وأبو داود (٣/٣٢١)، رقم ٣٦٥٨، والترمذي (٥/٢٩).

رقم ٢٦٤٩ وقال: حسن، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٤).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (١/١١٩)، رقم ١٦٥، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٣٣).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/١٤١٨)، رقم ٤٢٤٥، قال المنذرى (٣/١٧٠): رواه ثقات. وقال =

الذين يكذبون على الله - عز وجل -

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ لَأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨] ويا له من مشهد كله خزي وحسرة وندامة.

بل تدبر معى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ نِّيسٌ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الزمر: ٦٠].

ويا له من يوم تسود فيه وجوه الكاذبين في الوقت الذي تبيض فيه وجوه نصادقين... قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧].

الحاكم الذي يحتجب عن رعيته

قال ﷺ: «من ولى من أمور المسلمين شيئاً، فاحتجب دون خلّتهم، وحاجتهم، وفقرهم، وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة، دون خلّته، وحاجته، وفاقته، وفقره»^(١).

من كان له وجهان

قال ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»^(٢).
وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «... تجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»^(٣).

=البوصيرى (٢٤٦/٤): هذا إسناده صحيح رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى في السلسلة الصحيحة (٥٠٥).

(١) صحيح: رواه الطبرانى (٢٢/٣٣١ رقم ٨٣٢) والحاكم (٤/١٠٥، رقم ٧٠٢٧) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٦٥٩٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤/٢٦٨، رقم ٤٨٧٣)، وابن أبى الدنيا فى الصمت (ص ١٦٢، رقم ٢٧٤)، والبيهقى (١٠/٢٤٦، رقم ٢٠٩٤٦)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٩٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦/٢٦٢٦، رقم ٦٧٥٧)، ومسلم (٤/٢٠١١، رقم ٢٥٢٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣/ ١٣٥، رقم ٢٩٤٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٥٠٣).

رَقْبَةً صَامَتْ، فيقولُ: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك»^(١).
وقد ساق ابن كثير في تفسيره الأحاديث المرهبة من الغلول، ومنها أحاديث غلول
لعمال من الصدقات، وساق حديث أبي حميد الساعدي قال: «استعمل رسول الله ﷺ
رجلاً من الأزديقال له ابن اللثبية على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي.
فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فقال: «ما بال العامل نبعثه على عمل، فيقول: هذا
لكم، وهذا لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد
بيده لا يأتي أحدكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بعييراً له رغاء، أو
بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»^(٢).

لكل غادر لواء

قال ﷺ: «إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة فيقال: ألا هذه غدرة فلان ابن
فلان»^(٣).
وقال ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادر لواء فيقال:
هذه غدرة فلان ابن فلان»^(٤).

من شرب الخمر ولم يتب

قال ﷺ: «من شرب الخمر وسكير لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن مات دخل
النار، فإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد فشرب فسكير، لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن
مات دخل النار وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد فشرب فسكير لم تقبل له صلاة أربعين
صباحاً، فإن مات دخل النار، وإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه
من ردة الخبال يوم القيامة: عَصَاة أَهْلِ النَّارِ»^(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١١٨/٣)، رقم ٢٩٠٨، ومسلم (١٤٦١/٣)، رقم ١٨٣١.

(٢) متفق عليه: والبخاري (٢٤٤٦/٦)، رقم ٦٢٦٠، ومسلم (١٤٦٣/٣)، رقم ١٨٣٢.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٨٥/٥)، رقم ٥٨٢٤، ومسلم (١٣٦٠/٣)، رقم ٧٣٥.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٨٥/٥)، رقم ٥٨٢٣، ومسلم (١٣٥٩/٣)، رقم ١٧٣٥.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (١١٢٠/٢)، رقم ٣٣٧٧، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٠٩).

من لبس ثوب شهرة

قال ﷺ: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبًا مثله ثم يُلهب فيه النار»^(١).

من منع فضل الماء

قال ﷺ: «من منع فضل ماءٍ أو كلاً منعه الله فضله يوم القيامة»^(٢).

النياحة على الميت

وقال ﷺ: «النائحة إذا لم تُثب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطران ودرعٌ من جرب»^(٣).

الشح

قال ﷺ: «لا يسأل الرجل مولاه من فضل هو عنده فيمنعه إياه إلا دعى له يوم القيامة فضله الذي منعه شجاعاً أقرع»^(٤).

لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء

قال ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»^(٥).
وهذا كله بسبب كثرة اللعن الذي يقع فيه كثير من الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

* * *

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٣/٤، رقم ٤٠٢٩)، وابن ماجه (١١٩٢/٢)، رقم ٣٦٠٦، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٥٢٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٧٩/٢، رقم ٦٦٧٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٥٦٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٤٤/٢، رقم ٩٣٤).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٣٣٦/٤، رقم ٥١٣٩)، والطبراني (٤٠٩/١٩، رقم ٩٧٩)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٧٠٩).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٠٠٦/٤، رقم ٢٥٩٨).

المصورون

قال ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»^(١).
وقال ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يُعَذَّبون يوم القيامة فيقال لهم: أحيوا ما
خلقتم»^(٢).

حسرة يوم القيامة لمن غفل عن ذكر الله

قال ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل
جيفة حمارٍ وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة»^(٣).

الذي يسأل وله ما يخفيه

قال ﷺ: «من سأل الناس أموالهم تكثرًا، فإِنما يسأل جمر جهنم، فليستقل منه أو
ليستكثر»^(٤).
وقال ﷺ: «من سأل الناس وله ما يخفيه، جاء يوم القيامة ومسأله في وجهه خوش،
أو خدوش، أو كدوح، قيل: وما الغنى؟ قال: خمسون درهماً، أو قيمتها من
الذهب»^(٥).

الذي منح الأجير حقه

لقد رغب النبي ﷺ في سرعة إعطاء الأجير حقه فقال: «أعطوا الأجير حقه قبل أن
يجف عرقه». فمن خان تلك الأمانة فإنه يجنى الحسرة في الدنيا بدعوة المظلوم ونزع

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٢٠/٥)، رقم (٥٦٠٦) ومسلم (١٦٧٠/٣)، رقم (٢١٠٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٢١/٥)، رقم (٥٦١٢)، ومسلم (١٦٦٩/٣)، رقم (٢١٠٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٤/٤)، رقم (٤٨٥٥)، والحاكم (٦٦٨/١)، رقم (١٨٠٨)، والبيهقى في شعب

الإيمان (٤٠٣/١)، رقم (٥٤١)، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٥٧٥٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠/٢)، رقم (١٠٤١).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٤٦٦/١)، رقم (٤٤٤٠)، والترمذى (٤٠/٣)، رقم (٦٥٠)، وقال: حسن، وصححه

العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٦٢٧٩).

البركة من ماله وأولاده وأما حسرته في الآخرة فقد أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة - وذكر منهم: ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(١).

من غصب أرضًا بغير حق

إن الناس لما ضاع الإيمان والأمان بينهم وغابت مراقبتهم للواحد الديان أصبحت القوة هي اللسان لمن أراد أن يتكلم وهي البيان لمن أراد أن يفصح وهي السلاح لمن أراد أن يحارب.

فأما الحسرة التي يجنيها من غصب أرضًا في الدنيا فإنه يجنى كراهية الخلق والخالف جل وعلا ويكون صدره وقلبه هدفًا يوجه إليه سهام المظلومين (دعاؤهم ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب).

وأما في الآخرة فإن النبي ﷺ قال: «لا يأخذ أحد شبرًا من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة»^(٢).

وقال ﷺ: «أيما رجل ظلم شبرًا من الأرض كلفه الله تعالى أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس»^(٣).

من قذف مملوكه وهو برىء

قال ﷺ: «من قذف مملوكه بالزنا بquam عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»^(٤).

وقال ﷺ: «من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جُلد يوم القيامة حدًا إلا أن يكون كما

قال»^(٥). فإن كان هذا هو الحال مع المملوك فكيف بالحررة الطاهرة؟

(١) صحيح: زواه البخارى (٢/٧٧٦، رقم ٢١١٤).

(٢) صحيح: زواه مسلم (٣/١٢٣١، رقم ١٦١١).

(٣) صحيح: زواه أحمد (٤/١٧٣، رقم ١٧٦٠٧)، والطبرانى (٢٢/٢٧٠، رقم ٩٢)، قال الهيثمى

(٤/١٧٥): رواه أحمد والطبرانى في الكبير والصغير بنحوه بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح،

وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٢٧٢٢).

(٤) صحيح: زواه مسلم (٣/١٢٨٢، رقم ١٦٦٠).

(٥) صحيح: زواه البخارى (٦/٢٥١٥، رقم ٦٤٦٦).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَمُنُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٣، ٢٤]

الْأَثْرِيَاءُ الْمَنْعُومُونَ

الذين يركنون إلى الدنيا، ويطمنون إليها، ويكثرون من التمتع بنعيمها، يُضَيَّقُ عليهم في يوم القيامة، فقد أخبر الرسول ﷺ أن الذي يكثر شبعه في الدنيا، يطول جوعه يوم القيامة.

كما أخبر أن أصحاب المال الكثير والمتاع الدنيوي الواسع يكونون أقل الناس أجراً يوم القيامة، مالم يكونوا قد بذلوا أموالهم في سبل الخيرات، ففي الصحيحين عن أبي ذر قال: «إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله تعالى خيراً، فنفع فيه يمينه وشماله، وبين يديه وورائه، وعمل فيه خيراً»^(١).

وقلة الحسنات تؤخرهم، وتجعل الآخرين يتقدمونهم، بعدما كانوا في الدنيا مقدمين؛ فعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «الأكثرُونَ هم الأسفلُونَ يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا، وهكذا»^(٢).

وأخبرنا الرسول ﷺ أن الذين أنفقوا أنفسهم بالنعيم الدنيوي، والغنى والشراء لا يستطيعون أن يتجاوزوا في يوم القيامة العقبات والأهوال.

ففي شعب الإيمان عن أم الدرداء قالت: قلت لأبي الدرداء: مالك لا تطلب كما يطلب فلان؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون»^(٣).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٦٦/٥)، رقم ٦٠٧٨، ومسلم (٦٨٨/٢)، رقم ٩٤.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (١٣٨٤/٢)، رقم ٤١٣١، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٦٠).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم (٦١٨/٤)، رقم ٨٧١٣ وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٠٠١).

الذي لا يعدل بين أزواجه

إنها الحسرة على كل من لم يعدل بين أزواجه فإنه يجنى الحسرة في الدنيا - يتعرض لدعوة المظلوم التي ليس بينها وبين الله حجاب وذلك لأنه ظلم إحدى زوجاته وفصل عليها الأخرى.

وأما حسرته في الآخرة فإنه يأتي يوم القيامة أمام الخلائق وشقه مائل كما قال النبي ﷺ: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداها جاء يوم القيامة وشقه مائل»^(١).

كرامات أهل الإيمان في المحشر

وها هي مشاهد أهل الإيمان والتوحيد يوم القيامة فإن الله (عز وجل) سيكرمهم في أرض المحشر أمام الخلائق كلها قبل أن يدخلهم الجنة... وسأكتفى ببعض تلك المشاهد المهمة.

يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا

عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رجلاً كان مع النبي ﷺ محرماً فوقصته نائمه فمات، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً»^(٢).

أصحاب النور يوم القيامة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

وقال ﷺ: «لا تنتفوا الشيب ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة»^(٣).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢/٢٤٢، رقم ٢١٣٣)، والنسائي (٧/٦٣، رقم ٣٩٤٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٤٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢/٦٥٦، رقم ١٧٥٢)، ومسلم (٢/٨٦٥، رقم ١٢٠٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤/٨٥، رقم ٤٢٠٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٤٦٣).

وقال ﷺ: «بُشِّرَ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ النَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

أَهْلُ الْقُرْآنِ

قال ﷺ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَكْ عَمْرَانُ كَانَهَا غُفَامَتَانِ أَوْ ظِلَّتَانِ سُودَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَانَهَا فَرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَافٍ بِحَاجَانِ عَنْ صَاحِبَيْهَا»^(٢).

الْأَمْنُ يَوْمَ الْفَرْعِ الْكَبِيرِ

صنف من عباد الله لا يفزعون عندما يفزع الناس، ولا يحزنون عندما يحزن الناس، أولئك هم أولياء الرحمن الذين آمنوا بالله، وعملوا بطاعة الله استعدادًا لذلك نِوَمَ فَيُؤْمِنُهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَعِنْدَمَا يُبْعَثُونَ مِنَ الْقُبُورِ تَسْتَقْبِلُهُمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ تَهْدِيءٌ مِنْ رَوْعِهِمْ، وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَقِّقَةُ أُولَئِكَ عِنَّا مُبْعَدُونَ﴾^(١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَبِيبَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمْ تَلَوُّنُ الْأَكْثَرِ وَتَلَقُّهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

[الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

والفرع الأكبر، هو ما يصيب العباد عندما يبعثون من القبور ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَخْصُ فِيهِ الْأَبْصُرُ﴾^(١٠٤) [إبراهيم: ٤٢].

ففي ذلك اليوم ينادى منادى الرحمن أولياء الرحمن مطمئناً لهم: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(١٠٥) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

[الزخرف: ٦٨، ٦٩].

وقال في موضع آخر: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١٠٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٠٨﴾ لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٩﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

(١) صحيح: رواه أبو داود (١/١٥٤، رقم ٥٦١)، والترمذي (١/٤٣٥، رقم ٢٢٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/٥٥٤، رقم ٨٠٥).

والسر في هذا الأمن الذي يشمل الله به عباده الأتقياء أن قلوبهم كانت في الدب عامرة بمخافة الله، فأقاموا ليلهم، وأظمؤوا نهارهم، واستعدوا اليوم الوقوف بين يدي الله، فقد حكى عنهم ربهم أنهم كانوا يقولون: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ [الإنسان: ١٠] ومن كان حاله كذلك فإن الله يقيه من شر ذلك اليوم ويؤمنه، ﴿فَوَقَّهُمْ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿١٢﴾ [الإنسان: ١١، ١٢].

وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي، لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، لأن هو أمتي في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمتته يوم أجمع فيه عبادي»^(١).

وكلما كان العبد أكثر إخلاصاً لربه تبارك وتعالى كان أكثر أمناً في يوم القيامة فالموحدون الذين لم يلبسوا إيمانهم بشيء من الشرك، لهم الأمن التام يوم القيامة. يدل ذلك على هذا جواب إبراهيم لقومه عندما خوفوه بأصنامهم، فأجابهم قائلاً: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

الشهداء والمرابطون

قال ﷺ: «لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه يشغب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك»^(٢).

وقال ﷺ: «من راح روحه في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكاً يوم القيامة»^(٣).

وقال ﷺ: «من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذي كان

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم (١/ ٢٧٠)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٤٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣/ ١٠٣٢، رقم ٢٦٤٩)، ومسلم (٣/ ١٤٩٦، رقم ١٨٧٦).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٢/ ٩٢٧، رقم ٢٧٧٥)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٩٣، رقم ١٣٥٩)، وحسنه

العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦٠).

يعمل عليه وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع^(١).
وقال ﷺ: «للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلّى حلة الإيمان، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته»^(٢).
وقال ﷺ: «أفضل الشهداء الذين يُقاتلون في الصف الأول، فلا يلفُتُون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلّاء من الجنة، يضحك إليهم ربُّك، فإذا ضحك ربُّك إلى عبد في موطن، فلا حساب عليهم»^(٣).

الحجر الأسود يشهد لك يوم القيامة

قال ﷺ عن الحجر الأسود: «إن لهذا الحجر لساناً وشفيتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق»^(٤).
وقال ﷺ: «والله لبيعته الله يوم القيامة -يعنى الحجر- له عينان يبصر بهما ولسان ينطق يشهد على من استلمه بحق»^(٥).

* * *

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/٩٢٤، رقم ٢٧٦٧). قال البوصيرى (٣/١٥٥): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٤٤).

(٢) صحيح: رواه أخرجه أحمد (٤/١٣١، رقم ١٧٢٢١)، والترمذى (٤/١٨٧، رقم ١٦٦٣)، وقال: حسن صحيح غريب، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/٢٨٧، رقم ٢٢٥٢٩). وأخرجه أيضاً: الطبرانى فى الأوسط (٣/٢٨٦، رقم ٣١٦٩)، وفى مسند الشاميين (٢/١٩٠، رقم ١١٦٧) قال الهيثمى (٥/٢٩٢): رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال أحمد وأبى يعلى ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١١٠٧).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان (٩/٢٥، رقم ٣٧١١)، والحاكم (١/٦٢٧، رقم ١٦٨٠) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٨٤).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣/٢٩٤، رقم ٩٦١) وقال: حسن. وأخرجه أيضاً: ابن ماجه (٢/٩٨٢، رقم ٢٩٤٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٩٨).

عتق الرقاب المسلمة

قال ﷺ: «أثبنا رجلٌ مُسلمٌ أعتق رجلاً مُسليماً، فإنَّ الله تعالى جاعِلٌ وِقاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظامِهِ عَظْماً مِنْ عِظامِ مَحْرَرِهِ مِنَ النَّارِ، وأثبنا امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فإنَّ الله تعالى جاعِلٌ وِقاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظامِها عَظْماً مِنْ عِظامِ مَحْرَرِها مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ»^(١).

الصبر على البلاء

قال ﷺ عن أهل البلاء الذين صبروا على بلائهم ورضوا بقضاء ربهم (عز وجل): «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرِضت في الدنيا بالمقاريض»^(٢).

أهل العدل والرحمة

قال ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكَّه العدل أو يوبقه الجور»^(٣).

وقال ﷺ: «إنَّ المَقْسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا»^(٤).

من أراد أن يفرج الله عنه كُربات يوم القيامة

قال ﷺ: «من نَفَسَ عن مؤمِنٍ كُربَةً من كُربِ الدُّنيا نَفَسَ اللهُ عنه كُربَةً من كُربِ يومِ

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٩/٤، رقم ٣٩٦٥)، وابن حبان (١٤٧/١٠، رقم ٤٣٠٩)، والبيهقي

(١٠/٢٧٢، رقم ٢١١٠٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٧٢٦).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٤/٦٠٣، رقم ٢٤٠٢) وقال: غريب. والبيهقي (٣/٣٧٥، رقم ٦٣٤٥)،

وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨١٧٧).

(٣) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٦/٤٢١، رقم ٣٢٥٥٦)، والبيهقي (١٠/٩٦، رقم ٢٠٠٠٢)، وابن

عساكر (٣٦/٣٨). وأخرجه أيضاً: أحمد (٢/٤٣١، رقم ٩٥٧٠)، قال الهيثمي (٤/١٩٢): رجاله

رجال الصحيح. وأبو يعلى (١١/٤٩٢، رقم ٦٦١٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع

(٥٦٩٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣/١٤٥٨، رقم ١٨٢٧).

القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبِيدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ^(١).
وقال ﷺ: «من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة»^(٢).

الحَاظِمُونَ الْغِيْظَ

إن كظم الغيظ من الأخلاق السامية التي جاء بها الإسلام ليعلم أبناءه كيف أن المسلم لا يغضب لنفسه أبدًا.. بل لقد وصف الله المتقين وكان من بين صفاتهم الجميلة (كظم الغيظ).

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْمَعَانِي عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

ويأتى التكرير من الله (عز وجل) يوم القيامة لكل من اتصف بهذا الخلق الكريم.. قال ﷺ: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء»^(٣).

الرَّحْمَاءُ

قال ﷺ: «من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة»^(٤).
فالرحمة نعمة عظيمة أودعها الله في قلوب من يشاء من عباده.. فالراحمون يرحمهم الله (جل وعلا).

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/٦٢، رقم ١٦٦٤٧)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٤١).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤/٢٤٨، رقم ٤٧٧٧)، والترمذي (٤/٦٥٦، رقم ٢٤٩٣)، وابن ماجه (٢/١٤٠٠، رقم ٤١٨٦)، والطبراني في الكبير (٢٠/١٨٩، رقم ٤١٧)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٥٢٢).

(٤) حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد (١/١٣٨، رقم ٣٨١)، والطبراني (٨/٢٣٤، رقم ٧٩١٥)، قال الهيثمي (٤/٣٣): رجاله ثقات، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦١).

المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة

قال ﷺ: «من أذن ثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة»^(١).

وقال ﷺ: «المؤذن يُغفر له مَدَّ صوته وأجره مثل أجر من صلى معه»^(٢).

وقال ﷺ: «المؤذن يُغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطبٍ ويابس»^(٣).

وقال ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»^(٤).

إنهم كانوا يرفعون أصواتهم في الدنيا بكلمة التوحيد فرفع الله أعناقهم بين الناس يوم القيامة ليظهر فضلهم ومكانتهم.

التجاوز عن المحسر

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً تجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، قال: فلقى الله فتجاوز عنه»^(٥).

وقال ﷺ: «أنتى الله عز وجل بعيد من عباده أتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ فقال ما عملت من شيء يا رب، إلا أنك آتيتني مالاً، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقى أن أبسر على الموسر، وأنظر المعسر، قال الله تعالى: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدى»^(٦).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس،

(١) صحيح زرواه ابن ماجه (١/ ٢٤١ رقم: ٧٢٨)، وصححه العلامة الألبانى في المشكاة (٦٧٨).

(٢) صحيح زرواه الطبرانى (٨/ ٢٤١ رقم: ٧٩٤٢)، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٦٦٤٣).

(٣) حسن صحيح زرواه أحمد (٢/ ٤١١ رقم: ٩٣١٧)، وأبو داود (١/ ١٤٢ رقم: ٥١٥)، والنسائى (٢/ ١٢ رقم: ٦٤٥)، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٤).

(٤) صحيح زرواه مسلم (١/ ٢٩٠ رقم: ٣٨٧).

(٥) متفق عليه: زرواه البخارى (٢/ ٧٣١ رقم: ١٩٧٢)، ومسلم (٣/ ١١٩٦ رقم: ١٥٦٢).

(٦) صحيح زرواه الحاكم (٢/ ٣٣٥ رقم: ٣١٩٧) وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (١٢٥).

فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك قال: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لى غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله أن يتجاوز عنا. قال الله: قد تجاوزت عنك^(١).

من ترك اللباس تواضعاً

قال ﷺ: «من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى حُلل الإيمان شاء يلبسها»^(٢).

تبليغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء

قال ﷺ: «أنتم الغرُّ المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء...»^(٣). وهذه الغرة وذلك التحجيل تكون للمؤمن حلية في يوم القيامة. عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبليغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»^(٤).

عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى ما بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك». فقال رجل: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟

قال: «هم غرُّ محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم

(١) صحيح: رواه النسائي (٣١٨/٧)، رقم ٤٦٩٤، وابن حبان (١١/٤٢٢)، رقم ٥٠٤٣، والحاكم (٢/٣٣)، رقم ٢٢٢٣، وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٠٧٨).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٤/٦٥٠)، رقم ٢٤٨١، وقال: حسن. والطبراني (٢/١٨٠)، رقم ٣٨٦، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/٢١٦)، رقم ٢٤٦.

(٤) صحيح: ومسلم (١/٢١٩)، رقم ٢٥٠.

يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيَّانِهِمْ، وَأَعْرَفَهُمْ تَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ»^(١).

خُذُوا جُنتَكُمْ مِنَ النَّارِ

قال ﷺ: «خُذُوا جُنتَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُمْ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدَّمَاتٍ، وَمُعَقَّبَاتٍ، وَجُنَّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»^(٢)... خُذُوا جُنتَكُمْ: أَيْ وَقَايَتَكُمْ.

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعَطِفُ الْوُحُوشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَرُ نَسْعًا وَتَسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وإليك أخى الحبيب مشهدين فقط من مشاهد رحمة الله (جل وعلا) بعباده يوم القيامة.

قال ﷺ: «يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَيُطْرَحُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حِمَاءً، ثُمَّ تَدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيُخْرَجُونَ، وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ، فَيَنْبَتُونَ، كَمَا يَنْبِتُ الْغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»^(٤).

وقال ﷺ: «هَلْ تَمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ هَلْ تَمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَحْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ:

(١) صحيح لغيره: زواه أحمد (٥/ ١٩٩ رقم: ٢١٧٨٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠).

(٢) صحيح: زواه النسائي في الكبرى (٦/ ٢١٢، رقم ١٠٦٨٤)، والحاكم (١/ ٧٢٥، رقم ١٩٨٥) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٢١٤).

(٣) صحيح: زواه مسلم (٤/ ٢١٠٨، رقم: ٢٧٥٢).

(٤) صحيح: زواه أحمد (٣/ ٣٩١، رقم ١٥٢٣٥)، وهناد (١/ ١٥٣، رقم ٢٠٦)، والترمذي (٤/ ٧١٣، رقم ٢٥٩٧) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨١٠٣).

مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ قَمَرَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتِ الطَّوَاغِيتِ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مَنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدَرُ عَظُمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوَبِّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرِّدُ ثُمَّ يُنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَغَ أَفْهَ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، تَمَنَّيَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السَّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ آثَارَ السَّجُودِ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدْ امْتَحَسُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، مُقْبِلًا بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَقَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا، فيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ أَنْ تُفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ، فيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ، وَرَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ! قَدَّمَنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فيَقُولُ اللَّهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتُكَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فيَقُولُ، لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بِأَبِهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسَّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فيَقُولُ: يَا رَبِّ أَذْخَلْنِي الْجَنَّةَ، فيَقُولُ اللَّهُ: وَيَحْكُ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرْتُكَ! أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذُنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فيَقُولُ: تَمَنَّيَ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أَمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: زِدْ مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يَذْكُرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى

إذا انتهت به الأمانى، قال الله عز وجل: لك ذلك، ومثله معه^(١).

ما ينجي من أهوال يوم القيامة

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»^(٢) أخرجه مسلم. وقد ينجي منها كلهما جاء في الحديث الآتى:

وقال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدى»^(٣).

عن أبى قتادة ط: أنه طلب غريماً له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إني معسر، قال: آله؟ فقال: آله، قال: فإني سمعت رسول الله يقول: «من سره أن ينجي الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه»^(٤).

وعن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شئاله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(٥)، ومعنى في ظله: أى في ظل عرشه... جاء هكذا مفسراً في الحديث.

عن النبى ﷺ: «أن رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له: ما كنت تعمل؟ فقال: أما ذكروا ما ذكر، فقال: إني كنت أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر وأتجاوز في السكة أو في النقد فغفر له»^(٦).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٧/١)، رقم (٧٧٣)، ومسلم (٢٢٧٩/٤)، رقم (٢٩٦٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٧٤/٤)، رقم (٢٦٩٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٩٥/٣)، رقم (١٥٦١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١١٩٦/٣)، رقم (١٥٦٣).

(٥) صحيح: وقد تقدم.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٧٢/٣)، رقم (٣٢٦٦)، ومسلم (١١٩٥/٣)، رقم (١٥٦٠).

عن كعب بن عمرو أنه سمع رسول الله يقول: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله»^(١).

أَسْمَاءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

إن العربي لا يشيب غالبًا إلا بعد الستين فلما رأى الصحابة رضي الله عنهم الشيب قد بدا في رأس الحبيب ولحيته قال لهم الرسول ﷺ: «شيتنى هود وأخواتها»، «شيتنى هود و ﴿الواقعة﴾ و ﴿المرسلات﴾ و ﴿عم يتساءلون﴾ و ﴿إذا الشمس كورت﴾»^(٢).

من أسماء يوم القيامة: يوم العرض

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عذب»، قالت فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: «ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»^(٣).

ومن أسماء يوم القيامة: يوم الحساب

يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن محاسبة الله للخلق فقال: «كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة».

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل الناس رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟»، قالوا: لا، قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر وليس في سحابة؟»، قالوا: لا، قال: «فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»، قال: «يلقى العبد فيقول: أى عبدى قل: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وترتع؟ فيقول: بلى، فيقول: أظننت أنك ملاقى؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتنى، ثم يلقي الثانى فيقول له: ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقي الثالث فيقول له

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢٣٠١، رقم ٣٠٠٦).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١/ ٥١، رقم ١٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٥، رقم ٢٨٧٦).

مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت، وتصدقت، وصمت ويشئى بخير ما استطاع، قال: فيقول: ههنا إذا ثم يقول: الآن نبعث شاهداً عليك فيقول في نفسه من ذا الذى يشهد على؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقى فتتطق فخرج ولحمه، وعظامه، بعمله وذلك ليعذر في نفسه، وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه^(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ يَتَفَسَّكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١١ ﴾ [الإسراء: ١٤] أى حاسبًا، فعيلًا بمعنى فاعل.

ومن أسماء يوم القيامة: يوم السؤال

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»^(٢).

ومن أسماء يوم القيامة: يوم القضاة وهو أيضًا يوم الحكم والفصل

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد»^(٣).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢٢٧٩، رقم ٢٩٦٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢/٨٤٨، رقم ٢٣٧٨)، ومسلم (٣/١٤٥٩، رقم ١٨٢٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢/٦٨٠، رقم ٩٨٧).

الحساب

كلمة حساب إذا أطلقت في الدنيا إنما يخطر ببال الواحد منا الجمع والطرح أو حساب التجار أرباح وخسائر زيادة ونقصان في أرباح الشركة أو المحل في آخر العام وهو الحساب الختامي أو الحساب الموسمي إذا كانت الخزائن فيها بالزيادة كانت هذه شركة ناجحة وإذا كانت الديون أكثر مما في الخزينه فهذه الشركة خاسرة وهذا في مسائل الدنيا فهي عبارة عن زيادة ونقص ربح وخسارة أما حساب الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَصَحُّ الْمَوَدِّينَ الْفَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْثِيَ بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُعْرَضُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٢٤) وَأُمِّهِ، وَأَبِيهِ (٢٥) وَصَاحِبِيهِ، وَبَيْنَهُ (٢٦) لِكُلِّ أَمْرٍ يُنْفِثُ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُفْتِيهِ (٢٧)﴾ [جس: ٣٤-٣٧].

ولذلك يقول الحبيب ﷺ: «يا معشر قريش اشترُوا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً يا بنى عبد مناف اشترُوا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سلبني من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً»^(١).

أول من يحاسب أمة الحبيب ﷺ

عن ابن عباس رضيه الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال: أين الأمة الأمية ونبها؟ فنحن الآخرون الأولون»^(٢).

وقال ابن عباس رضيه الله عنه: فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضى غراً محجلين من آثار الوضوء فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها.

* * *

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣/١٠١٢، رقم ٢٦٠٢)، ومسلم (١/١٩٢، رقم ٢٠٦).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/١٤٣٤، رقم ٤٢٩٠). وأخرجه أيضًا: الديلمى (٤/٢٨٢، رقم ٦٨٣٣)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٣٧٤).

ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٦)

[الإسراء: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرَّجِعُكُمْ فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٣) [يونس: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَتَّبِعُنَّكُمْ لَلنَّبِيِّنَّ بِمَا كُنْتُمْ يُعْمَلُونَ﴾ [التغابن: ٧] أى ما عملتموه.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ (٨) [الزلزلة: ٧، ٨] أى يسأل عن ذلك ويجازى عليه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٨)

[التكاثر: ٨] قال الناس يا رسول الله: عن أى نعيم نسأل فإنما هما الأسودان والعدو

حاضر و سيوفنا على عواتقنا؟ قال: إن ذلك سيكون وعنه قال: قال رسول الله ﷺ **والله**

أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعنى العبد أن يقال له ألم نصح لك جسمك و نرويك من

الماء البارد (١).

وعن أبى برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نزول قلدما عبد يوم

القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه و عن جسده فيما أبلاه و عن عمله ما عمل

فيه و عن ماله من أين اكتسبه و فيما أنفق» (٢).

وعن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنه كيف سمعت رسول الله ﷺ

يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «إن الله بذنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من

الناس و يقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى رب حتى

إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال فإنى قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها

لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته يمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد ﴿هَؤُلَاءِ

(١) صحيح: الترمذى (٤٤٨/٥، رقم ٣٣٥٨) وقال: غريب. والحاكم (١٥٣/٤، رقم ٧٢٠٣) وقال:

صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٢٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٤/٦١٢، رقم ٢٤١٧) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى

صحيح الترغيب (٣٥٩٢).

تَقِيحُ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴿١﴾.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صفار ذنوبه ونخبأ كبارها فيقال له: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا ثلاث مرات قال: وهو يقر ليس ينكر قال: وهو مشفق من الكبائر أن نجىء قال: فإذا أراد الله به خيرا قال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول حين طمع: يا رب إن لى ذنوبا ما رأيتها ها هنا» ^(٢).

قوله: «لا نزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل»: عام لأنه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله عليه السلام «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب» ^(٣). على ما يأتي، وبقوله تعالى للحبيب ﷺ: «أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن» ^(٤).

وبقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ يَسْبِقُهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالتَّوَصَّى وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿٥١﴾ [الرحمن: ٤١].

قوله عليه السلام: «وعن عمله ما عمل فيه».

قلت: هذا مقام مخوف لأنه لم يقل وعن عمله ما قال فيه وإنما قال ما عمل فيه فلينظر العبد ما عمل فيما علمه هل صدق الله في ذلك وأخلصه حتى يدخل فيمن أثنى الله عليه بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [البقرة: ١٧٧] أو خالف علمه بفعله فيدخل في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: ١٦٩] الآية.

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُونُوا أَقْلًا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾ [الصف: ٢، ٣].

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وسيأتي ذكرها في أبواب النار إن شاء الله تعالى

(١) متفق عليه: والبخارى (٢/ ٨٦٢)، رقم (٢٣٠٩)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠)، رقم (٢٧٦٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٧٧)، رقم (١٩٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥/ ٢٣٧٥)، رقم (٦١٠٧)، ومسلم (١/ ١٩٧)، رقم (٢١٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤/ ١٧٤٥)، رقم (٤٤٣٥)، ومسلم (١/ ١٨٤)، رقم (١٩٤).

قوله: «حتى يضع عليه كنفه» أى ستره و لطفه و إكرامه فيخاطبه خطاب الملاطفة و يناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة فيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف فيقول الله تعالى: ممتناً عليه ومظهرًا فضله لديه: فإننى قد سترتها عليك فى الدنيا أى لم أفضحك بها فيها و أنا أغفرها لك اليوم.

يا له من مشهدين جليلين

إنه مشهد الحساب يوم القيامة... هذا المشهد الذى قال عنه الحق (جل وعلا): ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]... فالكل موقوف بين يدى الله (عز وجل) والكل مسئول يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة.

ستقف الخلائق كلها صفًا للحساب بين يدى فاطر السماوات والأرض.. قال تعالى: ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمُو أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨] ويا له من مشهد مهيب عندما يعاين الناس تلك الأهوال وإذا بالأمم كلها تجثوا على الركب كما قال تعالى: ﴿وَنَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجنات: ٢٨] بل ويأتى المجرمون وقد علاهم الذل والصغار بسبب كفرهم بالواحد القهار كما قال العزيز الغفار: ﴿وَنَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [٥١] سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فَطْرَانٍ وَتَعْنَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥١]

ومع تلك الأهوال فهناك صنف كريم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فنسأل الله أن يجعلنا من هذا الصنف الكريم.

يوم يقوم الناس لرب العالمين

حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسما، فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حس يُسمع، ولا شخص يُرى، وقد بقى الجبار الأعلى كما

لم يزل أزيلاً واحداً منفرداً بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادى لكل الخلائق معك للعرض على الله عز وجل بالذل والصغار منك ومنهم. فتوهم كيف وقوع الصوت في مسامعك وعقلك وتفهم بعقلك بأنك تُدعى إلى العرض على الملك الأعلى، فطار فؤادك، وشاب رأسك للنداء، لأنها صيحة واحدة بالعرض على ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء، فبينما أنت فزع للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض على رأسك، فوثبت مغبراً من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك قائم على قدميك، شاخص ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة وهم مغبرون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم.

فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفزع منك ومنهم، فتوهم نفسك بعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق، عراة حفاة صموت أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرغبة، فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت لمدة المنادى، والخلائق مقبلون نحوه، وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساع بالخشوع والذلة، حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس عراة حفاة، قد نُزع المُلك من ملوك الأرض ولزمتهم الذلة والصغار، فهم أذل أهل الجمع وأصغرهم خلقة وقدراً بعد عتوهم وتجبرهم على عباد الله عز وجل في أرضه. ثم أقبلت الوحوش من البراري وذرى الجبال منكسة رؤوسها لذل يوم القيامة بعد توحشها وانفرادها من الخلائق ذليلة ليوم النشور لغير بليّة نابتها ولا خطيئة أصابتها، فتوهم إقبالها بذلها في اليوم العظيم ليوم العرض والنشور.

وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعة لذل العرض على الله سبحانه فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوحش بعضهم من بعض قد أذلهم البعث وجمع بينهم النشور.

حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنّها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها، واستووا جميعاً في موقف العرض والحساب تناثرت

نجوم السماء من فوقهم وطُمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها. فبينما أنت والخلائق على ذلك إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم فدارت بعظمها من فوق رؤوسهم، وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك، ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فيا هول صوت انشقاقها في سمعك، ثم تمزقت وانفطرت بعظيم هول يوم القيامة والملائكة قيام على أرجائها وهي حافات ما يتشقق ويتفطر. فما ظنك بهول تنشق فيه السماء بعظمها، فأذاها ربها حتى صارت كالفضة المذابة تخالطها صفرة لفرع يوم القيامة: كما قال الجليل الكبير: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالْذَهَابِ﴾ (٣٧) [الرحمن: ٣٧] ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝﴾ [المعارج: ٨، ٩].

فبينما ملائكة السماء الدنيا على حافتها إذ انحدروا محشورين إلى الأرض للعرض والحساب، وانحدروا من حافتيها بعظم أجسامهم وأخطارهم وعلو أصواتهم بتقدیس الملك الأعلى الذى أنزلهم محشورين إلى الأرض بالذلة والمسكنة للعرض عليه والسؤال بين يديه.

فتوهم تحدرهم من السحاب بعظيم أخطارهم وكبير أجسامهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم منكسين لذل العرض على الله عز وجل. فيا فزعك وقد فزع الخلائق مخافة أن يكونوا أمروا بهم، ومسألتهم إياهم: أفيكم ربنا؟ ففرع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لمليكهم أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم تنزيلاً لما توهمه أهل الأرض: سبحان ربنا ليس هو بيننا فهو آت، حتى أخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسين رؤوسهم لذل يومهم. فتوهمهم، وقد تسربلوا بأجنحتهم ونكسوا رؤوسهم في عظم خلقهم بالذل والمسكنة والخشوع لربهم، ثم كل شئ على ذلك وكذلك إلى السماء السابعة كل أهل سماء مضعفين بالعدد وعظم الأجساد، وكل أهل سماء محدقين بالخلائق صفا.

حتى إذا وافى الموقف أهل السماوات السبع والأرضين السبع كُست الشمس حر عشر سنين وأدريت من رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لأحد إلا ظلَّ عرش رب العالمين، فمن بين مستظل بظل العرش، وبين مضحو بحر الشمس، قد صهرته بحرّها واشتد كربه وقلقه من وهجها، ثم ازدحمت الأمم وتدافعت، فدفع

عضهم بعضاً وتضايقت فاختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش واجتمع حر شمس ووهج أنفاس الخلائق وتزاحم أجسامهم، ففاض العرق منهم سائلاً حتى ستقع على وجه الأرض ثم على الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله عز وجل بالسعادة والشقاء، حتى إذا بلغ من بعضهم العرق كعبيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم بى شحمة أذنيه، ومنهم من كاد أن يغيب فى عرقه ومن قد توسط العرق من دون ذلك منه.

قال ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذْنِيتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قَيْدَ مِيلٍ أَوْ اثْنَيْنِ، تُصْهِرُهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رِكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْجَمَامَا»^(١).
وقال ﷺ: «يَعْرِقُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»^(٢).

وقال ﷺ: «تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رِكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامَا»^(٣).

وقال أبو حامد الغزالي: واعلم أن كل عرق لم يُخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر، فسُخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهل (والغرور) لعلم أن تعب (العرق) فى تحمل مصاعب الدنيا أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار فى القيامة، فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته.

وهن قتادة - أو كعب - قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين». قال: يقومون

(١) صحيح نزواه أحمد (٣/٦)، رقم ٢٣٨٦٤، والترمذى (٤/٦١٤)، رقم ٢٤٢١ وقال: حسن صحيح،

وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٧).

(٢) صحيح نزواه البخارى (٥/٢٣٩٣)، رقم ٦١٦٧.

(٣) صحيح نزواه مسلم (٤/٢١٩٦)، رقم ٢٨٦٤.

مقدار ثلاثمائة عام، قال سمعت الحسن يقول: ما ظنك بأقوام قاموا لله عز وجل عر أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة، حتى إذ انقطعت أعناقهم من العطش، واحترقت أجوافهم من الجوع انصرف بهم إلى النار. فسُقوا من عين آنية قد آن حرها، واشتد نفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضًا في طلب من يكرم على مولاه أن يشفع لهم في الراحة من مقامهم وموقفهم لينصرفوا إلى الجنة أو إلى النار من وقوفهم ففزعوا إلى آدم ونوح ومن بعده إبراهيم، وموسى وعيسى من بعد إبراهيم، كلهم يقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، فكلهم يذكر شدة غضب ربه عز وجل وينادى بالشغل بنفسه فيقول: نفسى نفسى، فيشتغل بنفسه عن الشفاعة لهم إلى ربهم لاهتمامه بنفسه وخلصها، وكذلك يقول الله عز وجل:

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل: ١١١)

فتوهم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم، منفرد كل واحد منهم بنفسه. ينادى نفسى نفسى، فلا تسمع إلا قول نفسى نفسى، فيا هول ذلك وأنت تنادى معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بخلصها من عذاب ربك وعقابه، فما ظنك بيوم ينادى فيه المصطفى آدم، والخليل إبراهيم، والكلیم موسى، والروح والكلمة عيسى مع كرامتهم على الله - عز وجل - وعظم قدر منازلهم عند الله عز وجل، كل ينادى: نفسى نفسى، شفقًا من شدة غضب ربه، فأين أنت منهم في إشفاعتك في ذلك اليوم واشتغالك بذلك اليوم، وبحزنك وبخوفك؟ حتى إذا أيس الخلائق من شفاعتهم أتوا النبي محمدًا ﷺ فسألوه الشفاعة إلى ربهم فأجابهم إليها، ثم قام إلى ربه عز وجل واستأذن عليه فأذن له ثم خرَّ لربه ساجدًا، ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو أهله، وذلك كله بسمعك وأسماع الخلائق، حتى أجابه ربه عز وجل إلى تعجيل عرضهم والنظر في أمورهم.

مجىء الرب - جل وعلا -

وها هو الحق - جل وعلا - ينزل تنزلاً يليق بجلاله وكماله ليقضى بين الخلائق وينبدأ مشهد الحساب يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّيْمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ۝ أَلَمْ تَكُنْ يَوْمَئِذٍ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا ۝﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمعها انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام وهو ظلل النور العظيم الذي يبهز الأبصار ونزول ملائكة السماوات يومئذ فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ثم يجىء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء.

قال مجاهد: وهذا كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْسَمَافِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِئَتْ يَوْمَئِذٍ بِحَبْنٍ يَوْمَئِذٍ يَنْدَكُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرُ ۝ يَقُولُ يَلَيْسَ لِي لِحَافٌ ۝﴾

[الفجر: ٢١-٢٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فُتِحَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ وَحُلَّتِ الْأَرْضُ نَجْلًا فَدَكًا دَكًا وَاحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ تُقَرَّبُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝﴾ [الحاقة: ١٣-١٨].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك نفخة الفزع. ثم يعقبها نفخة الصعق، حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة، وقد أكدها هنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد. وقال الربيع: هي النفخة للأخيرة والظاهر ما قلناه ولهذا قال ها هنا ﴿وَحُلَّتِ الْأَرْضُ نَجْلًا فَدَكًا دَكًا وَاحِدَةً ۝ أَى فَمَدَّتْ مَدَّ الْأَدِيمِ وَتَبَدَّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝﴾ أى قامت القيامة ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝﴾ كقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ



فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ [النبا: ١٩] .

﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَآ﴾ الملك اسم جنس أى الملائكة على أرجاء السماء أى أطرافها وقوله تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَمِينَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧] ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذى يوضع فى الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم.

قال رسول الله ﷺ: «أُذِنَ لى أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه فى الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شَحْمَةِ أُذُنِهِ وعاتقه خَفَقَان الطير سبعمائة عام يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت» (١) .

وعن العباس بن عبد المطلب ؓ فى ذكر حَمَلَةِ العرش أنهم ثمانية أو عالٍ: وعن سعيد بن جبیر أنها ثمانية صفوف من الملائكة وكذا عن ابن عباس. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ أى تعرضون على عالم السر والنجوى الذى لا يخفى عليه شىء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ .

الوقوف بين يدي الله (عز وجل)

تذكّر وقوفك يوم العرض عُريانا	مستوحشاً قَلِقَ الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظٍ ومن خنقٍ	على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبْدُ على مهْلٍ	فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
فلما قرأت ولم تُنكر قراءته	وأقررت إقرار مَنْ عرف الأشياء عِرْفانا
نادى الجليل خنوه يا ملائكتى	وامضوا بعبْدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غداً فى النار يلهبوا	والموحدون بدار الخلد سَكَّانا

إنه مشهد عظيم لا يستطيع إنسان أن يعلم مدى رهبته فإن الإنسان إذا ما وقف أمام ملك من ملوك الدنيا فإنه يرتجف فؤاده خوفاً وفزعاً أن يصدر منه ما يُغضب

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/٣١٤)، رقم ٦٥٠٣، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٥٣).

صاحب السلطان فما ظنكم بالوقوف بين يدي الواحد الديان ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١].

فبينما أنت في أرض المحشر إذ يأتيك النداء «أين فلان ابن فلان» فيلقى الله في روعك أنك أنت المقصود من بين الخلائق فتقبل على عرش الواحد الديان ويا له من موقف عصيب.

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»^(١).

فأعظم به من موقف وأعظم به من سائل سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿١٨﴾.

وقال ﷺ: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك بى»^(٢).

ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [آل عمران: ٩١].

أى من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبدًا، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبًا فيما يراه قرية، كما سئل النبي ﷺ عن عبد الله بن جدعان - وكان يقرى الضيف ويفك العانى (الأسير) ويطعم الطعام - هل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا! إنه لم يقل يومًا من الدهر: رب اغفر لى خطيئتي يوم الدين»^(٣).

وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضًا ذهبًا ما قبل منه كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] وقال: ﴿لَا يَبْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ ﴿٣٦﴾ [إبراهيم: ٣١]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ

(١) مطلق عليه: رواه البخارى (٦/٢٧٠٩، رقم ٧٠٠٥)، ومسلم (٢/٧٠٣، رقم ١٠١٦).

(٢) مطلق عليه: رواه البخارى (٥/٢٣٩٩، رقم ٦١٨٩)، ومسلم (٤/٢١٦٠، رقم ٢٨٠٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/١٩٦، رقم ٢١٤).

عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا تُقِيلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ [البائدة: ٣٦].

ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهبًا، بوزن جبالها وتلالها وترايبها ورمائها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها.

وقال ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! خير منزل فيقول: سل وامن. فيقول: يارب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات.... لما يرى من فضل الشهادة.... ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم: كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! شرّ منزل فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى رب: نعم فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار»^(١).

فهذا موقف عصيب لكل من أشرك بالله جل وعلا.....، أما المؤمن فله موقف يسير أمام الله جل وعلا، ولكن والله لو أننا سنقف أمام الله جل وعلا لمناقشة الحساب فقط وقد علمنا أننا من أهل الجنة لكان الموقف عصيبًا فكيف بنا ونحن لا نعلم مصيرنا إلى جنة أم إلى نار، والحال كما قال النبى ﷺ: «من نوقش الحساب عُذِب»^(٢).

يا واحدًا صمدًا بغير قرين	ارحم ضراصة عبدك المسكين
واعطف علىّ إذا وقفت مروّعا	حيران بين يديك يوم الدين
يا حسرتي بين العباد إذا همّو	خافوا الحساب فخف عنهم دونى
ما حيلتى فى نشر صحيفتى	إذ قيل لى خُذها بغير يمين
ما حيلتى عند الحساب وهوله	إذ قصرت بى قوتى ويقينى
لا حيلة عندى ولا موئل	إن خائنى طعمى وحسن ظنونى
يارب لا تترك عبدك هالكًا	وارحم بفضلك عبرتى وشجونى

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: سمعته

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٦١، رقم ٢٨٠٥).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

يقول: «إن الله يذنبى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك قال: فإننى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأَشْهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»^(١).

فيا لها من حسرة شديدة أن يقف الكافر والمنافق فى أرض المحشر أمام كل الخلائق من لَدُنْ آدم إلى قيام الساعة وينادى عليه أمام الخلائق ويقال هؤلاء الذين كذبوا على الله..... بل إن الله جعل لهم هيئة يعرفهم الناس بها ﴿وَيَوْمَ أَقْيَمَتِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وتصور حين يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولُبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم، فقدّر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتُقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، فتوهم نفسك أنك فى أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم ادن منى، فدنوت منه بقلب خافق محزون وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر، وأعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فكم من فاحشة نسيته فتذكرتها؟ وكم من طاعة غفلت عنها؟ فكم لك من خجل وجبن؟ وكم لك من حصر وعجز؟ فليت شعرى بأى قدم تقف بين يديه وبأى لسان تجيب وبأى قلب تعقل ما تقول؟ ثم تفكر فى عظم حيائك إذا ذُكر ذنبك فعندها يقول: يا عبدى! أما استحييت منى فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادى، أستخففت بنظرى إليك فلم تكثرث واستعظمت نظر غيرى؟، ألم أنعم عليك: فماذا غرّك بى؟ أظننت أنى لا أراك وأنت لا تلقانى؟.

وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢/ ٨٦٢، رقم ٢٣٦٩)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠، رقم ٢٧٦٨).

بالقمر ليلة البدر، ثم يقول يا ابن آدم ما غرّك بي؟ يا ابن آدم ما عملت فيما علمت. ١. ابن آدم ماذا أحببت المرسلين؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيباً على أذنك؟ وهكذا حتى عدّ سائر أعضائه....

وقال مجاهد: لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق. فأعظم يا مسكين بحياثك عند ذلك بخطرته فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم - فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون والآخرين - وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه، وعند ذلك لو بكّت السماوات والأرض عليك لكان ذلك جديراً بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما قرّطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك بدنيا دنيئة لم تبق معك!

الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

قال ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمْتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَنْطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُونُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١).

وقال ﷺ: «لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمْتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ، مَتَّاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِيَدِ بَعْضٍ، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(٢).

وقال ﷺ: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمْتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِلا حِسَابٍ عَلَيْهِمْ وَلَا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥/٢١٧٠، رقم ٥٤٢٠)، ومسلم (١/١٩٩، رقم ٢٢٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣/١١٨٦، رقم ٣٠٧٥)، ومسلم (١/١٩٨، رقم ٢١٩).

عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثياتٍ من حثياتِ ربِّي»^(١).
وقال ﷺ: «أُعْطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أَمْتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَجُوهُهُمْ
كَالقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزِدْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ
وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا»^(٢).

فيا لها من فرحة لمن يدخل الجنة بغير حساب؛ وذلك لأن المؤمن يعلم أنه لو
جاءه من يبشره بالجنة، ولكن بعد أن يحاسبه الله ثم يدخله الجنة لكان ذلك عذاباً
شديداً؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ»^(٣).
فمجرد مناقشة الحساب عذاب شديد، فحسبك أيها المؤمن أن يعدد الله عليك
ذنوبك وأوزارك. فكيف بمن يحاسبه الله وهو لا يدرى هل هو من أهل الجنة أم من
أهل النار؟! وبذلك تستطيع أن تستشعر مدى فرحة هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير
حساب فاللهم اجعلنا منهم.

مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ

قال ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ». قالت عائشة: أوليس يقول الله:
﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «لَيْسَ ذَلِكَ بِالْحِسَابِ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ
مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ»^(٤).

اللحظة الحاسمة التي يتحدد من خلالها مصير العبد

وها هو الإمام القرطبي يصور لنا تلك اللحظة الحاسمة التي يتحدد من خلالها

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٦٨/٥)، رقم (٢٢٣٥٧)، والترمذي (٦٢٦/٤)، رقم (٢٤٣٧)، وصححه العلامة
الألباني في صحيح الجامع (٧١١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦/١)، رقم (٢٢)، والحكيم (٣٠٢/١)، وأبو يعلى (١٠٤/١)، رقم (١١٢). قال
الميثمي (٤١٠/١٠): رواه أحمد وأبو يعلى، وفيهما المسعودي وقد اختلط، وتابعه لم يسم، وبقية رجال
أحمد رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٧).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥١/١)، رقم (١٠٣)، ومسلم (٢٢٠٥/٤)، رقم (٢٨٧٦).



مصير العبد: إما إلى ظلٍّ ظليلٍ أو إلى شرٍّ مقيلٍ... قال الإمام القرطبي: فتوهم نفسك يا أخى إذا تطايرت الكتب، ونُصبت الموازين، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان؟ هلمّ إلى العرض على الله تعالى. وقد وُكِّلت الملائكة بأخذك، فقربتك إلى الله، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك، إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذا قرع النداء قلبك، فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغير لونك، وطار قلبك، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت في أيديهم، وقد طار قلبك، واشتد رعبك، لعلمك أين يراد بك.

فتوهم نفسك، وأنت بين يدي ربك، في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بليّة كتمتها، ولا مخبأة أسرتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بليّة قد كنت نسيتهَا ذَكَرَكَ اللهُ إياها! وكم من سيئة قد كنت أخفيتَهَا قد أظهرَهَا وأبداها! وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فردّه عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيمًا! فيا حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك.

فأما من أوتى كتابه بيمينه، فعلم أنه من أهل الجنة، فيقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه، وذلك حين يأذن الله، فيقرأ كتابه، فإذا كان الرجل رأسًا في الخير يدعو إليه، ويأمر به، ويكثر تبعه عليه، دُعِيَ باسمه واسم أبيه، فيتقدم حتى إذا دنى أخرج له كتاب أبيض، في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد غفرت لك، فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا، ثم يقلب كتابه، فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحًا، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك، قد ضوعفت لك، فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج، فيوضع على رأسه، ويكسى حُلَّتَيْنِ، ويحلّى كل مفصل فيه، مويطُول ستين ذراعًا، وهى قامة آدم. ويقال له: انطلق إلى أصحابك فبشرهم، وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فإذا أدبر قال: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ۝﴾ إِنَّ ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيَةَ ﴿١٠﴾ [الحاقة: ١٩]، ٢٠. قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝﴾ [الحاقة: ٢١]، أى مرضية، قد رضيها، ﴿فِي

جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٤﴾ فِي السَّمَاءِ، ﴿تَطُوفُهَا﴾ ثَمَارُهَا وَعَنَاقِيدُهَا ﴿دَائِمَةٌ﴾ أَدْنَيْتُ مِنْهُمْ. فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟ فَيَقُولُونَ: قَدْ غَمَرْتَكَ كَرَامَةُ اللَّهِ، مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا فُلَانُ ابْنِ فُلَانٍ، لِيُبَشِّرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمِثْلِ هَذَا ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ ﴿٢٥﴾ [الحاقة: ٢٤] أَيْ قَدَمْتُمْ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا.

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ رَأْسًا فِي الشَّرِّ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُ بِهِ، فَيَكْثُرُ تَبِعُهُ عَلَيْهِ، وَنُودَى بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، فَيَتَقَدَّمُ إِلَى حَسَابِهِ، فَيُخْرِجُ لَهُ كِتَابَ أَسْوَدَ، بِخَطِّ أَسْوَدَ، فِي بَاطِنِهِ الْحَسَنَاتِ، وَفِي ظَاهِرِهِ السَّيِّئَاتِ، فَبَدَأَ بِالْحَسَنَاتِ فَيَقْرُؤُهَا، وَيُظَنُّ أَنَّهُ سَيَنْجُو، فَإِذَا بَلَغَ آخِرَ الْكِتَابِ، وَجَدَ فِيهِ: هَذِهِ حَسَنَاتُكَ، وَقَدْ رُدَّتْ عَلَيْكَ، فَيَسْوَدُ وَجْهَهُ، وَيَعْلُوهُ الْحُزْنُ، وَيَقْنَطُ مِنَ الْخَيْرِ، ثُمَّ يَقْلِبُ كِتَابَهُ، فَيَقْرَأُ سَيِّئَاتِهِ، فَلَا يَزِدَادُ إِلَّا حُزْنًا، وَلَا يَزِدَادُ وَجْهَهُ إِلَّا سُوَادًا. فَإِذَا بَلَغَ آخِرَ الْكِتَابِ، وَجَدَ فِيهِ: هَذِهِ سَيِّئَاتُكَ، وَقَدْ ضُوعِفَتْ عَلَيْكَ، أَيْ يَضَاعَفُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ، لَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَزَادُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَعْمَلْ. قَالَ فَيُعْظَمُ إِلَى النَّارِ، وَتَزُرُقُ عَيْنَاهُ، وَيَسْوَدُ وَجْهَهُ، وَيَكْسَى الْقَطْرَانِ.

وَيَقَالُ لَهُ: انْطَلِقْ إِلَى أَصْحَابِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِثْلَ هَذَا فَيَنْطَلِقُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿يَنْتَبِئْنِي زَأُوتُ كَيْبِيَّةَ﴾ ﴿٢٦﴾ وَزَأُوتُ مَا حَيَايَةَ ﴿٢٧﴾ يَنْتَبِئُهَا كَأَنَّهُ الْقَاضِيَةُ ﴿٢٨﴾ يَعْنِي الْمَوْتَ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةَ﴾ ﴿٢٩﴾ تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ: هَلَكْتَ عَنِّي حُجَّتِي. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿رَأَى الْجَحِيمَ صَلَوَهُ﴾ ﴿٣١﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١] أَيْ اجْعَلُوهُ يَصِلُ الْجَحِيمَ ﴿تُرْفِي سَلِيلَهُ دَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ﴿٣٢﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيِّ ذِرَاعٍ.

قَالَ الْحَسَنُ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ؓ: سَبْعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْمَلِكِ. ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قِيلَ: يَدْخُلُ عُنُقَهُ فِيهَا، ثُمَّ يُجْرَى بِهَا، وَلَوْ أَنَّ حَلْقَةً مِنْهَا وَضَعْتَ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ. فَيَنَادِي أَصْحَابَهُ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا، وَلَكِنْ قَدْ نَرَى مَا بَكَ مِنَ الْحُزْنِ. فَمَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مِثْلُ هَذَا. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كَيْبُهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ ﴿٣٣﴾، تَخْلَعُ كَتِفَهُ الْيَسْرَى، فَتَجْعَلُ يَدَهُ خَلْفَهُ، فَيَأْخُذُ بِهَا كِتَابَهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَحُولُ وَجْهَهُ فِي مَوْضِعِ قَفَاهُ، فَيَقْرَأُ كِتَابَهُ كَذَلِكَ.

فَتَوْهَمَ نَفْسُكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ السَّعْدَاءِ، وَقَدْ خَرَجْتَ عَلَى الْخَلَائِقِ مَسْرُورَ الْوَجْهِ، قَدْ حُلَّ بِكَ الْكَمَالُ وَالْحَسَنُ وَالْجَمَالُ، كِتَابُكَ فِي يَمِينِكَ، أَخَذَ بِضَبْعَيْكَ مَلِكٌ يَنَادِي عَلَى

رؤوس الخلائق: هذا فلان بن فلان، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا. وأما إن كنت من أهل الشقاوة، فيسود وجهك وتتخطى الخلائق كتابك في شمالك، أو من وراء ظهرك، تنادى بالويل والثبور، وملك آخذ بضبعيك ينادى على رؤوس الخلائق: ألا إن فلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا.

القواعد التي يجاسب العباد على أساسها

لو عَذَّبَ الله جميع خلقه لم يكن ظالمًا لهم؛ لأنهم عبيده وملكه، والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء.

ولكن الحق تبارك وتعالى يحاكم عباده محاكمة عادلة، لم تشهد البشرية لها مثيلًا من قبل، وقد بين لنا ربنا في كثير من النصوص جملة القواعد التي تقوم عليها المحاكمة والمحاسبة في ذلك اليوم.

وسنذكر من ذلك ما ظهر لنا من تلك القواعد:

١ - العدل التام الذي لا يشويه ظلم:

يوفى الحق - عز وجل - عباده في يوم القيامة أجورهم كاملة غير منقوصة، ولا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل ﴿ثُمَّ نُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال لقمان في وصيته لابنه معرفًا إياه بعدل الله: ﴿يَبْنَىٰ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

٢ - لا يؤخذ أحد بجريرة غيره:

قاعدة الحساب والجزاء التي تمثل قمة العدل ومنتهاه أن الله يجازى العباد بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، ولا يُحمل الحق تبارك وتعالى أحدًا وزر غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ لَكُمْ رَيْبُكَ مِنْكُمْ فَيَنْبَسُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وهذا هو العدل الذي لا عدل فوقه، فالمهتدى يقطف ثمار هدايته، والضال ضلاله على نفسه.

الذين يجمعون أثقالاً مع أثقالهم

قد يعارض بعض أهل العلم هذا الذي ذكرناه من أن الإنسان لا يحمل شيئاً من أوزار الآخرين بمثل قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [النكبت: ١٣]، وقوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

وهذا الذي ذكروه موافق لما ذكرناه من النصوص، وليس بمعارض لها، فإن هذه نصوص تدل على أن الإنسان يتحمل إثم ما ارتكب من ذنوب، وإثم الذين أضلهم بقوله وفعله، كما أن دعاة الهدى ينالون أجر ما عملوه، ومثل أجر من اهتدى بهديهم، واستفاد بعلمهم، فإضلال هؤلاء لغيرهم هو فعل لهم يعاقبون عليه.

٣ - اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال:

من إغذار الله لخلقه، وعدله في عبادته أن يُطلعهم على ما قدموه من صالح أعمالهم، وطالحها، حتى يحكموا على أنفسهم، فلا يكون لهم بعد ذلك عذر.

قال تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [البائدة: ١٠٥]، وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وإطلاع العباد على ما قدموه يكون بإعطائهم صحائف أعمالهم. وقراءتهم لها، فقد أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أنه وكل بكل واحد منا ملكين يسجلان عليه صالح أعماله وطالحها، فإذا مات ختم على كتابه، فإذا كان يوم القيامة أعطى العبد كتابه، وقيل له: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.

٤ - مضاعفة الحسنات دون السيئات:

ومن رحمته أن يضاعف أجر الأعمال الصالحة ﴿إِنْ تَقْرَؤْا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضَاعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

وأقل ما تضاعف به الحسنة عشرة أضعاف ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] أما السيئة فلا تجزى إلا مثلها ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهذا مقتضى عدله تبارك وتعالى.

قال ﷺ: «يقول الله من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بى شيئاً جعلت له مثله مغفرة ومن اقترب إلى شبراً اقتربت إليه ذراعاً ومن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً ومن أتانى يمشى أتيته هرولة»^(١).

ومن الأعمال التى أخبر الرسول ﷺ أنها تضاعف عشرة أضعاف قراءة القرآن فى الحديث الذى يرويه الترمذى والدارمى بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفاً من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول: (الم) حرف. ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(٢).

وقد يضاعفها أكثر من ذلك، وقد تصل المضاعفة إلى سبعمائة ضعف، وأكثر من ذلك، ومن ذلك أجر المنفق فى سبيل الله، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومن الأعمال التى تضاعف أضعافاً لا تدخل تحت حصر، ولا يحصيها إلا الذى يجزى بها: كالصوم.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ، قال: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: «إلا الصوم فإنه لى: وأنا أجزى به»^(٣).

والسر فى كون الصائم يُعطى من غير تقدير، أن الصوم من الصبر، والصابرون يوفون أجورهم بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

قال القرطبي: وقال أهل العلم: كل أجر يُكال كيلاً، ويوزن وزناً إلا الصوم، فإنه

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢٠٦٨، رقم ٢٦٨٧).

(٢) صحيح: رواه البخارى فى التاريخ الكبير (١/٢١٦) والترمذى (٥/١٧٥، رقم ٢٩١٠) وقال: حسن صحيح غريب، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٠٧، رقم ١١٥١).

يحتي حثوا ويغرف غرقاً.

وعندما يرى أهل العافية عظم أجر الصابرين يتمنون أن تكون جلودهم قُرِضت لمقاريض لينالوا أجر الصابرين.

قال ﷺ: «لَيُودَنَّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنْ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ، مِمَّا يَبْرُونَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ»^(١).

٥- تبديل السيئات حسنات:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧٠ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝٧١﴾ [الفرقان: ٧٠، ٧١].

وقال ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا. رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيَقَالُ: اعْرَضُوا عَلَيْهِ صِفَارَ ذَنْبِهِ، فَيَقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، وَكَذَا وَكَذَا، وَكَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ نَعَمْ: لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْكُرَ. وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذَنْبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ فَيَقَالُ لَهُ: فَإِنْ لَكَ مَكَانٌ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٍ فَيَقُولُ: رَبِّ، عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا»^(٢).

٦- إقامة الشهود على الكفرة والمنافقين:

أعظم الشهداء في يوم المعاد على العباد هو ربهم وخالقهم وفاطرهم، الذي لا تخفى عليه خافية من أحوالهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٣٣﴾.

وأول من يشهد على الأمم رسلها، فيشهد كل رسول على أمته بالبلاغ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝١١﴾ [النساء: ٤١].

وكما يشهدون على أممهم بالبلاغ يشهدون عليهم بالتكذيب ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ۝١٩﴾ [المائدة: ١٠٩].

(١) حسن: رواه الترمذی (٤/٦٠٣، رقم ٢٤٠٢) وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (٧/١٨٠، رقم ٩٩٢١)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٤٨٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/١٧٧، رقم ١٩٠).



ثم إن الأمم تكذب رسلها، وتقول كل أمة ما جاءنا من نذير، فتأتى هذه الأمة: محمد ﷺ وتشهد للرسل بالبلاغ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَشْهَدَ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].
ومن الأشهاد: الأرض والأيام والليالي تشهد بما عمل فيها وعليها ويشهد الممد على صاحبه.

ويشهد على العبد أيضًا ملائكة الرحمن الذين كانوا يسجلون عليه صالح أعماله وطالحها كما قال تعالى: ﴿وَحَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١) والستور والشهيد الملكان اللذان كانا موكلين بتلك النفس.

وتشهد الملائكة على العباد بما كانوا يعملون ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨] فإذا لجَّ العبد في الخصومة، وكذب ربه، وكذب الشهود الذين شهدوا عليه، أقام الله عليه شاهدًا منه، فتشهد على المرء أعضاؤه.

نحن آخر الأمم... وأول من يحاسب

قال تعالى عن أمة الحبيب ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقال ﷺ: «إنكم تُمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»^(١). وقال ﷺ: «أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا»^(٢).
بل لقد وصف النبي ﷺ أمة وكيف يكون حالها يوم القيامة وكيف يكون حساب وأخبر أنهم أكثر أهل الجنة.
وقال ﷺ: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال: أين الأمة الأُمِّيَّة نبيها فنحن الآخرون الأولون»^(٣).

(١) حسن: رواه أحمد (٦١/٣، رقم ١١٦٠٤)، والترمذي (٥/٢٢٦، رقم ٣٠٠١)، وابن ماجه (٢/١٤٣٣، رقم ٤٢٨٨)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٣٠١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤/١٠٥، رقم ٤٢٧٨)، والحاكم (٤/٤٩١، رقم ٨٣٧٢) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٣٩٦).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/١٤٣٤، رقم ٤٢٩٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٧٤٩).

فنحن أول من يُحاسب يوم القيامة.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

ويظهر فضل أمة الحبيب ﷺ يوم القيامة عندما يجعلها الله -جل وعلا- أمة شاهدة على البشرية كلها.

قال ﷺ: «يحيى نوح وأمته فيقول الله هل بلغت فيقول نعم أى رب فيقول لأمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته وهو قوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾»^(١).

والوسط: العدل، فيُدعون، فيشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم. والأمة لا تشهد لنوح -عليه السلام- فحسب بل تشهد لجميع الأنبياء كما أخبر بذلك سيد الأتقياء ﷺ فقال: «يحيى النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيُدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيُدعى محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: جاءنا نبينا، فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، فذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾»

[البقرة: ١٤٣] ^(٢).

آدم (عليه السلام) ... وبعث النار

قال ﷺ: «أول من يُدعى يوم القيامة: آدم، فتراءى [له] ذريته فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك فيقول: أخرج بعت جهنم من ذريتك؟ فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين، قالوا: يا رسول الله إذا أخذ منا من كل مائة

(١) صحيح: رواه البخارى (٣/١٢١٥، رقم ٣١٦١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/٥٨، رقم ١١٥٧٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٩٢، رقم ١١٠٠٧)، وابن ماجه (٢/١٤٣٢، رقم ٤٢٨٤)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٤٤٨).

تسعة وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال: إن أمتى في الأمم كالشعرة البيضاء في السود الأسود^(١).

خطاب الله (عز وجل) لعيسى (عليه السلام)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٣١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٣٢﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٣﴾﴾ [البائدة: ١١٦-١١٨].

قال ابن كثير: هذا أيضًا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله؛ ﴿يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقرير على رؤوس الأشهاد.

يوم يجمع الله الرسل

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البائدة: ١٠٩].

هذا إخبار عما يخاطب الله تعالى به المرسلين يوم القيامة عما أجيبوا به من أمهم الذين أرسلهم إليهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦] وقول الرسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البائدة: ١٠٩] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يقولون للرب عز وجل: لا علم لنا إلا أعلم أنت أعلم به منا رواه ابن جرير ثم اختاره على غيره من الأقوال.

ولا شك أنه قول حسن، وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله، أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فنحن وإن كنا أجبناء وعرفنا من أجابنا ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شيء المطلع

(١) صحيح: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٢، رقم ٦١٦٤).

على كل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم، فإنك ﴿أَنْتَ عَلَّمَهُ الْقُيُوبَ﴾ (١٨).
أخى الحبيب... أختى الفاضلة:

إن كان الله - عز وجل - سيسأل الرسل والملائكة والشهداء فهل نترك بعد هؤلاء
بغير سؤال ولا حساب؟! ألم تسمعوا قول الله - عز وجل -: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ﴾ (١٨)
وَأُثْرِفَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر: ٦٨ - ٧٠].

تالله لتسألن عما كنتم تفترون

وإن أعظم سؤال يوجّه إلى العبد يوم القيامة هو السؤال عن التوحيد... فيُسأل
العبد: هل حققت التوحيد لله - عز وجل - أم أنك عشت على الشرك والكفر بالله -
جل وعلا.

والله يسألهم عن عبادتهم لغيره وتقديم القرابين لآلهتهم المزعومة.. قال تعالى:
﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَتَّىٰ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (٨٦) [النحل: ٥٦].
ويسألهم أيضًا عن الشركاء والأنداد الذين كانوا يصرفون لهم العبادة من دون
الله، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٦٢) [القصص: ٦٢]
وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُكُمْ أَوْ يُنْصِرُكُمْ ﴿٩٣﴾

[الشعراء: ٩٢، ٩٣]

بل ويسألهم عن تكذيبهم الرسل، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ
الْمُرْسَلِينَ﴾ (٦٦) فَعِمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ [القصص: ٦٥، ٦٦]

ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان

وها هو الحق - جل وعلا - يوبخ هؤلاء المجرمين الذين صرفوا العبودية
للشيطان من دون رب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَأَمْسَرُوا أَلْيَمَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨) ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا
الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠) وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ

جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ [يس: ٥٩-٦٢]

قال ابن كثير: يخبر تعالى عما يؤول إليه الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازو
أى يفترقوا عن المؤمنين في موقفهم كقوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ
بَفَرِّقُونَ ﴿٦١﴾ [الروم: ١٤] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَأْخُذْ بِكُمُ الْبَيْتِ إِذْ أَمَرْنَا أَنْ لَا تَعْبُدُوا
الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ [يس: ٦٠] هذا تقرير من الله تعالى للكفرة من بنى آده
الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذى خلقهم
ورزقهم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ أى قد أمرتكم فى دار
الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتى وهذا هو الصراط المستقيم فخالفتكم أمرى
وأطعتم الشيطان ولهذا قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا ﴿٦٢﴾ أى خلقًا كثيرًا
﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أى أفما كان لكم عقل لما خالفتم ربكم وعبدتم معه غيره
وأطعتم الشيطان وهو عدوكم الظاهر العداوة.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يقال للكفار توبيخًا: هذه جهنم التى كنتم
تكذبون الرسل بوجودها، والتى كنتم بها توعدون ذوقوا عذابها وحريقها جزاء كفركم
وتكذيبكم.

الحمد لله على نعمة التوحيد

قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلًا من
الكفار فيقال له: هذا فداؤك من النار»^(١).
وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى كل مؤمن ملكًا معه كافر فيقول الملك
للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكفار فهذا فداؤك من النار»^(٢).
فالحمد لله على نعمة التوحيد.

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢١١٩، رقم ٢٧٦٧).

(٢) صحيح: رواه الطبراني فى الأوسط (١/٥، رقم ١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٩).

لا يثقل مع اسم الله تعالى شيء

إن كلمة التوحيد هي أعظم كلمة في الكون كله فهي التي من أجلها خلق الله السماوات والأرض وأرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار... فإذا جاء بها العبد يوم القيامة خالصة من قلبه ولم يأت بما ينقصها فإن ميزانه يصبح ثقيلًا بالحسنات لأنه لا يثقل مع اسم الله تعالى شيء فتعالوا بنا لتأمل هذا المشهد المهيّب. فعن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أنتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يارب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تُظلم.. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء»^(١).

أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة

قال ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ ما يحاسبُ به العبدُ يومَ القيامةِ منَ عمله الصلاةُ، فإنَ صلَحَتْ فقد أفلَحَ والنَّجَحَ، وإنَ فسدت فقد خابَ وخسرَ، وإن انتقص منَ فريضة قالَ الربُّ: انظروا هلَ لعبدى منَ تطوُّع؟ فيكملُ بها ما انتقص منَ الفريضة، ثمَّ يكونُ سائرُ عمله على ذلك»^(٢).

وقال ﷺ: «أولُ ما يحاسبُ النَّاسُ به، يومَ القيامة منَ أعمالهم الصلاة، يقولُ ربُّنا عزَّ وجلَّ لملائكتِهِ وهو أعلمُ: انظروا في صلاةِ عبدى أتمَّها أم نقصها؟ فإن كانت تامةً كُتبت له تامةً، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا هلَ لعبدى من تطوُّع؟ فإن كان له تطوُّعٌ

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤/٥) رقم: (٢٦٣٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٧٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٩/٢) رقم: (٤١٣)، وقال: حسن غريب، والنسائى (٢٣٢/١) رقم: (٤٦٥)،

وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٢٠).

قال: أتموا لعبدي فريضته، ثم تَوَخَّذُوا الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ^(١).

ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ لِرَبِّكَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

قال ﷺ: «إِنْ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُنْصَحْ لَكَ جِسْمَكَ وَنَرَوْكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] قال الناس: يا رسول الله عن أي نعيم تُسأل، فإنما هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: «إِنْ ذَلِكَ سَيَكُونُ»^(٣).

إِنْ نَعِمَ اللَّهُ كَثِيرَةً لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَكُم مِّنْ كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَطَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].
ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

ولذلك قال ﷺ: «إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لِيرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَ اللَّهَ عَلَيْهَا»^(٤).

وقال ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٥).

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٢٥، رقم ٩٤٩٠)، وأبو داود (١/ ٢٢٩، رقم ٨٦٤)، والنسائي (١/ ٢٣٣، رقم ٤٦٦)، والبيهقي (٢/ ٣٨٦، رقم ٣٨١٣). وأخرجه أيضًا: ابن المبارك (١/ ٣٢٠، رقم ٩١٥)، والحاكم (١/ ٣٩٤، رقم ٩٦٥) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٥٧١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٥/ ٤٤٨، رقم ٣٣٥٨) وقال: غريب. والحاكم (٤/ ١٥٣، رقم ٧٢٠٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٠٢٢).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٥/ ٤٤٨، رقم ٣٣٥٧)، وأحمد (١/ ١٦٤، رقم ١٤٠٥)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترمذي.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢٠٩٥، رقم ٢٧٣٤).

(٥) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٤٤، رقم ٣٢٠٧)، والترمذي (٤/ ٥٥٠، رقم ٢٣٠٤) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في المشكاة (٥١٥٥).

إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولًا

ومن الأشياء التي يحاسب الله عليها عباده - العهود والمواثيق -
 قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
 الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].
 وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّوهُمُ الْأَدْبَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٥].

السمع والبصر والفؤاد

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ
 مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].
 ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ أى لا تقل ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أى لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم
 تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله وقوله تعالى: ﴿كُلُّ
 أُولَٰئِكَ﴾ أى هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ أى سُبَّالُ
 العبد عنها يوم القيامة، وتُسأل عنه وعما عمل فيها.
 وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّمُوا وَلَا
 يَنْتَبِ بِمَعْزُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
 رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تجسسوا ولا
 تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا ينحطب الرجل
 على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»^(١).
 وقال ﷺ: «من تحلَّم كاذباً كُلَّفَ يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين ولن يعقد
 بينهما»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٧٦/٥)، رقم (٤٨٤٩)، ومسلم (١٩٨٥/٤)، رقم (٢٥٦٣).

(٢) صحيح: رواه رواه الترمذى (٥٣٨/٤)، رقم (٢٢٨٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٢٨٩/٢)،
 رقم (٣٩١٦)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٣٩).

مشهد أهل الرياء يوم القيامة

إنها الحسرة على أهل الرياء الذين بذلوا الغالي والنفيس وصلوا وصاموا وفعلوا كل الطاعات وما أرادوا بها وجه رب الأرض والسموات، وإنما أرادوا من ورائها السمعة والرياء... فيأتي أحدهم بتلك الأعمال فيجد أن الله عز وجل قد جعلها هباءً منثورًا ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَكَفَّلَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَمْثَلْتَ لَهُمْ مَا يَكُونُ لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ غَيْرِ اللَّهِ وَكَفَّلَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَمْثَلْتَ لَهُمْ مَا يَكُونُ لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ غَيْرِ اللَّهِ وَكَفَّلَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَمْثَلْتَ لَهُمْ مَا يَكُونُ لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [الفرقان: ٢٣] في الوقت الذي يكون فيه الإنسان أحوج ما يكون إلى حسنة واحدة ﴿وَبَدَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [١٧] وَبَدَّ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٨﴾ [الزمر: ٤٧، ٤٨] وتكتمل حسرتهم عند معاينة هذا المشهد.

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْهَالِ، فيقولُ اللهُ للقارِئِ: أَلَمْ أَعْلَمَكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قال: بلى يا ربُّ قال: فماذا عَمِلْتَ فيها عَمِلْتَ؟ قال: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ، فيقولُ اللهُ له: كَذِبْتَ، وتقولُ لهُ الملائكةُ: كَذِبْتَ، ويقولُ اللهُ لهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَقَالَ فَلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. ويؤتى بصاحبِ الْهَالِ فيقولُ اللهُ لهُ: أَلَمْ أَوْسِعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعُكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قال: بلى يا ربُّ، قال: فماذا عَمِلْتَ فيها آتَيْتُكَ؟ قال: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وَأَتَصَدَّقُ، فيقولُ اللهُ لهُ: كَذِبْتَ، وتقولُ الملائكةُ: كَذِبْتَ، ويقولُ اللهُ لهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَقَالَ: فَلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، ويؤتى بالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فيقولُ اللهُ: في ماذا قُتِلْتَ؟ فيقولُ: أَمَرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فيقولُ اللهُ لهُ: كَذِبْتَ، وتقولُ لهُ الملائكةُ: كَذِبْتَ، ويقولُ اللهُ لهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَقَالَ فَلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أولُ خَلْقِ اللهُ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)

بل إن الله - عز وجل - يعاقب المرائي بضد مقصده، فهذا المرائي يريد السمعة والشهرة بين الناس ليحبوه وإذا بالحق - جل وعلا - يفضحه بين الناس ليكرهوه.

(١) صحيح زواه والترمذى (٥٩١ / ٤)، رقم (٢٣٨٢)، وقال: حسن غريب. والحاكم (٥٧٩ / ١)، رقم (١٥٢٧)، وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٣٥).

قال ﷺ: «من سَمِعَ سَمِعَ الله به ومن رأى رأى الله به»^(١).
وقال ﷺ: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن
فحس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»^(٢).

أربعة يحتجون يوم القيامة

عن الأسود بن سريع وأبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يحتجون يوم
القيامة: رجلٌ أصمٌ لا يسمع شيئاً، ورجلٌ أحمقٌ، ورجلٌ هرمٌ، ورجلٌ ماتَ في فترة. فأما
الأصمُ فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً. وأما الأحمقُ فيقول: ربّ جاء
الإسلام وما أعقلُ شيئاً، والصبيانُ يحذفونني بالبر. وأما الهرمُ فيقول: ربّ لقد جاء
الإسلام وما أعقلُ شيئاً. وأما الذي ماتَ في الفترة فيقول: ربّ ما أتاني لك رسول. فيأخذُ
موثيقهم لبطيئته، فيرسلُ إليهم: أن ادخلوا النارَ، فمن دخلها كانت برداً وسلاماً ومن لم
يدخلها سُحب إليها»^(٣).

يسأل كل عبّد عن أربعة أشياء

قال ﷺ: «لا نزولَ قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يُسأل عن خمس: عن
عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل
فيما علم؟»^(٤).

وقال ﷺ: «لا نزولَ قدما عبّد حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما
فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٨٩/٤)، رقم (٢٩٨٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٦٠٩/٤)، رقم (٢٤١٤)، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٦٠٩٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٤/٤)، رقم (١٦٣٤٤)، وابن حبان (٣٥٦/١٦)، رقم (٧٣٥٧)، والبيهقي في
الاعتقاد (١٦٩/١) وقال: إسناده صحيح، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٨٨١).

(٤) حسن لغيره: رواه الترمذی (٦١٢/٤)، رقم (٢٤١٦)، وحسنه العلامة الألبانی فی صحيح الترغيب
والترهيب (١٢٨).

(٥) صحيح: رواه أخرجه الترمذی (٦١٢/٤)، رقم (٢٤١٧) وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٤٢٨/١٣)، =

سترٌ في الدنيا... ومغفرة في الآخرة

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يُدْنِي المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حُرٍ يضع عليه كَنَفَهُ، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أى رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيُعْطَى صحيفة حسناته، وأما الكفر والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله» ^(١).

ستنسى كل شقاءٍ بخمسةٍ واحدةٍ في الجنة

قال ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي جَهَنَّمَ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب ويؤتى بأشدَّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً فيقال له: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مرَّ بى بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتَ شِدَّةً قَطُّ» ^(٢).

تدبر معي هذا الحوار الرقيق

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتَ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تَطْعَمْنِي، فَقَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أَطْعَمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَطْعَمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي» ^(٣).

= رقم (٧٤٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٣٢/١٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(١) صحيح: وقد تقدم..

(٢) صحيح: زواه ومسلم (٤/٢١٦٢ رقم ٢٨٠٧).

(٣) صحيح: زواه مسلم (٤/١٩٩٠، رقم ٢٥٦٩).

تجلاير الصحف

وبإله من مشهد فاصل بين أهل الحق وأهل الباطل إنه مشهد استلام الصحف وإنذى سيتم الفصل فيه بين أهل الجنة وأهل النار، فالكل يتربص ويتتظر وترتعد فرائضه وتتفض جوارحه ويسأل نفسه: يا ترى هل سأخذها بيمينى أم بشمالى؟! وبينما هو يفكر إذ بالصحيفة تاتى فى يمينه فيصرخ بأعلى صوته ويجرى فى أرض لمحشر، وهو يقول: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُ وَكِتَبِيَّةٌ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيَّةٍ ۝٢٠ فَهَوِّ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١ فِي حَسَنَةٍ عَلَيَّكَ ۝٢٢﴾، وتنادى عليه الملائكة وعلى أمثاله من أهل الجنة وتقول: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ ۝٢٣﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

وأما إن كان عيادًا بالله من أهل النار فتقع الصحيفة فى شماله ويصرخ بأعلى صوته فى حسرة شديدة ويقول: ﴿بَلَيْتَنِي لَأُرَاكَ كِتَبِيَّةٌ ۝٢٤ وَلَأَذَرُ مَا حِسَابِيَّةٌ ۝٢٥ بَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ ۝٢٦ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۝٢٧ هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۝٢٨﴾، فيأمر الله الملائكة ﴿خُذُوهُ فَكُلُوهُ ۝٢٩ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣٠﴾. يقول القرطبي: فيبتدره مائة ألف ملك، ثم تجمع يده إلى عنقه فذلك قوله تعالى ﴿فَكُلُوهُ ۝٣١ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣٢﴾، ثم أدخلوه النار العظيمة المتأججة ليضلى حرها، ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٣﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٢].

أى ثم أدخلوه فى سلسلة حديدية طولها سبعون ذراعًا. قال ابن عباس: بذراع الملك تدخل السلسلة من دُبُرِهِ وتخرج من حلقه، ثم يُجمع بين ناصيته وقدميه، ثم ينظّمونه كما يُنظّم الجراد فى العود حين يُشوى. قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا، ولو سقطت حلقة منها على الأرض ما حملها أهل الأرض، ولماتوا جميعًا من نتن ريحها.

يا له من موقف عصيب يقع الكتاب بين يديك تقلب صفحاته تجد فيه المال الحرام الذى أكلته والزنا الذى فعلته وعقوق الوالدين والغيبة والنميمة والغش وشهادة الزور وهجر القرآن وترك الصلاة.

وأما المؤمن فيفتح كتابه فيجد فيه الصلاة والصيام والصدقة وبر الوالدين وقيام الليل والاستغفار وقراءة القرآن فينظر لإخوانه فى أرض المحشر ويقول: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُ﴾

كِتَبِيَّةٌ ﴿١٩﴾ لماذا؟ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ ﴿٢٠﴾.

لقد علم أنه محاسب أمام ربه وأنه موقوف أمام الحق تبارك وتعالى فأعد للسؤال جوابًا فكانت النتيجة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾.

إن هذا المشهد المهيّب يكون في ختام مشهد الحساب.... وعندما يأخذ العد كتبه يقال لهم: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُعِطُّ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الباقية: ٢٩].

تحرير الظلم

إن الله - عز وجل - جعل الظلم مُحَرَّمًا بين العباد فقال تعالى: «يا عبادي اتقوا حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرّمًا بينكم فلا تظالموا...»^(١).

وأخبر الحبيب ﷺ بأن الظلم عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة فقال ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٢).

والظلم إيذان بهلاك الأمم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [يونس: ١٣].

ولذلك قال الإمام ابن تيمية: إن الله ليقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ويهده الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة.

ومن أجل ذلك جاء الشرع بتحريم الظلم.

قال ﷺ: «أشد الناس عذابًا للناس في الدنيا أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة»^(٣).

وقال ﷺ: «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه»^(٤).

وقال ﷺ: «من ضرب مملوكه ظالمًا أقيد منه يوم القيامة»^(٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/١٩٩٤، رقم ٢٥٧٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/١٩٩٦، رقم ٥٧٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤/٩٠، رقم ١٦٨٦٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٥٠، رقم ٧٤٦٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٩٩٨).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٤/٣٥٩، رقم ١٩٩٦) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩٥).

(٥) صحيح: رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٤/٢٣٨) قال الهيثمي: رجاله ثقات، وصححه العلامة =

وقال ﷺ: «من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جُلد يوم القيامة حدًّا إلا أن يكون كسًا قتل»^(١).

بل لقد حرّم النبي ﷺ ظلم الدواب العجماء؛ فقال ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»^(٢).

مخبة الظلم في الدنيا والآخرة

إنها الحسرة على كل ظالم في الدنيا والآخرة.

فأما حسرته في الدنيا فإن الله - عز وجل - يحرمه نعمة الهداية...

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) [التوبة: ١٠٩].

وكذلك فإن الله يحرمه أعظم نعمة في هذا الكون - ألا وهي محبة الله له - قال

تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) [آل عمران: ٥٧].

بل إن الله يُملي للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

قال ﷺ: «إن الله تعالى ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»^(٥).

وكذلك فإن الله - جل وعلا - يستجيب لكل من دعا عليه من المظلومين.... كما

قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»^(٦).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنه ليس دونها حجاب»^(٧).

وعن عبد الله بن سلام قال: إن الله - تعالى - لما خلق الخلق؛ واستووا على أقدامهم

=الألباني في صحيح الجامع (٦٣٧٦).

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٥١٥/٦)، رقم (٦٤٦٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٢٠٥/٣)، رقم (٣١٤٠)، ومسلم (٢/٤)، رقم (٢٦١٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٧٢٦/٤)، رقم (٤٤٠٩)، ومسلم (٤/١٩٩٧)، رقم (٢٥٨٣).

(٤) حسن: رواه خرجه الطبرانى (٨٤/٤) رقم (٣٧١٨) قال المنذرى (٣/١٣٠): لا بأس بإسناده في المتابعات، وحسنه العلامة الألبانى في السلسلة الصحيحة (٨٧٠).

(٥) حسن: رواه أحمد (٣/١٥٣)، رقم (١٢٥٧١)، وقال الهيثمى (١٠/١٥٢): فيه أبو عبد الله الأسدى، لم أعرفه، وبقيه رجاله رجال الصحيح، وحسنه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (١١٩).

رفعوا رؤوسهم إلى السماء، وقالوا: يا رب مع من أنت؟
قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه.

وأما حسرته يوم القيامة

وأما عن حسرته يوم القيامة فعن أبى أمامة قال: يجىء الظالم يوم القيامة، حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم، وعرفه ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة - يوم القيامة - فينادى به على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان، من كان له عليه حق فليأت إلى حقه.

قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ: ﴿فَلَا أَفْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

قال: فيغفر الله من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً.

فيُنصب العبد للناس ثم يقول الله - تعالى - لأصحاب الحقوق: اتوا إلى حقوقكم قال - فيقول الله تعالى للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر مظلمته.

فإن كان ولياً لله، وفضل له مثقال ذرة، ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها، وإن كان عبداً شقيماً، ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة: ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه: فيقول الله: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته. ثم صك له صكاً إلى النار.

ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبي ﷺ: «أندرون من المفلس» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: «المفلس من أمى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من

خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» ^(١).

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/١٩٩٧، رقم ٢٥٨١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال: «ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كفيه ثم دفعها فخرت على ركبته فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا. قال: يقول رسول الله ﷺ: «صدقت صدقت كيف يقبلس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»^(١).

ولذلك أمرنا النبي ﷺ أن نتحلل من المظالم في الدنيا قبل أن نجني ثمار الحسرة يوم القيامة فقال ﷺ: «من كانت لأخيه مظلمة من عرض أو مال فليتحللها اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه»^(٢).

فمن جاء يوم القيامة بتلك المظالم ولم يتحلل منها في الدنيا فقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (طه: ١١١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (١٢) مُطِيعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئَدَتُهُمْ هَوَاءٌ (١٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتِكَ وَتَشْجِعِ الرَّسُلَ أُولَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ (١٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (١٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (١٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ. رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (١٧) يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (١٩) سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فَطْرَانٍ وَتَقَنَّى وُجُوهُهُمُ النَّارُ (٢٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٢/١٣٢٩ رقم: ٤٠١٠)، وحسنه العلامة الألباني في مختصر العلو (٤٦/ ٥٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥/٢٣٩٤، رقم ٦١٦٩).



سَرِيحُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا تُوبَهُمْ
الْأَلْبَنِيبِ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٤٢-٥٢].

بل أخبر النبي ﷺ عن حال هذا الظالم يوم القيامة بأنه سيكون مفلساً من الحسنات بسبب ظلمه للعباد فيأتيه المظلومون... فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى تفنى كل حسناته ثم تُطرح عليه سيئاتهم ثم يُطرح في النار - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم -.

هَذَا هُوَ الْمَفْلِسُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أَمْتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخِذْ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: معناه أن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلساً، وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهالك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقى في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه.

أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ

قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلٌ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»^(٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/١٩٩٧، رقم ٢٥٨١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦/٢٥١٧، رقم ٦٤٧١).

بل يوضح النبي ﷺ بشاعة هذه الجريمة فيقول: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»^(١).

ثم يوضح هذا المشهد المفزع من مشاهد يوم القيامة فيقول ﷺ: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا فيقول: يا رب سَل هذا فيم قتلني؟ حتى يُدنيه من العرش»^(٢).

القصاص بين الدواب يوم القيامة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «إذا كان يوم القيامة مُدُّ الأديم، وحُشر الدواب والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدواب، يقتص للشاة الجباء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدواب، قال لها كوني ترابا، قال فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾» [النبا: ٤٠] ^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجباء من القرناء، وحتى الذرة من الذرة»^(٤).
وعن أبي هريرة يرفعه: «ألا والذي نفسي بيده ليختصمن كل شيء يوم القيامة، حتى الشاتان فيما انتطحتا»^(٥).

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنطحان، فقال: «أبا ذر، هل تدري فيم تنطحان؟» قال: لا، قال: «ولكن الله يدري وسيقضى بينهما»^(٦).

عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتَوُذَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى

(١) صحيح لغيره: رواه ابن ماجه (٢/ ٨٧٤)، رقم ٢٦١٩، قال البوصيري (٣/ ١٢٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٣٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٥/ ٢٤٠)، رقم ٣٠٢٩، والنسائي (٧/ ٨٧)، رقم ٤٠٠٥، وابن ماجه (٢/ ٨٧٤)، رقم ٢٦٢١، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٧).

(٣) إسناده جيد: انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني (١٩٦٦).

(٤) إسناده صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٦٣)، رقم ٨٧٤١، انظر السلسلة الصحيحة (١٥٨٨).

(٥) رواه أحمد (٣/ ٢٩)، رقم ١١٢٥٦، وقال العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة إسناد حسن لغيره (١٩٦٧).

(٦) إسناده صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٦٢)، رقم ٢١٤٧٦، انظر السلسلة الصحيحة (١٥٨٨).



يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ^(١).

قال الإمام النووي: هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: هـ] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره.

قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة،... والجلحاء: هي الجماء التي لا قرن لها. فإذا كان القصاص سيكون بين الدواب يوم القيامة فكيف بمن يظلم مسلماً موحداً لله (عز وجل)!!!؟

البَّارِ الْآخِرَةُ قَبْلَ نَزُولِ الْمَوْتِ

وإذا تقرر هذا فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه، كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله عز وجل، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده (وسوء ظنه) بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبته، وهذا يقول ظلمتني، وهذا يقول شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوؤني وهذا يقول: جاورتني فأسأت إلى جوارى، وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول: بايعتني وأخفيت عني عيب متاعك، وهذا يقول: كذبت في سعر متاعك، وهذا يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول وجدتني مظلوماً وكنت قادراً

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/١٩٩٧، رقم ٢٥٨٢).

على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتنى، فبينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبتهم وأحكموا في تلايبك أيديهم، وأنت مبهور متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغية أو جناية أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٧) ﴿[غافر: ١٧] فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار، وتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَزِيدُ الْيَهُودَ طَرَفُهُمْ وَأَفْزَدَتْهُمْ هَوَاهُ﴾ (١٢) ﴿[إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم! وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل، وشوفت بخطاب السيئات، وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً!! فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى (خصمائك) عوضاً عن حقوقهم.

قال أبو حامد الغزالي: ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا (ينقضى) عليك يوم إلا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك. فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام، (والشبهات) والتقصير في الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتصر فيه للجماة من القرناء؟ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ لَوْلَا أَنِّي نَجَّيْتُ كَفُّوا بَكَ يَا مُسْكِينُ فِي يَوْمٍ تَرَى فِيهِ صَحِيفَتَكَ خَالِيَةً مِنْ حَسَنَاتٍ طَالَ فِيهَا تَعَبُكَ؟ فَقُولُ: أَيْنَ حَسَنَاتِي؟ فَيَقَالُ: نَقَلْتَ إِلَى صَحِيفَةِ خَصْمَائِكَ، وَتَرَى صَحِيفَتَكَ مَشْحُونَةً بِسَيِّئَاتٍ غَيْرِكَ، فَقُولُ: يَا رَبِّ هَذِهِ سَيِّئَاتُ مَا قَارَفْتُهَا قَطُّ. فَيَقَالُ: هَذِهِ سَيِّئَاتُ الَّذِينَ اغْتَبَتَهُمْ وَشَتَمْتَهُمْ وَقَصَدْتَهُمْ بِالسُّوءِ، وَظَلَمْتَهُمْ فِي الْمَعَامَلَةِ وَالْمِبَالِغَةِ وَالْمَجَاوِرَةِ وَالْمَخَاطَبَةِ، وَالْمَنَازِرَةِ وَالْمَذَاكِرَةِ وَالْمُدَارَسَةِ، وَسَائِرُ أَصْنَافِ الْمَعَامَلَةِ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي مَظَالِمِ الْعِبَادَةِ بِأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ وَالتَّعَرُّضِ لِأَعْرَاضِهِمْ وَأَبْشَارِهِمْ وَتَضْيِيقِ قُلُوبِهِمْ وَإِسَاءَةِ الْخَلْقِ فِي مَعَاشَرَتِهِمْ، فَإِنَّ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ خَاصَّةُ الْمَغْفِرَةِ إِلَيْهِ أَسْرَعُ، وَمَنْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ



مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوه القصاص وليُسّر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الإخلاص من حيث لا يطلع عليه إلا الله (تعالى) وليكثر من الاستغفار لمن ظلمه، فعساه أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي ادخره لأرباب المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم.

القنطرة.. والقصاص بين المؤمنين

إنها القنطرة التي لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئاً. فهي القنطرة التي يقتصر فيها المؤمنون من بعضهم البعض..... فبعد خروجك من تلك الأهوال التي تحدثنا عنها وبعد مرورك من على الصراط تظن أن الأمر قد انتهى عند ذلك ولم يبق سوى دخولك الجنة وفجأة تجد نفسك على قنطرة المظالم التي قال عنها النبي ﷺ «إذا خُلف المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نُقوا وَهَذَبُوا أُذُنُ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِأَحَدِهِمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ مِنْهُ بِمَسْكَنِهِ كَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا»^(١).

قال القرطبي في التذكرة: ومعنى «ويخلص المؤمنون من النار» أى يخلصون من الصراط المضروب على النار ودل هذا الحديث على أن المؤمنين في الآخرة مختلفو الحال.

قال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصر لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِبُوا وَطُيِّبُوا قال لهم رضوان وأصحابه سلامٌ عليكم بمعنى التحية طبتُم فادخلوها خالدين.

ويا لها من حسرة شديدة أن تجد نفسك أمام من يأخذ حسناتك من أجل المظالم التي كانت بينكم في الدنيا.... هذا يقول لك لقد اغتبتني وهذا يقول لقد سرقنتي وهذا يقول.. ومن أجل ذلك أقول لك يا أخى: إياك ومظالم العباد، وإياك أن تبيت ليلة ولأحد عندك مظلمة وإن كان هذا الإنسان كافراً فإن دعوة المظلوم مستجابة يرفعها الله فوق الغمام ويقول وعزتي وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين..... قال ﷺ: «اتقوا

(١) صحيح: رواه البخارى (٢/ ٨٦١، رقم ٢٣٠٨).

دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب»^(١).

وقد يسأل سائل ويقول: ما الفرق بين القصاص عند الميزان وبين القصاص على تلك القنطرة؟

والجواب أن القصاص عند الميزان قد يكون بين مؤمن ومؤمن أو بين كافر وكافر، أو بين مؤمن وكافر، وهذا القصاص قد يؤدي إلى فناء حسنات أهل الظلم الذين هم أهل الظلمات يوم القيامة وبالتالي فيكون مصيرهم إلى النار وبئس المصير وقد لا يصل إلى فناء الحسنات؛ ولكنه يُنقص منها بقدر المظالم التي ظلمها للناس وهذا ينقص من درجته في الجنة.

وإذا اقتصر الحق تبارك وتعالى من المؤمن إلى الكافر فإن حسنات المؤمن تنقص بقدر المظلمة ولكنها لا تُحسب لهذا الكافر لأن الكافر ليس له رصيد يوضع فيه تلك الحسنات لأن الكفر يحبط العمل كله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْهَةً مِّنْهُنَّ﴾ [الفرقان: ٢٣].
أما المظالم التي على القنطرة فهي بين المؤمنين الذين يدخلون الجنة فيقتصر كل واحد منهم من الآخر بقدر مظلمته فيزداد ويرتفع المظلوم درجة في الجنة ويخسر الظالم درجة في الجنة فيا لها من حسرة فإياك ومظالم العباد!!

سؤال الأنبياء وشهادة هذه الأمة للأنبياء

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٦] ﴿فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلَمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦، ٧] وقال: ﴿قَوْلِكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

فيبدأ بالأنبياء عليهم السلام: ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ﴾.

(١) حسن: رواه أحمد (٣/١٥٣، رقم ١٢٥٧١). قال الهيثمي (١٠/١٥٢): فيه أبو عبد الله الأسدي، لم أعرفه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١١٩).

قيل: في تفسيرها كانوا قد علموا ولكن ذهبت عقولهم وعزبت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظيم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا: ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (البقرة: ١٠٩) ثم يقرهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام ويقال: إن الهية تأخذ بمجامع قلوبهم فيذهلون عن الجواب ثم إن الله يشتمهم ويحدث لهم ذكر فيشهدون بما أجابت به أمهم ويقال: إنما قالوا ذلك تسليما كما فعل المسيح في قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (البقرة: ١١٦) والأول أصح لأن الرسل يتفاضلون والمسيح من أجلهم لأنه كلمة الله وروحه قاله أبو حامد.

وقال رسول الله ﷺ: «يجيئ النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويجيئ النبي ومعه الرجلان ويجيئ النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه فتدعى أمة محمد ﷺ فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه قال فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) (١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيئ نوح وأمه فيقول الله هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمه هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمه وهو قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم (٢).

* * *

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٢) رقم: ٤٢٨٢. وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٤٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/ ١٢١٥)، رقم: ٣١٦١.

الميزان

رأينا أن العباد حُشروا أمام رب العباد سبحانه لا وزير فيحشر ولا حاجب فيؤتى ولا إنسان يدافع عن إنسان.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠٣]

حتى رأينا المرء كيف يفر من أخيه ومن ابنه ومن أبيه ومن أمه ومن عشيرته كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاحَةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَحْبِهِ وَبَيْنِهِ (٣٦) لِكُلِّ أُمْرِي مِنْهُمْ يَوْمَ يُبَدِّلُ شَأْنُ بَيْنِهِ (٣٧)﴾ [ص: ٣٣-٣٧]

وفي هذا المقام لا ينفع مال ولا بنون إلا من صلح قلبه وصلح عمله كما قال رب العالمين: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]

وقال تعالى: ﴿أَفَمَسَبِّتُهُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاهُمْ عَبِيدًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

ويقول تعالى: ﴿وَسْتَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] ليس فيها حفرة تختفى فيها

وتنزل الملائكة تنزيلا يقال إن أهل السماء الأول أكبر عددًا من أهل الأرض يعني إذا كان على وجه الأرض خمسة مليار كم يكون في السماء الأولى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] ينزل أهل السماء إلى أرض المحشر وهم أكثر أضعافًا من عدد البشر وبعد ذلك يأتي الحكم العدل قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)﴾ [الفجر: ٢٢]، وهي جملة حالية وجاء ربك بعد أن صار الملائكة صفًا صفًا.

ويصف لنا الحبيب ﷺ عظم ملك من ملائكة حملة العرش فيقول ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش؛ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة»^(١).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٣٢ / ٤)، رقم (٤٧٢٧)، وقال الحافظ في الفتح (٨ / ٦٦٥): إسناده على شرط =

وقال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمئة عام يقول ذلك الملك سبحانه حيث كنت»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَمِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] تخيل عظم حملة العرش من الملائكة الكرام وذكرنا أن السموات والأرض وما فيهن بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة... والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في فلاة فانظر عظم حجم العرش سبحانه الله الخالق العظيم وانظر عظم حملة العرش.

والميزان يوم القيامة هل هو ميزان واحد يوزن به الأعمال أم موازين متعددة قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فإن في اللغة العربية يطلق الجمع على المفرد مثل كذبت عاد المرسلين وهو رسول واحد وهذا رأى من قال نطلق الجمع على المفرد ولكن سواء كان ميزان أو موازين فهذا لا إشكال فيه ولكن ما هو العمل الذي يثقل الميزان.

يقول القرطبي: «وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها».

وقد دلت النصوص على أن الميزان ميزان حقيقي، لا يقدر قدره إلا الله تعالى، فقد روى الحاكم عن سلمان عن النبي ﷺ: قال «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لو سعت. فتقول الملائكة: يارب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانه ما عبدناك حق عبادتك»^(٢).

= الصحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٥٤).

(١) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣١٤)، رقم ٦٥٠٣، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٥٣).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٦٢٩)، رقم ٨٧٣٩ وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٤١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: «أنا فاعل قال قلت يا رسول الله فأين أطلبك قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط قال قلت فإن لم ألقك على الصراط قال: فاطلبني عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فإنني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن» ^(١).

ما الذي يوزن في الميزان

والقول في الموزون على أربعة أوجه:

١- أن الأعمال هي التي توزن وأن أفعال العباد تُجسم فتوضع في الميزان، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ^(٢) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ^(٣) [الزلزلة: ٧، ٨].

ويقول النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» ^(٤).

٢- أن صحائف الأعمال هي التي توزن، يدل على ذلك حديث البطاقة عن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول أنتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء» ^(٥).

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٧٨، رقم ١٢٨٤٨)، والترمذي (٤/ ٦٢١، رقم ٢٤٣٣) وقال: حسن غريب، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥/ ٢٣٥٢، رقم ٦٠٤٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٢، رقم ٢٦٩٤).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

٣- أن الموزون ثواب العمل كما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهم غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما... اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»^(١).

قال أهل العلم: إنه يجيء ثواب قراءته.

٤- أن الموزون هو العامل نفسه والدليل على ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت أجتني لرسول الله ﷺ من الأراك (ليأتيه بالسواك) قال: فضحك القوم من دقة ساقى فقال النبي ﷺ «م تضحكون؟» قالوا: من دقة ساقيه. فقال: «والذي نفسى بيده لى أثقل في الميزان من أحد»^(٢) أى من جبل أحد.

وفي المقابل يقول النبي ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرأوا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾»^(٣).

ومعنى الحديث: لا ثواب لهم ولا حسنة لهم توزن، وقيل: أى لا قدر لهم عندنا والله أعلم.

فصل الشهادة

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق - وعند ابن ماجه: يصباح برجل من أمتى - يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كُتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فقال: لا يارب، فيقول: بل إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم.

(١) صحيح: رواه مسلم (١/٥٥٣، رقم ٨٠٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/١١٤، رقم ٩٢٠)، والطبراني (٩/٩٥، رقم ٨٥١٦). وقال الميمني

(٩/٢٨٨): رجالهم رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٥٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤/١٧٥٩، رقم ٤٤٥٢)، ومسلم (٤/٢١٤٧، رقم ٢٧٨٥).

قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء^(١).

الميزان حق.. ولا يكون في حق كل أحد

قال القرطبي - رحمه الله -: الميزان حق ولا يكون في حق كل أحد، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام، «فيقال يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه...»^(٢). الحديث.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ﴾ [الرحمن: ٤١] الآية، وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين. وقال أبو حامد: والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفًا، وإنما هي براءات مكتوبة... لا إله إلا الله محمد رسول الله. هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها (أبدًا) فما مر عليه شيء أسر من ذلك المقام.

فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون

أخي الحبيب: هل وقفت يومًا لتشتري طعامًا أو فاكهة ورأيت كفة الميزان وهي تميل وترجع على الأخرى.. فتذكرت ميزان الآخرة وقد رجحت كفة السيئات على كفة الحسنات فكان ذلك حاديًا لك لأن تبادر إلى التوبة ولتجتهد في طاعة الله - عز وجل - لتملأ كفة الحسنات بكل أنواع الطاعات والقربات ليرضى عنك رب الأرض والسموات.

قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ ٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.



مَوْزِينُهُ. فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَنُضِعُّ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ وَفْقًا حَبْكُو مِنْ خَرَدَلٍ أُتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات». هل تدبرت أخى الكريم في كلمات أنس رضي الله عنه؟

إنه يقول تلك الكلمات لخير جيل عرفته البشرية كلها... وكأنه يقصد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في عهد النبي ﷺ إذا وقع أحدهم في صغيرة ينظر بقلبه إلى ميزان يوم القيامة وقد تساوت كفة الحسنات مع كفة السيئات فتأتى تلك الصغيرة فترجّح كفة السيئات فتكون سبباً في دخوله النار فتكون بذلك من الموبقات. فهل تخيلت نفسك عند الوقوع في معصية - صغيرة كانت أو كبيرة - أن تلك المعصية ربما ترجح كفة سيئاتك فكان ذلك حادثاً لك لأن تتوب وتعود إلى الله وتجتهد في طاعته لتكون من المفلحين في الدنيا والآخرة.

ما الأعمال التي تثقل في الميزان

إن كل أعمال البر والطاعة تثقل في الميزان وتجعل كفة الحسنات راجحة على كفة السيئات ولكن هناك أشياء تجعل كفة الحسنات ثقيلة جداً.

قال ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يُبغض الفاحش البذيء»^(١).

وقال ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٢).

(١) صحيح: رواه الترمذی (٤/ ٣٦٢، رقم ٢٠٠٢) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانی في صحيح الجامع (٥٦٣٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/ ٢٠٣، رقم ٢٢٣).

وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(١).
وقال ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده كان شبعه ورؤه وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة»^(٢).

وننزع الموازين القسط ليوم القيامة

عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: «بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل» قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله تعالى: ﴿وَنُزِعَ الْمُؤَنِّينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ...﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية»^(٣).

مسألة هامة

فإن قيل: أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه تقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن، والكافر لا يكون له حسنات، فما الذي يقابل بكفره وسيئاته وأنى يتحقق في أعماله الوزن؟.

فالجواب: إن ذلك على وجهين:

أحدهما: أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته في إحدى كفتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى؟ فلا يجدها فيُشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفة ميزانه وهذا ظاهر الآية، لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون، وإذا كان فارغاً فهو خفيف.

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/ ١٠٤٨ رقم: ٢٦٩٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٢٨٠، رقم: ٢٦٤٤٤)، والترمذي (٥/ ٣٢٠، رقم: ٣١٦٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٠٣٩).

والوجه الآخر: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعتق المملوك ونحوها مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تُجمع وتوضع في ميزانه، غير أن الكفر إذا قابلها بها رجع به ولم يخل من أن يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه خفيفاً ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا.

فإن قيل: لو احتسبت خيراته حتى يوزن لجوزى بها جزاء مثلها وليس له منها جزاء؛ لأن رسول الله ﷺ سُئل عن عبد الله بن جدعان وقيل له: إنه كان يقرى الضيف ويصل الرحم ويعين في النوائب فهل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»^(١).

والجواب: أن الله تعالى قال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ ولم يفصل بين نفس ونفس، فخيرات الكافر توزن ويجزى بها، إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة، فجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث أبي طالب فإنه قيل له: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ فقال: «نعم، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(٢).

مِيزَانُ الدُّنْيَا وَمِيزَانُ الْآخِرَةِ

إن ميزان الدنيا غير ميزان الآخرة وإن مقاييس البشر تختلف كل الاختلاف عن مقاييس رب البشر - جل وعلا -.

قال ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادقُ، ويُؤْتَمَنُ فيها الخائنُ، ويُخونُ فيها الأمينُ، وينطقُ فيها الرُّويضةُ». قيل: وما الرُّويضةُ؟ قال: الرجلُ التافهُ يتكلمُ في أمرِ العامةِ^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (١/١٩٦، رقم ٢١٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣/١٤٠٨، رقم ٣٦٧٠)، ومسلم (١/١٩٤، رقم ٢٠٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢/٢٩١، رقم ٧٨٩٩)، وابن ماجه (٢/١٣٣٩، رقم ٤٠٣٦) قال البوصيري

(٤/١٩١): هذا إسناد فيه مقال، والحاكم (٤/٥١٢، رقم ٨٤٣٩) وقال: صحيح الإسناد، وصححه

العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٦٥٠).

فهذه هي مقاييس أكثر البشر لكن مقياس رب البشر - عز وجل - بالتقوى: ﴿وَإِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمُ﴾ [العنبر: ١٣]

وها هو الحبيب ﷺ يوضح أن ميزان العبد يوم القيامة يثقل إذا كان صالحاً في الدنيا فجاء يوم القيامة متزوداً بالتقوى والعمل الصالح.

فها هو عبد الله بن مسعود كان يجتنى سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ «م تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»^(١) - أى من جبل أحد.

فلو وضع عبد الله بن مسعود في ميزان يوم القيامة ووضع أمامه جبل أحد لرجحت كفة ابن مسعود بإيمانه بالله - عز وجل.

وفي المقابل يقول الحبيب ﷺ «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»^(٢).

بل هناك صنف كريم من البشر لو أقسم على الله لأبره قسمه. قال ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك»^(٣).

وفي معركة (تُستر) من بلاد فارس لما تحصن الفُرس في إحدى القلاع واشتد القتال وبلغت القلوب الحناجر، قال بعض المسلمين للبراء: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم.

ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال: «أقسمت يارب لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيي ﷺ»، فمُنحوا

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٥٩/٤)، ومسلم (٤٤٥٢)، ومسلم (٢١٤٧/٤)، رقم (٢٧٨٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٦٩٢/٥)، رقم (٣٨٥٤)، وقال: صحيح حسن، والحاكم (٣/٣٣١)، رقم

(٥٢٧٤)، وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٥٧٣).

أكتافهم وقتل البراء شهيدًا.

لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا

أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة: إن العبد يوم القيامة قد يحتاج إلى حسنة واحدة ليدخل الجنة.

وها هم أصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فلو كان لأحدهم حسنة واحدة تُرجح كفة الحسنات لدخل الجنة - وإن كان الراجح من أقوال أهل العلم أن مصير أصحاب الأعراف في النهاية إلى الجنة ولكن يكفيهم مرارة الانتظار.. قال تعالى: ﴿وَيَنْتَهِمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَمْحَبَ الْجَنَّةُ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَوْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَمْحَبِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف: ٤٦، ٤٧].

قال ابن كثير: والأعراف: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله.

قال حذيفة رضي الله عنه: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَمْحَبِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فيبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فإنني قد غفرت لكم. عن ابن مسعود قال: الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح.

وقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة، كُتب له بها عشر وإذا عمل سيئة، لم تُكتب إلا واحدة. ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِمَتِهِمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه. وكذا روى الضحاك عنه... وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا أَمْحَبَ الْجَنَّةُ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَوْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ أى فلماذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم ولكن لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون بدخولها قال الحسن: والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريد بها الله بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَمْحَبِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قال ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وقال ابن مسعود: لما نظروا إلى أهل النار ورأوا منازلهم تعوذوا بالله من منازلهم وقالوا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

ومن أجل ذلك قال ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (٢).
فبكلمة واحدة يدخل العيد أعلى الجنة.. وبكلمة واحدة يدخل العبد نار جهنم.
قال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» (٣).

وقال ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ لا يرى بها بأساً، يهوى بها سبعين خريفاً في النَّارِ» (٤).

وقال ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ منْ رضوانِ الله تعالى ما يظنُّ أنْ تبلغَ ما بلغتْ؛ فيكتبُ الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ من سخطِ الله تعالى ما يظنُّ أنْ تبلغَ ما بلغتْ؛ فيكتبُ الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة» (٥).
بل لقد أخبر النبي ﷺ أن أى عمل يعملهُ العبد ولو كان صغيراً قد يُدخله الجنة أو يوبقه في نار جهنم.

قال ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت» (٦).

وفي المقابل قال ﷺ: «غُفِرَ لامرأة مومسةٍ مرت بـكَلْبٍ على رأس رَكِي يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خُفَّها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغُفِرَ لها بذلك» (٧).

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢٠٢٦، رقم ٢٦٢٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥/٢٣٧٧، رقم ٦١١٢)، ومسلم (٤/٢٢٩٠، رقم ٢٩٨٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢/٢٩٧، رقم ٧٩٤٥)، والترمذي (٤/٥٥٧، رقم ٢٣١٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٦١٨).

(٤) صحيح: رواه مالك (٢/٩٨٥، رقم ١٧٨١)، وأحمد (٣/٤٦٩، رقم ١٥٨٩٠)، والترمذي (٤/٥٥٩، رقم ٢٣١٩)، وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٦١٩).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣/١٢٠٥، عقب رقم ٣١٤٠)، ومسلم (٤/٢١١٠، رقم ٢٦١٩).

(٦) صحيح: رواه البخاري (٣/١٢٠٦، رقم ٣١٤٣).

فإذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا فكيف بمن يعبد ويوحد رب البرايا؟!.

ومن أجل ذلك قال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»^(١).

فافعل الخير أيها الأخ الحبيب ولا تحتقر أى عمل صالح ولو كان صغيراً في عينيك... فقد يجعل الله نجاتك في هذا العمل فلو أنفقت ربع جنيه فلا تقل: هذا قليل فإنك لا تدري من المقبول.

قال ﷺ: «سبق درهم مائة ألف درهم: رجلٌ له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجلٌ له مالٌ كثير فأخذ من عُرضه مائة ألف فتصدق بها»^(٢).

كيف تنجو من خطر الميزان

يقول صاحب الإحياء - رحمه الله - : «واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا. وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى، ويرد المظالم حبة بعد حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلبيه، هذا يقول ذكرتنى في الغيبة بما يسوءنى، شتمتنى، وهذا يقول استهزأت بى، وهذا يقول ذكرتنى في الغيبة بما يسوءنى، وهذا يقول جاورتنى فأسأت جوارى، وهذا يقول عاملتنى فغششتنى، وهذا يقول بايعتنى فغبتننى وأخفيت عنى عيب سلعتك، وهذا يقول كذبت فى سعر متاعك، وهذا يقول رأيتنى محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتنى، وهذا يقول وجدتني مظلوماً

(١) متفق عليه زواه البخارى (٢/ ٥١٤، رقم ١٣٥١)، ومسلم (٢/ ٧٠٤، رقم ١٠١٦).

(٢) حسن زواه النسائي (٥/ ٥٩، رقم ٢٥٢٧)، وابن حبان (٨/ ١٣٥، رقم ٣٣٤٧)، والحاكم (١/ ٥٧٦،

رقم ١٥١٩) وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٦).

وكنت قادرًا على دفع الظلم عنى فداهنت الظالم وما راعيتنى. فيينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبتهم وأحكموا فى تلايبك أيديهم وأنت مبهور متحير من كثرتهم - حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغية أو خيانة أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم - إذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار، وتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (١٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (١٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ ﴿ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٤].

فتفكر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد: كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء، وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء؟ وعند ذلك طار قلبك سرورًا وفرحًا وابتهاجًا وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعًا رأسك خاليًا عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه، بل لا نسبة له إليه فتوصل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله، فلن تدرك ذلك إلا به.

الشفاعة

إن القلوب قد كَلَّتْ من عناء الدنيا وما فيها وإن الصدور قد ضاقت بأهل الباطل وما يصنعون وإن المسلم يصبح في هذه الحياة بين هؤلاء وهؤلاء ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم فعلی المسلم أن يصلح قلبه وعمله ويسعى في إصلاح غيره ونصحه كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ فبذلك فلاح الدنيا والآخرة واعلم أن القلب له أمور تصلحه وأمر تفسده ومن الأمور التي تصلح القلب ذكر الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٣٨﴾ [الرعد: ٢٨].

فعليك بإصلاح القلب لأن فيه صلاح الجسد كله كما قال الحبيب ﷺ: «..... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(١).

واعلم أن القلوب تفسد كما يفسد الجسد فتجد الإنسان كذاب ويقول لك الله غفور رحيم وتجده لا يصلى ويقول الله غفور رحيم ترى الرجل زوجته تسير في الشوارع سافرة ويقول لك الله غفور رحيم سبحانه الله يركبون بحر التمنى غرثهم الأمانى قالوا إننا نحسن الظن بالله ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل القضية ليست إحسان ظن نظرى ولكن إحسان ظن عملى والله عز وجل أمرك بأمور ونهاك عن أمور وحتى تحسن الظن بالله يكون لك سابقة أعمال حتى يشفع لك الحبيب ﷺ يوم القيامة عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول بحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم، كى يأتى لفصل الحساب وتخليص الناس من كربات الموقف وأهواله، فيطلبون من أبيهم آدم أن يقوم بهذه المهمة الكبيرة، ويذكرونه بفضلله وإكرام الله له، فيأبى ويعتذر، ويذكر عصيانه ربه بأكله من الشجرة التى حرم الله عليه الأكل منها، ويحيلهم إلى نوح أول رسول أرسله الله إلى البشر، الذى سماه الله عبداً شكوراً، فيأبى ويذكر ما كان منه من تقصير في بعض الأمور تجاه

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨/١)، رقم (٥٢)، ومسلم (١٢١٩/٣)، رقم (١٥٩٩).

ربه ومولاه، وهكذا يحيلهم إلى من بعده من أولى العزم من الرسل، والآخر يدفعها إلى من بعده، حتى يأتوا الرسول الخاتم: محمد ﷺ، الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقوم مقامًا يحمد عليه الأولون والآخرون، وتظهر به منزلته العظيمة، ودرجته العالية.

عن أنس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة قال: «أنا فاعل إن شاء الله قال: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبني على الصراط قلت: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبني عند الميزان قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن»^(١).

الشفاعة العظمى

قال بعض أهل العلم: ولنبينا ﷺ (الشفاعة العظمى) يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى عنه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] لذا قلنا (قد خصه الله بها) بالشفاعة (تكرماً) من الله عز وجل على النبي ﷺ وعلى أمته به.

كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس عامة»^(٢).

قال ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنًّا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ»^(٣).

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/١٧٨، رقم ١٢٨٤٨)، والترمذي (٤/٦٢١، رقم ٢٤٣٣) وقال: حسن غريب،

وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٣٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١/١٢٨، رقم ٣٢٨)، ومسلم (١/٣٧٠، رقم ٥٢١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/١٧٤٨، رقم ٤٤٤١).

مُشَفَّعٌ^(١).

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»^(٢). ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يُذكر افتخارًا في الغالب أراد النبي ﷺ أن يقطع وهم من توهم أنه يذكر ذلك افتخارًا فقال: «ولا فخر».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم، فُدفع إليه منها الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون لِمَ ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد (واحد)، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لى دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذِّبَاتِهِ، نفسى نفسى (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى: فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/١٧٨٢، رقم ٢٢٧٨).

(٢) صحيح لغيره: رواه أحمد (٣/٢، رقم ١١٠٠٠)، والترمذى (٥/٥٨٧، رقم ٣٦١٥)، وصححه العلامة الألبانى.

فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، قال: هكذا هو، وكلّمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده (مثله، ولم يذكر له ذنباً)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتونى، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فأتنى تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علىّ ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح على أحد قبلى، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تُشفع، فأقول: (يا رب أمتى أمتى، يا رب أمتى أمتى، يا رب أمتى أمتى)، فيقول: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفسى بيده، لما بين مصراعي من مصارع الجنة كما بين مكة ومهجر، أو كما بين مكة وبُصرى^(١).

النبي ﷺ يخبئ دعوته شفاعته لأُمَّته

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٨) [التوبة: ١٢٨].
فها هو الحبيب ﷺ يخبئ دعوته شفاعته لأُمَّته.

قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعَةً لأُمَّتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً^(٢)».

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم:

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤/ ١٧٤٥، رقم ٤٤٣٥)، ومسلم (١/ ١٨٤، رقم ١٩٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٨٩، رقم ١٩٨).



﴿ رَبِّ إِنِّي أَنَا لَكِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَنَنْبَغِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تَعَذِّبُهُمْ فَلَا تُفْلِحْ فَاذْكُرْ عِبَادَكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [البقرة: ١١٨] فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله: ما يبكيك. فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»^(١).

كيفية نفوز بشفاعته النبي ﷺ

وقد يسأل سائل ويقول: كيف أفوز بشفاعته النبي ﷺ؟
أقول لك: هذا هو الطريق فافتح قلبك لكلام النبي ﷺ.
قال ﷺ: «... وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وإنها نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(٢).
وقال ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا على؛ فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلُّوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»^(٣).
وقال ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعته مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»^(٤).
وقال ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها»^(٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (١/١٣٢ رقم: ٥٢٠).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/٢٨٨ رقم: ٣٨٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/٧٤ رقم: ٥٤٣٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٠١٥).

شروط الشفاعة

إن الشفاعة الثابتة في الشرع هي التي يتوفر فيها شرطان:

- إذن الله للشافع. - الرضا عن المشفوع له.

وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَافِعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُوكُمْ شَيْئًا ذَرُّوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ۚ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]، ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَاءَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [٨٧].

[مريم: ٨٧]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾

[النبا: ٣٨]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَذِي لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالى في الكفار: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَاسِبٍ وَلَا لَشَيْعٍ نَطَّاعٍ﴾ [غافر: ١٨].



وقال عنهم: ﴿فَمَا نَأْنِي مِنْ شَفِيعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَسِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].
وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].
فالنبي ﷺ:

يشفع أولاً إلى الرحمن في فصل القضاء بين أهل الموقف
من بعد أن يطلبها الناس إلى كل أولى العزم الهداة الفضلا

ولذلك فإن والد إبراهيم لما مات كافراً فإن الله لم يقبل شفاعته خليفه فيه في ذلك
اليوم: روى البخارى في صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم
أباه أزر في يوم القيامة، وعلى وجه أزر فترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا
تعصنى؟ فيقول له أبوه: فالיום لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتني أن لا
تخزنى يوم يُبعثون، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة
على الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: ما تحت قدميك؟ فينظر فإذا هو بذبح منتلطح، فيؤخذ
بقوائمه، فيلقى في النار»^(١).

انواع الشفاعات يوم القيامة

وقال صاحب شرح العقيدة الطحاوية رحمه الله:
الشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة
ونحوهم من أهل البدع.
النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهى العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر
إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين.
النوع الثانى والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم
وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار، أن لا
يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان

(١) صحيح: رواه البخارى (٣/ ١٢٢٣)، رقم (٣١٧٢).

يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يُستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مُخرَج في الصحيحين.

قال ﷺ: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي»^(١).

وقال ﷺ: «سألت الله الشفاعة لأمتي فقال: لك سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. قلت: رب زدني فحثالى بيديه مرتين وعن يمينه وعن شماله»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتي زُمرَةٌ هم سبعون ألفاً تُضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر... وقال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم قال: «اللهم اجعله منهم»^(٣).

- وفي رواية أنه ﷺ قال: «أنت منهم» - ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة».

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه. ثم قال القرطبي في «التذكرة» بعد ذكر هذا النوع: «فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفَاعِينَ﴾^(٤) [المذثر: ٤٨]: قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يُخرجون منها ويدخلون الجنة.

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/٢٦٨، رقم ٢٢٣٥٧)، والترمذي (٤/٦٢٦، رقم ٢٤٣٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧١١١).

(٢) صحيح: رواه هناد (١/١٣٥، رقم ١٧٨)، وأخرجه أيضاً: الديلمي (٢/٣١١، رقم ٣٤٠٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٥٩٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥/٢٢٩٦، رقم ٦١٧٦)، ومسلم (١/١٣٦، رقم ٥٤٤).



النوع السابع: شفاعته ﷺ في استفتاح باب الجنة.

فمن أنس قال: قال ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»... وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح. فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»^(١).

وقال ﷺ: «يجمعُ الله الناس يوم القيامة، فيقوم المؤمنون حين تُرْلَفُ لهم الجنة فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم، لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم، لستُ بصاحب ذلك؛ إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى، فيقول: لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً، فيقوم فيؤذَنُ له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتَي الصراط يميناً وشمالاً، فيمرُّ أولُكم كالبرق. ثم كمرُّ الريح، ثم كمرُّ الطير وشُدُّ الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبِيُّكم قائمٌ على الصراط يقول: ياربِّ سلم سلم، حتى تعجزَ أعمالُ العباد، وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة، تأخذ من أُمِرَتْ بأخذه فمخدوشٌ ناج، ومكدوشٌ في النار»^(٢).

وأما النوع الثامن: فقد قال صاحب معارج القبول رحمه الله: هي شفاعته ﷺ في أقوام ماتوا على دين الإسلام وأوبقتهم كثرة الآثام فيشفع لهم النبي ﷺ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة فهذه الشفاعة حقٌّ يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابة (الخوارج)، وأنكرها في عصر التابعين (المعتزلة)، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ويسيئون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون

(١) صحيح: رواه مسلم (١/١٨٨، رقم ١٩٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/١٨٦، رقم ١٩٥).

الله الجنة ويستعيدون به من النار في كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء فيها من الوعيد الشديد فقصوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجدوا قول الله عز وجل ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [ص: ٢٨]، وقوله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَنَّاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢٩﴾ [الباقية: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝٣٠ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣١﴾ [الفلم: ٣٥، ٣٦].

قال ﷺ: «يُجمع المؤمنون يوم القيامة، فيهتَمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا، فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك، حتى يُريحنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصابه، فيستحي ربه عز وجل من ذلك، ويقول: ولكن اتوا نوحًا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحًا، فيقول: لست هناكم - ويذكر لهم خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحي ربه من ذلك - ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا موسى عبدًا كلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم - ويذكر لهم النَّفْسُ الَّتِي قَتَلَ بِغَيْرِ نَفْسٍ، فيستحي ربه من ذلك - ولكن اتوا عيسى عبدًا الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى، فيقول لهم: هناكم، ولكن اتوا محمدًا عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأقوم، فأمشي بين سباطين من المؤمنين، حتى استأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعتُ ساجدًا لربي تبارك وتعالى، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمدًا. قل: يُسمع، وسل تعطه، واشفعُ تشفع، فأرفع رأسي، فأحمدهُ بتحميد يعلمنيه، ثم أشفعُ فيحدُّ لي حدًا فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربي وقعتُ ساجدًا لربي تبارك وتعالى، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمدًا! قل يسمع، وسل تعطه، واشفعُ تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفعُ، فيحدُّ لي حدًا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربي تبارك وتعالى، وقعتُ ساجدًا لربي، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمدًا! قل: يُسمع، وسل



تَعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَإِذَا رَفَعْتَ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يَعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيُحْدِثُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ إِلَّا مِنْ حَبْسَةِ الْقُرْآنِ، فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً^(١).

شفاعة الملائكة

قال ﷺ عن شفاعة الملائكة: «... حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيُصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مُقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة...»^(٢).

شفاعة المؤمنين

إن صُحبة أهل الإيمان تُثمر لك الخير كله في الدنيا والآخرة.
فأما في الدنيا: فإنه يُذكرك بالله ويعينك على طاعته وينصرك إذا كنت في حاجة إلى النصرة ويبذل لك كل ما يستطيع من أجل أن يُدخل عليك السرور والسعادة.
وفي الآخرة يشفع لك عند الله - عز وجل -.
قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) [الزخرف: ٦٧]
ولذلك فعلينا أن نتعاهد من الآن على أنه من أذن الله له بالشفاعة يوم القيامة أن يشفع لإخوانه المؤمنين.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤/١٦٢٤، رقم ٤٢٠٦)، ومسلم (١/١٨٠، رقم ١٩٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١/٢٧٧، رقم ٧٧٣)، ومسلم (٤/٢٢٧٩، رقم ٢٩٦٨).

قال ﷺ: موضعا هذا المشهد المهيّب من مشاهد يوم القيامة - عندما يشفع المؤمنون لإخوانهم: «... ثم يُضرب الجسرُ على جهنّم، وتحلّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سلّم سلّم. قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دَحَضُ مَزَلَّةٍ، فيه خطاطيفٌ وكلايبٌ، وحسكةٌ تكون بنجدٍ، فيها شويكةٌ، يقال لها: السَّعدانُ، فيمرُّ المؤمنونَ كطُرفِ العينِ؛ كالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرُّكابِ، فَنَاجِ مسلّمٌ، ومخدوشٌ مرسلٌ، ومكدوشٌ في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحدٍ منكم بأشدّ مناشدةً لله في استيفاءِ الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربَّنَا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجُّون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرّمُ صورهم على النار، فيُخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ماقه وإلى ركبتيه. فيقولون: ربَّنَا ما بقي فيها أحدٌ ممَّن أمرتنا به، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينارٍ من خيرٍ فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون ربَّنَا لم نذر فيها أحدًا ممَّن أمرتنا به. ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينارٍ من خيرٍ فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنَا لم نذر فيها ممَّن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا، فمَن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خيرٍ فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنَا! لم نذر فيها خيرًا»^(١).

شفاعةُ أرحم الراحمين

قال ﷺ: «إِنَّ الله تعالى خلقَ الرحمةَ يومَ خلقها مائةَ رحمةٍ، فأمسكَ عندهُ تسعًا وتسعينَ رحمةً، وأرسلَ في خلقه كلهمَ رحمةً واحدةً، فلو يعلمُ الكافرُ بكلَّ الذي عندَ الله من الرحمةِ لم يئأسَ من الجنة، ولو يعلمُ المؤمنُ بالذي عندَ الله من العذابِ لم يأمنَ من النار»^(٢). وقال ﷺ: «إِنَّ الله خلقَ مائةَ رحمةٍ، فبَيَّنَّ بَيْنَ خَلْقِهِ رَحْمَةً واحدةً، فَهُم يتراحمونَ بها، وَاذْخَرَ عندهُ لأوليائه تِسْعَةً وَتِسْعِينَ»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٦٧١/٤)، ومسلم (٤٣٠٥)، ومسلم (١٦٧/١)، رقم (١٨٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٧٤/٥)، رقم (٦١٠٤)، ومسلم (٢١٠٨/٤)، رقم (٢٧٥٢).

(٣) رواه وابن عساكر (٢٥٩/٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٧٦٦).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فِيهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَأَخْرَجَ نَسْعًا وَتَسْعِينَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»^(١).

فمن هذه الرحمات العظيمة لرب الأرض والسموات أنه لا يأذن بشفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين فحسب بل يقبض قبضة من النار ليُخرج قومًا - من النار - لا يعلم عددهم إلا الله فيدخلهم الجنة... ولا يعلم أحدٌ من الخلق قدر قبضة الخالق (جل وعلا) فقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال ﷺ: «...» فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حُمَمًا، فيُلقيهم في نهرٍ في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرجُ الحبة في حبل السَّيل، ألا ترونها تكونُ إلى الحجر أو الشجر، ما يكونُ إلى الشمس أصيفر وأخضر، وما يكونُ منها إلى الظل يكونُ أبيض، فيخرجون كاللؤلؤ، في رقابهم الخواتيم، يعرفهم أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله من النار، الذين أدخلهم الجنة بغير عملٍ عملوه، ولا خير قَدَموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربَّنَا أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربَّنَا أى شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا^(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢١٠٩، رقم ٢٧٥٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤/١٦٧١، رقم ٤٣٠٥)، ومسلم (١/١٦٧، رقم ١٨٣).

الصراط

رأينا كيف خرج الناس من القبور وكيف جمعهم الله في صعيد واحد في أرض بيضاء نقية.. لم يعص الله عليها بمعصية.. ولم ترتكب فيها أى نوع من الأخطاء التى تغضب الله رب العالمين كما قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وكما وصفها الرسول ﷺ فقال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءٍ كَقَرَصَةِ النَّقَى لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»^(١). الأرض ستغير وتصبح أرض ثابتة، والسموات سموات ثابتة. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٤٧]، يعنى ربنا سينشأنا ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١]، سوف يبعث الله الناس يوم القيامة على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء. يعنى إذا كان الذراع يعنى كما يقولون ٧٥ سم يكون سبحانه الله يكون الواحد منا طوله ٤٥ متر هذه مسألة تخرج خارج حدود العقل.

• نحن نأخذ كلام سيدنا الحبيب ﷺ ونقول له صدقت يا رسول الله. لماذا لأنه هو الصادق الأمين لأنه معصوم والذي يقوله نحن من المصدقين به نحن من أول المصدقين ويجب أن نكون من أول المصدقين بما يقوله الحبيب الصادق الأمين ﷺ ثم بعد ذلك رأينا كيف ذهب البشر إلى أبيهم آدم ليستشفع ويشفع عند الله لكى يبدأ الحساب ولكن أبانا آدم يعتذر ويعلم أبناءه من البشرية كلها. أن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله من قبل. يبقى إذن لما غضب الله على قوم نوح ماذا فعل فيهم... أرسل عليهم الطوفان يبقى غضب الله يوم القيامة كغضبه يوم الطوفان أم أشد؟ أشد.. هو قال غضب ربي اليوم غضباً لم يغضب مثله من قبل.

• لما غضب على قوم لوط. وبعث إليهم سيدنا جبريل قلب قرينتهم. فحمل القرية على جناحه لما ارتكبوا فاحشة اللواط الشذوذ. سبحانه الله. حتى سمع الملائكة نباح كلابهم، ثم رمى البلد بمن فيها. ثم أمطروا بحجارة من سجيل والعياذ بالله قال تعالى: ﴿..... مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨٣]، يعنى الحجر كان مكتوب عليه اسم الذى سيضربه، سبحانه الله سبحانهك يا خلاق. مسومه: أى: معلمة يعنى الحجر

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٠، رقم ٦١٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٥٠، رقم ٢٧٩٠).

مكتوب عليه اسم الذي سيرمى به جند من جنود الله ﴿وَمَا يَمْزِلُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. في هذا اليوم العظيم يعتذر الأنبياء والرسول:

لا يقوم لهذا المقام إلا صاحب المقام إلا صاحب المقام المحمود ﷺ ورأيت كيف شفاعته ﷺ ومقامه عند الله هو المقام المحمود، ودائمًا ندعو له أن يبعثه الله المقام المحمود كما وعده رب العباد في كتابه الكريم قال: المقام المحمود منزلة لا تكتب إلا لعبد واحد واحد فقط وعسى أن أكون أنا هو هذا من أدبه ﷺ رأينا كيف بدأ الحساب وكيف تطايرت الصحف وكيف علق كل إنسان بكتابه، وكيف من أخذ الكتاب بيمينه ومن أخذه بشماله ومن أخذه من وراء ظهره.

ورأينا كيف نصبت الموازين وكيف أمر الله عز وجل بجهنم أن تجيء كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرُ﴾ [الفجر: ٢٣]، قول كل واحد في هذا الموقف.. ﴿يَلَيْسَ لِي بِأَنْفُسِي﴾ [الفجر: ٢٤]، لأنه علم ما قدم ﴿عَلِمْتُ نَفْسِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ [الأنفطار: ٥]، لذلك لا ينفع الإنسان بعد موته إلا كما قال الحبيب ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»^(١) من بنى مسجدًا... من كتب مصحفًا... من علم علمًا... سبحان الله من حفر بئرًا من حفر نهرًا... من غرس نخلاً كل هذه الأعمال يجري ثوابها للعبد بعد موته كما سبق الكلام عن ذلك.

تطايرت الصحف... استلم كل واحد كتابه اللهم اجعلنا ممن يستلمونه بيمينهم يارب العالمين.

ثم وضعت الموازين.. واتفقنا فيما بيننا أننا نميل إلى الرأي أنه ميزان واحد.. وقلنا: إن العرب يطلقون الجمع على المفرد. ﴿كَذَّبَتْ عَادُ التَّارِسِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، عاد قوم عاد ذهب إليهم كم رسول... رسول واحد اللغة العربية فيها بلاغة.... أن يطلق الجمع على المفرد. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، إذا الموازين هنا يقصد القرآن بها بميزان يوزن بها أعمال العباد كلهم. لكي يكون ميزان واحد لكي يكون... لله الحجة البالغة على عباده.

لأن ممكن واحد ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شُغْلٍ جَلًّا﴾ [الكهف: ٥٤]، يزنون له عند هذا الميزان، لا هذا الميزان فاسد، أريد هذا الميزان لا هذا الميزان لا يعجبه أريد هذا الميزان. لا هو ميزان واحد

توزن الأعمال.. فمن سعد يسعد سعادة لن يشقى بعدها أبدًا في أن تثقل موازينه اللهم ثقل موازيننا وفيهم والعياذ بالله من تخف موازينه سبحانه الله والرسول واقف عند الميزان أحد المواقف الثلاثة له كما يقول أنس بن مالك رضي الله عنه «سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: «أنا فاعل قال قلت يا رسول الله فأين أطلبك قال اطلبني أول ما تطلبني على الصراط قال قلت فإن لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فإنني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن»^(١).

والكلام عن الصراط ونحن ندعو الله عز وجل في كل يوم بل في كل ركعة أن يهدينا الصراط المستقيم. اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم.

* إنه بعد وزن الأعمال والفراغ منها، وبيان السعيد من الشقى في الجملة، يضطر الناس إلى المرور على الصراط، وهو جسر دقيق منصوب على ظهر جهنم وهى عقبة في طريق الداهيين إلى دار السلام، وممر خطير للغاية يشهد لخطورته أن الرسول ﷺ يقف على جنباته والناس يمرون، وهو: يدعو «يا رب سلم سلم»^(٢).

* ويكون مرور الناس بحسب أعمالهم في الدنيا، فمنهم من يمر بسرعة مدهشة حتى لكأنه البرق الخاطف. ومنهم من يمر دون ذلك إلى أن ينجو من ينجو ولو حبواً على يديه وركبتيه، ويهلك من يهلك بسقوطه في جهنم دار الشقاء، والهوان، والبوار، والخسران.

* يوجد صراط في الدنيا الذى لا يستقيم عليه لن يمشى على صراط الآخرة يجب أن نسير عليه الذى لا يسير على الصراط المستقيم في الدنيا لن يسلك به ولن يسرع وسوف يبطأ به على الصراط يوم القيامة نحن نقرأ سبع عشر مرة على الأقل كل يوم. ﴿أَفِدْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، القرآن يفسر بعضه بعضًا فالصراط

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٦/١)، رقم (١٩٥).

المستقيم هو: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، لأن الفاتحة أم الكتاب. فيها الخير كله.. وفيها معاني القرآن كله سبحانه الله ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، هذا هو الصراط المستقيم من الذين أنعم عليهم؟ وهم الذين أخلصوا الله العبادة وأخلصوا للرسول ﷺ المتابعة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠] الذين عرفهم به سبحانه.. قال داود يا رب من أحب العباد عندك؟ أحب العباد عندك من؟ قال من حبينى إلى خلقى. وحُبُّ خلقى إلى.. قال يا رب وكيف يحبك إلى خلقك؟ قال: يذكرهم بنعمائى فيحبوننى فأغفر لهم فأدخلهم الجنة. سبحانه الله يعنى يجعلهم يذكرهم يذكرهم بنعم الله انظروا نعم الله عظمة كيف؟ انظروا هكذا فيجعل الناس في حالة من الرضا.. لا أن يقنط الناس من رحمة الله.. فيياس الناس والعياذ بالله من فضل الله. إن أسوأ العباد من قنط الناس من رحمة الله.

* وقد وضع لنا الحبيب ﷺ الطريق كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل قال يزيد متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾»^(١)، فالإنسان إذا ابتعد عن الطريق المستقيم. فياخذه الشيطان وينسى العبد نفسه فينبغى للعبد أن يتذكر لأن ربنا وصف ومدح الذى يتذكر فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

* إذا الشيطان ماذا يفعل يجعل على البصر وعلى البصيرة عمى فلا يرى لكن المؤمن لما يأتيه مس من الشيطان يتذكر الله فينجل بصره وتنجل بصيرته فيرى أن الله أقرب إليه من حبل الوريد فكن على حذر وقد قال الحبيب ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»^(٢) كل هذه مكاره أم ليست مكاره؟ مكاره مكاره فالعبور

(١) حسن: رواه أحمد (١/ ٤٣٥ رقم: ٤١٤٢)، وحسنه العلامة الألبانى فى المشكاة (١٦٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٧٤، رقم ٢٨٢٣).

العبور إلى رضوان الله كالعبور تمامًا على الصراط مثل ما سيأتى للتفصيل أن شاء الله فطريق الله واحد. أم طرق متعددة.. ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ [الأنعام: ١٥٣] ماذا؟ ﴿مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] الذي هو ماذا؟ الصراط في الدنيا وصانا الحبيب ﷺ بماذا قال: «تركتم فيكم شيئين لن تفلحوا بعدهما كتاب الله تعالى وستى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض» (١).

* فصراط الله المستقيم واضح ودين الله كامل لا يحتاج لأحد أن يزيد أو ينقص كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ولقد تركنا الحبيب ﷺ على المنحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزغ عنها إلا هالك لذلك أى أحد ينضم لفرقه أو لجماعة أو حزب كل هذا تفرق للمسلمين - سبحانه الله - بل ينبغي لكل المسلمين أن يسعهم جميعًا كتاب الله وسنة حبيبه ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم. كما قال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بستى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، صراط واحد.... ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، ثم إن ربنا من فضله ورحمته قال: ﴿هُوَ سَعَتُكَ السَّيِّئِينَ﴾

[الحج: ٧٨]

فمن سار في الدنيا على الصراط المستقيم.. سار سريعًا في الآخرة على الصراط يوم القيامة فالسير على الصراط المستقيم يقتضى صبرًا فمن سار على الصراط المستقيم في الدنيا سار على الصراط المستقيم سريعًا في الآخرة ونجا بفضل الله ورحمته وكرمه من عذاب جهنم التى هى دركات.

(١) صحيح: رواه الحاكم (١/ ١٧٢، رقم ٣١٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٣٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٢٦، رقم ١٧١٨٤)، وأبو داود (٤/ ٢٠٠، رقم ٤٦٠٧)، والترمذى (٥/ ٤٤،

رقم ٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٥٨٠).

* ولذلك بين الحبيب ﷺ بُعد قعر جهنم فقال: «لو أن حجرا مثل سبع خلفات ألقى عن شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفاً لا يبلغ قعرها»^(١).

والصراط جسر فوق جهنم، وسوف يمر العبد من عليه كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْكُزُ إِلَّا وِإِذْ هَا﴾ [مريم: ٧١]، يعنى داخلها؟ فى اللغة لا.. ربنا قال عن سيدنا موسى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، ورد يعنى ماذا؟ وصل ونظر ورأى. يبقى... وردت الإبل الماء.... يعنى ماذا؟ ذهبت ووصلت إلى هناك وعانت الماء أمامها... لذلك... ورود الشخص.. أى وصوله إلى هذا المكان.

وعن أبى سعيد الخدرى رحمه الله قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ: «نعم فهل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن يتقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف

(١) صحيح: رواه هناد (١/١٧٥، رقم ٢٥٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٨).

عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لى الله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار. وفي رواية: فما أنتم بأشد لى مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ثم يقولون ربنا ما بقى فيها ممن أمرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما من النار لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حميا فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم



يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أى شىء أفضل من هذا فيقول رضى فلا أسخط عليكم أبدا^(١).

وأى عبور أصعب من هذا العبور يعنى إن لم يسلم الله ويغفر ويثبت. هذه اللحظة الدعوة عند الصراط للملائكة وللأنبياء والمقربين من الله عز وجل سبحانه الله يارب سلم يارب سلم قيل حتى أنت يا رسول الله قال: حتى أنا لا دعوة لى ألا يارب سلم يارب سلم الخطاف كأنما يشم رائحة صاحبه والعاثرون على الصراط أصناف كما قال الحبيب ﷺ لما سئل يا رسول الله وما الجسر قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل وكالركاب فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى إذا خلاص المؤمنون من النار فالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار».

«فتوهم نفسك - يا أخى - إذا صرت على الصراط، ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة، قد لظى سعيها، وعلا لهيبها، وأنت تمشى أحياناً، وتزحف أخرى... والله در القائل:

أبّت نفسى تتوب فيما احتيالى	إذا برز العباد لذى الجلالى
وقاموا من قبورهم سكارى	بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكى يجوزوا	فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدى	تلقاه العرائس بالغوالى
يقول له المهيمن يا ولى	غفرت لك الذنوب فلا تبالى

وقال آخر:

إذا مُد الصراط على جحيم	تصول على العصاة وتستطيل
فقوم فى الجحيم لهم بُور	وقوم فى الجنان لهم مقيـل

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤/ ١٦٧١، رقم ٤٣٠٥)، ومسلم (١/ ١٦٧، رقم ١٨٣).

وبان الحق وانكشف المغطى وطال الويل واتصل العويل

الأمانة والرحم على جنبتي الصراط

عن أبى هريرة رضي الله عنه في وصف المرور على الصراط، قال: قال رسول الله ﷺ: «وترسل الأمانة والرحم، فتقومان على جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبى أنت وأمى، أى شيء كالبرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفه عين؟ ثم كمرَّ الريح، ثم كمرَّ الطير وشدَّ الرحال، تجري بهم أعمارهم، ونيبكم قائم على الصراط يقول: رب، سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا، قال: وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به. فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»^(١).

ويا له من موقفٍ يشيب لهوله الولدان.

ها هي الأمانة تتعلق على الصراط لتقول لكل خائن يمر عليها: أين الأمانة التي ضيعتها؟.... أين أمانة الطاعة؟... أين أمانة الزوجة والأولاد؟ أين أمانة الأموال التي سرقتها؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين؟ أين الأمانات التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت أيها الإنسان.

بل ها هي الرحم تتعلق على الصراط لتقول لكل من قطعها:

أين صلة الرحم التي قطعتها في الدنيا؟ وماذا ستصنع اليوم أمام تلك الأهوال؟! قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فِذَلِكَ لَكَ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]»^(٢).

وقال ﷺ: «ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجلَ الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة، والكذب، وإنَّ أعجلَ الطاعة ثوابًا لصِلته

(١) صحيح: رواه مسلم (١/١٨٦، رقم ١٩٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥/٢٢٣٢، رقم ٥٦٤١)، ومسلمه (٤/١٩٨٠، رقم ٢٥٥٤).



الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا^(١).

انوار المؤمنين على الصراط

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَمْنٍ هُمْ يُنْزَلُونَ﴾ جَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لَئِذَا آمَنَّا أَنْظَرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضَرَبَ بِهِمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ [الحديد: ١٢، ١٣].

وفي هذا الموضع الرهيب يسقط المشركون في نار جهنم ويبقى المؤمنون - وفيهم أصحاب الذنوب والمعاصي والمنافقون وتلقى عليهم الظلمة دون الجسر. يقول شارح الطحاوية رحمه الله: «وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ؟﴾

وها هو مشهد مهيب من مشاهد يوم القيامة... ألا وهو المشهد الذي يدور بين المؤمنين والمنافقين على الصراط.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَمْنٍ هُمْ يُنْزَلُونَ﴾ جَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لَئِذَا آمَنَّا أَنْظَرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضَرَبَ بِهِمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يَتَادَوْنَهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانَةُ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِیَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ [الحديد: ١٢-١٥].

* والمشهد هنا بإجماله وتفصيله جديد - بين المشاهد القرآنية - وهو من المشاهد

(١) صحيح: رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/ ١٥١)، وقال الهيثمي: فيه عبد الله بن موسى بن أبي عثمان الأنطاكي، ولم أعرفه، وبقيته رجاله ثقات، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠٥).

التي يحييها الحوار بعد أن ترسم صورتها المتحركة رسماً قوياً. فنحن الذين نقرأ القرآن اللحظة نشهد مشهداً عجيباً. هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم. ولكننا نرى بين أيديهم وبأيمانهم إشعاعاً لطيفاً هادئاً. ذلك نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم. فهذه الشخصوس الإنسانية قد أشرقت وأضاءت وأشعت نوراً يمتد منها فيرى أمامها ويرى عن يمينها.. إنه النور الذي أخرجها الله إليه وبه من الظلمات. والذي أشرق في أرواحها فغلب على طينتها. أم لعله النور الذي خلق الله منه هذا الكون وما فيه ومن فيه، ظهر بحقيقته في هذه المجموعة التي حققت في ذواتها حقيقتها!

»ثم ها نحن أولاء نسمع ما يوجه إلى المؤمنين والمؤمنات من تكريم وتبشير:

﴿بَشِّرْكُمْ الْيَوْمَ بِجَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢]..

ولكن المشهد لا ينتهى عند هذا المنظر الطريف اللطيف.. إن هناك المنافقين والمنافقات، في حيرة وضلال، وفي مهانة وإهمال. وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].. فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف. ولكن أتى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام؟ إن صوتاً مجهولاً يناديهم: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].. ويبدو أنه صوت للتهكم، والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا. إلى ما كنتم تعملون. ارجعوا فالنور يُلتمس من هناك. من العمل في الدنيا. ارجعوا فليس اليوم يُلتمس النور! وعلى الفور يفصل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات. فهذا يوم الفصل إن كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورَةٍ بَابَ بَابَةٍ، فِيهِ الرِّحْمَةُ وَظَلَهُمُ مِنْ قَبْلِ الْعَذَابِ﴾ [الحديد: ١٣].. ويبدو أن سوراً يمنع الرؤية ولكنه لا يمنع الصوت. فما هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾.. فما بالناس نفترق عنكم؟ ألم نكون معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد؟ وقد بُعثنا معكم هنا في صعيد واحد؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ كان الأمر كذلك. ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.. فصرتموها عن الهدى. ﴿وَفَرَّقْنَاهُمْ﴾.. فلم تعزموا ولم تختاروا الخير الحاسمة. ﴿وَارْتَبَنَاهُمْ﴾.. فلم يكن لكم من اليقين ما تعزمون به العزيمة الأخيرة. ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ﴾

الْأَمَانَةُ ﴿الباطلة في أن تنجوا وتربحوا بالذبذبة وإمساك العصا من طرفيها!﴾ حَقَّ جَلَّةَ أَمْرِ اللَّهِ .. وانتهى الأمر. ﴿وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْعَزُورُ﴾ .. وهو الشيطان الذي كان يطعمكم ويمنيكم.

﴿قَالِيزِمٌ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوْثَقَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

[الحديد: ١٥].

ثم يأتي هذا العتاب الرقيق من الله (جل وعلا) حيث يقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

إنه عتاب مؤثر من المولى الكريم الرحيم؛ واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها من فضله؛ فبعث فيها الرسول يدعوها إلى الإيمان بربها، ونزل عليه الآيات البينات ليخرجها من الظلمات إلى النور؛ وأراها من آياته في الكون والخلق ما يبصّر ويحذّر.

عتاب فيه الود، وفيه الحضر، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال الله، والخشوع لذكره، وتلقّى ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام، مع رائحة التنديد والاستبطاء في السؤال:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ..

ولكن لا يأس من قلب خمد وجد وقسا وتبلد. فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، وأن يشرق فيه النور، وأن يخشع لذكر الله. فالله يحيى الأرض بعد موتها، فتنبض بالحياة، وتزخر بالنبت والزهر، وتمنح الأكل والثمار.. وكذلك القلوب حين يشاء الله:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ..

التوبة.. والنور على الصراط

وها هي التوبة تضيء لك طريقك إلى الله في الدنيا والآخرة. ففي الدنيا تعيش في جنة الإيمان التي لو يعلم قدرها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف... والتوبة تضيء لك قبرك بنور العمل الصالح... والتوبة تضيء لك الطريق فوق

الصراط يوم القيامة... والتوبة تقودك إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، تُوْرُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا تُوْرَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨]

المشركون لا يمرون على الصراط

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي في كتاب التخويف من النار: واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط، ويدل على ذلك ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع الشمس من يعبدها، ويتبع القمر من يعبد القمر، ويتبع الطواغيت من يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها» فذكر الحديث إلى أن قال: «ويُضرب الصراط بين ظهرائي جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه».

فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كال المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عبادة الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فتزد النار مع معبودها أولاً؛ وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَفْسُ الْوَرْدُ الْمَرْوُودُ﴾ (٣٨)

[هود: ٩٨]

وأما من عبد المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المتسبين إلى الأنبياء ثم يردون في النار بعد ذلك.

قنطرة بين الجنة والنار

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيجسبون

على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله و الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا»^(١).

* قنطرة التوحيد وإخلاص العبادة لله فإن كان توحيد خالصاً مَرَّ، وإن كان في توحيد دخن أو رياء سقط.

* وقنطرة الصلاة: لأنها أساس الدين وعماده، فيوقف العبد ليسأل هل كان يصو أم لا؟ هل كانت صلاته رياء أم كانت لله؟ وماذا أثمرت؟
* قنطرة الزكاة: ويسأل عن زكاته أيضاً، هل أداها وأخرج حق الفقير من مال الله الذي عنده.

* قنطرة الصيام: ويسأل عن صيامه أيضاً، هل أتمه أم لا.
* قنطرة الحج: لمن استطاع الحج ولكنه ترك هذا الركن العظيم.
* قنطرة المظالم: يأخذ المظلوم حقه من الظالم فعلياً أن نسرع ببرد الحقوق إلى أصحابه كما قال الحبيب ﷺ: «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه»^(٢).

وحذر من التهاون في ذلك فقال: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»^(٣).

* * *

(١) صحيح: رواه الحاكم (٦١٦/٤)، رقم (٨٧٠٦) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة في المشكاة (٥٥٨٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٣٩٤/٥)، رقم (٦١٦٩).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ خَوْفَيْنِ

قال الله تعالى: «وعزّنى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين إن هو أمنى في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى وإن هو خافنى في الدنيا أمنتّه يوم أجمع عبادى»^(١).

فهذه أهوال الصراط وعظائمه، فطول فيه فكرك فإنّ أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد، فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة، ولست أعنى بالخوف رقة كرقعة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك؟ فهذا ليس من الخوف في شيء! بل إن من خاف شيئاً هرب منه، ومن رجا شيئاً طلبه. فلا ينجيك إلا خوفٌ يمنحك عن معاصى الله تعالى ويحثك على طاعته.

فلا تكن ممن قال استعنت بالله... نعوذ بالله... اللهم سلم سلم. وهم مع ذلك مصرون على المعاصى التى هى سبب هلاكهم. فالشيطان يضحك من استعاذتهم. كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراء حصن، فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بُعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه؟ فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأتى يغنى عنه ذلك من السبع.. وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول: «لا إله إلا الله» صادقاً ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره. ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد عن الصدق في التوحيد وأمره مخطر في نفسه، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله ﷺ حريصاً على تعظيم سنته ومتشوقاً إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركاً بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة.

أخّر رجل يمر على الصراط

ويخبر الحبيب ﷺ عن حال آخر رجل يمر من على الصراط ليدخل جنة رب الأرض والسموات فيقول ﷺ: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة - أى على

(١) حسن: رواه أبو نعيم (١/ ٢٧٠)، وحسنه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٤٣٣٢).



الصراط - ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين.....^(١)

فمن شدة هول الصراط - المنصوب على متن جهنم - أحس هذا الرجل بعم مروره من عليه أن الله (عز وجل) أعطاه شيئاً عظيماً لم يعطه أحداً من البشرية كلها.. مع أن هذا الرجل هو آخر من يدخل الجنة!!!
شفقة النبي ﷺ على أمته:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّي نَجَّيْتُكَ مِنَ النَّارِ فَتَعَبْنِي فَلِآنِئْتِ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَمُوتُوا وَإِن تَتَّقُوا لَأَمْلَأَنَّ جَنَّاتٍ وَلَآ أَرْضُهَا مِنِّي﴾ [البقرة: ١٩٨] فرفع يديه وقال: اللهم أمتي وأمتي وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل! اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله: ما يبكيك؟ فأناؤه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله: فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك^(٢).

فنسأل الله (جل وعلا) أن ييسر لنا المرور على الصراط.



(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

الحوض

بمشيئة الرحمن نقرب من سيدنا رسول ﷺ بعد أن عبر الناس على الصراط ورأينا كيف أن العابرين على الصراط كانوا أفواجا ثلاثة فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم ورأينا الكلايب التي كشوك السعدان والخطاطيف التي المقروبه على الجسر أو على الصراط وهو مضروب فوق جهنم والعياذ بالله رب العالمين والنار تفر من تحت الصراط نسأل الله أن يعيذنا وإياكم ويجيرنا وإياكم من عذاب جهنم وأن يزحزحنا وإياكم عن النار وأن يدخلنا وإياكم الجنة.

* فعلينا بالمحافظة على طاعة الله عز وجل والبعد عن معصيته اللهم اجعلنا من الناجين يارب العالمين. القناطر السبع قنطرة التوحيد قنطرة الصلاة قنطرة الصيام قنطرة الحج قنطرة الزكاة قنطرة ظلم العباد فمن نجا فليحمد الله كما قال سيدنا عثمان رضي الله عنه.

فإن تنجو منها تنجو من ذي عزيمة وإلا فإنني لا أخالك ناجيا.

* وكان الحسن البصري رحمه الله يمشى في الطريق فوجد شابا يضحكون فقال لهم: يا أولادى هل بلغكم أنكم واردون على النار وإن منكم إلا واردها والوارد هو الذى يمر على الصراط المؤمن وغير المؤمن أو المؤمن القوى الإيمان والمؤمن ضعيف الإيمان والمسلم والمتمسلم كله يمر فوق الصراط هل بلغكم أنكم واردون على النار قالوا بلغنا وهل بلغكم أنكم قد صبرتم ونجوت منها قالوا لا قال فلم الضحك إذن.

* ويقول سلمان الفارسي رضي الله عنه ثلاثة أعجبتني حتى أضحكتني مؤمن في الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس مغفولا عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط عليه ربه أم راضٍ.

حوض النبي ﷺ الكوثر

قال تعالى: ﴿إِنَّا آَعَطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ [سورة الكوثر].



والكوثر في اللغة هو الخير الكثير عليه أكواب وأباريق من الجنة اللهم اجعلنا من المنعمين في الجنة بدون سابقة عذاب يارب العالمين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «بيننا أنا أسير في الجنة، إذ عرض لي نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، قلت: يا جبريل ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاكه الله، ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكاً، ثم رفعت لي سدره المتتهى، فرأيت عندها نوراً عظيماً»^(١).

وقال ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يحرى فيه الماء، فإذا مسك أذفر، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر أعطانيه الله في الجنة، ثراه مسك، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طائر أعناقها مثل أعناق الجوز، أكلها أنعم منها»^(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجرأه على الدر والياقوت، ثرته أطيب ريحاً من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأشدُّ بياضاً من الثلج»^(٤).

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خوضي كما بين صنعاء والمدينة فيه الآنية مثل الكواكب»^(٥).

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «خوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبداً»^(٦).

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/ ١٩٠٠، رقم ٤٦٨٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥/ ٢٤٠٦، رقم ٦٢١٠).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٢/ ٥٨٥، رقم ٣٩٧٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٦١٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٦٧، رقم ٥٣٥٥)، وهناد (١/ ١٠٨، رقم ١٣١)، والترمذي (٥/ ٤٤٩، رقم ٣٣٦١) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٦١٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥/ ٢٤٠٨، رقم ٦٢١٩)، ومسلم (٤/ ١٧٩٧، رقم ٢٢٩٨).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥/ ٢٤٠٥، رقم ٦٢٠٨)، ومسلم (٤/ ١٧٩٣، رقم ٢٢٩٢).

وقال ﷺ: «حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَانَ الْبَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ رُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ؛ الشُّعْتُ رُؤُوسًا، الدُّنْسُ ثِيَابًا، الَّذِينَ لَا يَنْكَحُونَ الْمُتَنَعِمَاتِ، وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدُودُ»^(١).

وقال ﷺ: «إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ إِيَّاهُمْ أَكْثَرَ وَارِدَةٍ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»^(٢).

الَّذِي يَحْدُثُ فِي الدِّينِ لَا يَشْرَبُ مِنَ يَدِي النَّبِيِّ ﷺ

وها هم أناس يأتون يوم القيامة ويذهبون إلى حوض النبي ﷺ ليشربوا من يد النبي ﷺ شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها أبدًا... وإذا بالملائكة تدفعهم وتطردهم بعيدًا عن الحوض فلا يشربون منه شربة واحدة.

عن أسماء بنت أبي بكر ؓ قالت: قال النبي ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ، حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَى مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! مَنْ أَمَنِي وَمَنْ أَمَتِي. فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدِكَ؟ وَاللَّهِ! مَا بَرَحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»^(٣).

وقال ﷺ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةُ سُورَةِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَإِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (٢) إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَنْبَرُ (٣) ﴿أَنْدَرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِي رَبِّي، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضِي تَرُدُّ عَلَيْهِ أَمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آتِيَتْهُ كَعْدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أَمَتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بِعَدِكَ﴾»^(٤).

وعن سهل بن سعد ؓ قال: قال ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ بِي شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلِيرَدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي

(١) صحيح: رواه الترمذی (٤/٦٢٩، رقم ٢٤٤٤) وقال: غريب. والحاكم (٤/٢٠٤، رقم ٧٣٧٤) وقال:

صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣١٦٢) من حديث ثوبان ؓ.

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٤/٦٢٨، رقم ٢٤٤٣)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاری (٥/٢٤٠٩، رقم ٦٢٢٠)، ومسلم (٤/١٧٩٤، رقم ٢٢٩٣).

(٤) صحيح: رواه النسائي (٢/١٣٣، رقم ٩٠٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٤٩٨).

وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سَحَقًا سَحَقًا لمن بدلَ بعدى^(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تردُّ على أمتي الحوض، وأنا أذودُ الناس عنه، كما يذودُ الرجلُ إبلَ الرجل عن إبله، قالوا: يا نبيَّ الله تعرفنا؟ قال: نعم، لكم سيا ليست لأحد غيركم، تردون على غُرٍّ من آثار الوضوء، وليُصدنَّ عني طائفةٌ منكم، فلا يصلون، فأقول: يا ربِّ هؤلاء من أصحابي! فيجيبني ملكٌ فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يردُّ على يوم القيامة رهطٌ من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول أي رب أصحابي فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري»^(٣).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا قائم على الحوض، إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، فقلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة أخرى، حتى عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم: هلم، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل ممل النعم»^(٤).

قال القرطبي: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدَّهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون. وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيف والأهواء

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٠٦/٥)، رقم (٦٢١٢)، ومسلم (١٧٩٣/٤)، رقم (٢٢٩٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٧/١)، رقم (٢٤٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٤٠٧/٥)، رقم (٦٢١٣).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٤٠٧/٥)، رقم (٦٢١٥).

والبدع.

* ثم البعد قد يكون في حال، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد، وعلى هذا يكون نور الوضوء يُعرفون به، ثم يقال لهم: سحقاً، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يُظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقال لهم: سحقاً سحقاً، ولا يخلد في النار إلا كل جاحد مبطل، ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. فاللهم ارزقنا شربة هنيئة مريئة من حوض النبي ﷺ لا نظماً بعدها أبداً.



درکات النار

وصف النار

يجب أن يرتجف قلب العبد من النار لأننا لسنا أشرف ولا أزكى من رسول الله ﷺ فقد كان إذا ذكرت النار يهتز قلبه وكان صدره له أزيز كأزيز المرجل هو وأصحابه الكرام رضي الله عنهم وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه تحت عينيه خطان من البكاء خوفاً من الله عز وجل.

والحسن البصري كان عندما تُقرأ هذه الآية أمامه ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يُفَاوُوا بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ﴾ [الكهف: ٢٩] يغشى عليه وكان عمر بن عبد العزيز كذلك، إذا مر بآية من آيات النار شعر أن لفح جهنم في أذنيه ووجهه، فكان يقوم الليل هكذا كان تعاملهم مع كتاب الله عز وجل، وعند ذكر الجنة كانت قلوبهم تطرب لأن القلوب كانت تقية.

من عمل صالحاً دخل الجنة ومن عمل عمل غير صالح دخل النار إن كنت مؤمناً كان مكانك الجنة وإن كان غير ذلك فالمكان والعياذ بالله شر مكان للكافر والفاجر والظالم والمفترى والزنديق والمرتب والمرايبي كل هؤلاء والذي لا ياتمر بأمر الله ولا ينتهي عند نبيه فكما تزرع تحصد كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] فلا يستوى هذا وهذا كما قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

من خاف أدلج ومن أدلج فقد بلغ المنزل إلا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة إلا دلاج هو السفر.

إن قوماً غرتهم الآمانى يقولون نحسن بالله الظن والله لو أحسنوا الظن لأحسنوا

العمل.

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١١) [البقرة: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اقْرَأُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾

[المعارج: ٢٧، ٢٨].

وقال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥].

وقال ﷺ: «اجعلوا بينكم وبين النار حجابًا ولو بشق تمره»^(١).

وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»^(٢).

تالله لو عرف المؤمن ما في النار من عذابٍ ونكالٍ لم يهنا بعيشٍ ولم يغفل عن طاعة الله لحظة واحدة ولم يتجرأ على معصيته حتى يلقاه.

وكان بعض الصالحين يخرج في بعض الليالي وينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالها، وعجبت من النار كيف نام هاربها، ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٌ وَهُمْ قَائِمُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف: ٩٧].

ويقول آخر: لو وليت من أمر الناس شيئًا اتخذت منارًا على الطريق وأقمت عليها رجالًا ينادون في الناس: النار النار.

التخويف من النار

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمُبِينُ

﴿١٧﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ يَجِبَادُ قَائِمُونَ ﴿١٨﴾﴾

[الزمر: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿١٨﴾﴾ [القمر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾﴾

[الأحزاب: ٦٦].

(١) حسن: رواه الطبراني (٣٠٣/١٨، رقم ٧٧٧)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٩٧) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٤١/٥، رقم ٥٦٧٧)، ومسلم (٧٠٤/٢، رقم ١٠١٦) من حديث عدى ابن حاتم رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ ۝٣١ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝٣٢ وَآيِلٌ إِذْ أَذْبَرَ ۝٣٣ وَالصَّيْحُ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤﴾
 إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِلْبَشْرِ ۝٣٦ لِمَنْ شَاءَ يَنْكُرُ أَنْ يَفْقَدَ أَوْ يَنْتَفِرَ ۝٣٧﴾ [المدر: ٣١-٣٧].
 قال الحسن في قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشْرِ ۝٣٦﴾ قال: والله ما أنذر العباد بشيء قط أدهى منها.

وقال ﷺ: «إنما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارًا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها»^(١)، وفي رواية لمسلم «مثلى كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى فى النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها» قال: «فذلكم مثلى ومثلکم أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبونى وتقتحمون فيها»^(٢).
 وقال إبراهيم التيمى: ينبغى لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار. لأن أهل الجنة قالوا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤] وينبغى لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٣٨﴾ [الطور: ٢٦].

النبي ﷺ يستعيذ بالله من عذابها

وها هو الحبيب ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستعيذ بالله من عذاب جهنم... بل لقد كان يأمر أصحابه رضي الله عنهم أن يستعيذوا بالله من عذاب النار - بعد التشهد -.

فقد كان ﷺ يقول: «إذا فرغ أحدكم من التشهد [الآخر] فليستعذ بالله من أربع [يقول: اللهم إني أعوذ بك] من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر [فتنة] المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٨٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه النسائى (١٣١٠) كتاب السهو، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٢) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار...»^(١).

وكان ﷺ يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل ورب إسرافيل أعوذ بك من حرّ النار ومن عذاب القبر»^(٢).

وقال أنس: كان أكثر دعاء النبي ﷺ «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»^(٣).

وعن جابر أن النبي ﷺ قال لرجل «كيف تقول في الصلاة» قال: أتشهد، ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: «حوها ندندن»^(٤).

وأنذر عشيرتك الأقربين:

ولما نزلت تلك الآية الكريمة قام النبي ﷺ ينذر قومه وعشيرته وابنته فاطمة (عليها السلام) من نار جهنم.

عن أبي هريرة، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥) [الشعراء: ٢١٤]. دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمّ وخصّ، فقال: «يا بني كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار، فإنني لا أملك لكم من الله شيئاً»^(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٦٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٥٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه النسائي (٥٥١٩) كتاب الاستعاذة، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٣٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٣٨٩) كتاب الدعوات من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٧٩٢) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني في صحيح أبي داود.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٥٣) كتاب الوصايا، ومسلم (٢٠٤) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أولو الألباب يستعيزون بالله من النار:

إننا نؤمن جميعاً باليوم الآخر وبكل ما فيه من النعيم والعذاب لأننا نؤمن بالغيب الذي أخبر عنه ربنا (جل وعلا) وأخبر عنه نبينا ﷺ.

قال ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

ولذلك قال تعالى عن المؤمنين أصحاب القلوب النقية والعقول السوية: ﴿يَرْكَبُوا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلِفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَا يَتَنَبَّأُونَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ أَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ قَوْمًا عَذَابُ النَّارِ ۚ﴾^(٢) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٣﴾

[آل عمران: ١٩٠-١٩٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر وفيه «إن الله عز وجل يسألهم وهو أعلم بهم، فيقول: مم يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها، قالوا: لا والله ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد منها مخافة، قال: فيقول: إني أشهدكم أني قد غفرت لهم»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة؛ ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»^(٣).

خوف السلف من عذاب النار:

وها هي باقة عطرة من أحوال سلفنا الصالح وخوفهم من عذاب النار:

(١) صحيح: رواه ابن حبان (٣٩٧/١)، رقم (١٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٧/١)، رقم (٢٧٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٣٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٧٢) كتاب صفة الجنة، والنسائي (٥٥٢١) كتاب الاستعاذة، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٢٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

عن وهب بن منبه، قال: ما عبد الله بمثل الخوف.
وقال أبو سليمان الداراني: أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل، وكل قلب ليس فيه خوف الله فهو قلب خرب.
وقال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحًا، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل.

وسئل ابن المبارك عن رجلين أحدهما خائف والآخر قتيل في سبيل الله عز وجل، قال: أحبهما إلى أخوفهما.

وقال عمر: لو نادى مناد من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلًا واحدًا لخفت أن أكون أنا هو.... خرجه أبو نعيم.

وخرج الإمام أحمد من طريق عبد الله بن الرومي قال: بلغني أن عثمان رضي الله عنه، قال: لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وكان من السلف من إذا رأى النار اضطرب وتغيرت حاله،.... وقد قال تعالى:
﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].... قال مجاهد وغيره: يعنى أن نار الدنيا تذكّر بنار الآخرة.

وعن عطاء الخراساني قال: كان أويس القرني يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير، ويسمع صوت النار فيصرخ ثم يسقط.

وقال الحسن: كان عمر رضي الله عنه ربما توقد له النار ثم يدنى يديه منها، ثم يقول: يا بن الخطاب هل لك على هذا صبر.

ولما أهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله بيتًا مطيبًا، فقام يصلي حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله، فقال له إنك أدخلتني بالأمس بيتًا أذكرتني به النار ثم أدخلتني بيتًا أذكرتني به الجنة فما زالت فكرتني فيهما حتى أصبحت.

وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه وقيل له: لو كانت النار خلقت لك ما زدت على هذا فقال وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن والإنس أما



تقرأ ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَيْنِ﴾ [الرحمن: ٣١] أما تقرأ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابُ مَاءٍ
وَحُثَّاسٌ فَلَا تَنْفِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥] فقرأ حتى بلغ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرِ آدَمَ﴾ [الرحمن: ٤٤] وجعل يجول في الدار ويصرخ ويبكى حتى غشى عليه.

وروى من غير وجه أن علي بن فضيل مات من سماع قراءة هذه الآية ﴿وَلَوْ تَرَكَ بِهِ
وَفُتُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيِّنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] .

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يتهجّد في الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ
قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ [الطور: ٧، ٨] قال عمر: قد
حق ورب الكعبة، ثم رجع إلى منزله فمرض شهراً يعودُه الناس لا يدرون ما مرضه.
وعن أبي مهدي قال: ما كان سفيان الثوري ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزع
مرعوباً ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول
على أثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم، وما أطلب إلا فكاك رقتي من
النار.

وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وكان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح بالليل فيضع إصبعه فيه ثم يقول:
(حسن حسن)، ثم يقول: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك على
ما صنعت يوم كذا.

وقال مالك بن دينار: قالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبت مالك لا تنام والناس
ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباك ينام.

وقال الحسن: إن لله عبداً كمن رأى أهل الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار
معذبين. وقال أيضاً: والله ما صدق عبدٌ بالنار قط إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت،
وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم عليها.

وعن إبراهيم بن محمد البصري قال نظر عمر بن عبد العزيز إلى رجل عنده متغير

اللون، فقال له: ما الذى أرى بك، قال: أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين، إن شاء الله، فأعاد عليه عمر، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات، فقال: إذا أبيت إلا أن أخبرك، فإني دقت حلاوة الدنيا فصغر في عيني زهرتها وملاعبها، واستوى عندي حجارتها وذهبها، ورأيت كأن الناس يُساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار، فأسهرت لذلك ليلي وأظلمات له نهاري، وكل ذلك صغير حقير في جنب عفو الله وثواب الله عز وجل وجنب عقابه.

وبالجملة فالخوف من عذاب جهنم لا ينجو منه أحد من الخلق، وقد توعد الله سبحانه خاصة خلقه على المعصية، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال في حق الملائكة المكرمين: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلْيَاكُفِّرْ بِهِ وَنَسْفَعُ بِهِ الْجَهَنَّمَ كَذَلِكَ يَجْزَى الْفَاطِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ:

قال ﷺ: «احتجَّتِ الجنةُ والنَّارُ، فقالت الجنةُ: يدخلني الضعفاءُ والمساكينُ، وقالت النَّارُ: يدخلني الجبارونَ والمتكبرونَ، فقالَ اللهُ للنَّارِ: أنتِ عذابي، أنتُمُ بكِ ممن شئتُ، وقالَ للجنةِ: أنتِ رحمتي، أرحمُ بكِ من شئتُ، ولكلُّ واحدةٍ منكما ملؤها»^(١).

وقال ﷺ: «تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فقالت النَّارُ: أوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، والمتجبرينَ، وقالتِ الجنةُ: فما لى لا يدخلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وسقطُهم وعجزُهم؟ فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ للجنةِ: إنما أنتِ رحمتي، أرحمُ بكِ من أشاءُ من عبادي، وقالَ للنَّارِ: إنما أنتِ عذابي أعذبُ بكِ من أشاءُ من عبادي، ولكلُّ واحدةٍ منكما ملؤها، فأما النَّارُ، فلا تمتلئُ حتى يضعَ اللهُ قدمه عليها فتقولُ: قَطِّ قَطِّ، فهناك تمتلئُ، وينزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم اللهُ من خلقه أحداً، وأما الجنةُ فإنَّ اللهَ يُنْشِئُ لها خَلْقًا»^(٢).

إنما الأعمال بخواتيمها:

قال ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَظْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ذلك، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقَى أَوْ سَعِيدٌ؛ ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ»^(١).

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَخْتِمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يَخْتِمُ [لَهُ] عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).
وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ الْجَنَّةِ فَيَمْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ النَّارِ فَيَمْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣).
زَادَ الْبُخَارِيُّ: «وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»^(٤).

أَهْلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ:

قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَبْضُ قَبْضَةٍ فَقَالَ: هَذِهِ إِلَى الْجَنَّةِ بِرَحْمَتِي وَقَبْضُ قَبْضَةٍ فَقَالَ: هَذِهِ إِلَى النَّارِ وَلَا أَبَالِي»^(٥).

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا وَلِهَذِهِ أَهْلًا»^(٦).
وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفِّهِ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»^(٧).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥١) كتاب القدر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٤٩٣) كتاب الرقاق من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه أبو يعلى (١٧٢/٦)، رقم (٣٤٥٣)، وقال العلامة الألباني في ظلال الجنة (٢٤٨) حديث صحيح وإسناده ثقات غير الحكم بن سنان فهو ضعيف لكن الحديث صحيح لأن له شواهد كثيرة.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٢) كتاب القدر من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٧) صحيح: رواه البزار كما في كشف الأستار (٢٠/٣)، رقم (٢١٤٠)، والطبراني (١٦٨/٢٢)، رقم (٤٣٤)، =

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ ۖ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ يَحِلْ ۖ ﴿٨﴾ وَاسْتَفْتَى ۖ ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ۖ ﴿١٠﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ ﴿١١﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۖ ﴿١٢﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۖ ﴿١٣﴾ وَاسْتَفْتَى ۖ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ٥-١٢].

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ ﴿٥﴾﴾ أى: أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله فى أموره ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ ۖ ﴿٦﴾﴾ أى بالمجازاة على ذلك، قاله قتادة. وعن أبى بن كعب قال: سألت رسول الله عن الحسنى، قال: الحسنى: الجنة.

وقوله تعالى: ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ ﴿٧﴾﴾ قال ابن عباس: يعنى للخير وقال زيد بن أسلم: يعنى للجنة وقال بعض السلف: من ثواب الحسنه، الحسنه بعدها ومن جزاء السيئه، السيئه بعدها. ولهذا قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ يَحِلْ ۖ ﴿٨﴾﴾ أى بما عنده ﴿وَاسْتَفْتَى ۖ ﴿٩﴾﴾ قال ابن عباس: أى بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ۖ ﴿١٠﴾﴾ أى: بالجزاء فى الدار الآخرة ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ ﴿١١﴾﴾ أى: لطريق الشر. كما قال تعالى ﴿وَقُلُوبُ آفِدَتِهِمْ وَأَنْصَرَتِهِمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰئِكَ مَرَّةً وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۖ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]. والآيات فى هذا المعنى كثيرة، دالة على أن الله عز وجل، يجازى من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر. والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة. روى البخارى بسنده عن على بن عيسى قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتّب مقعده من الجنة ومقعده من النار» فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خُلِقَ له» ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ ۖ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ ﴿٧﴾﴾ - إلى قوله - ﴿لِلْعُسْرَى ۖ ﴿١١﴾﴾.

أنا عند ظن عبدي بي:

قال ﷺ: «لا يموتن أحد منكم إلا وهو يُحسن الظن بالله»^(٢).

= قال الميهمى (١٨٧/٧): فيه بقية بن الوليد، وهو ضعيف ويحسن حديثه بكثرة الشواهد، وإسناد الطبرانى حسن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٠٢) من حديث هشام بن حكيم بن حزام رضى الله عنه.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٤٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٦٤٧) كتاب القدر من حديث على ابن أبى طالب رضى الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر رضى الله عنه.

فإذا حقق العبد التوحيد لله (جل وعلا) ولكنه كان مُقصرًا في طاعة الله أو كـ طائعًا لله ولكنه كان مصّرًا على بعض الذنوب والآثام فإن رجاءه في الله وحُسن ظنه به ينفعه حتى وإن دخل النار.

قال ﷺ: «يُخرج من النار أربعة، فيُعرضون على الله عز وجل، فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب إذ أخرجتني منها فلا تُعدني فيها، قال: فينجيه منها»^(١).

لا تأمن على نفسك من النار:

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ يَأْسُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»^(٢).

فلا تأمن على نفسك من النار أيها الأخ الحبيب فقد يدخل الإنسان تلك النار بكلمة يسيرة لا يُلقى لها بالًا. وقال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبَدًا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٣).

فالنار خلقها الله تعالى لعصاة الجن والإنس وبهما تمتلئ... قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَّهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وقال تعالى جاكبًا عن الجن الذين استمعوا القرآن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [١٤] وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الرحمن: ١٥، ١٤].. وقال تعالى: ﴿سَتَرْنَاهُ لَكُمْ أَنَّهُ أَتَقَالَانِ﴾ [٢١] فَإِنِّي إِلَهِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [٣٣].

[الرحمن: ٣١، ٣٢]

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٢) كتاب الإيمان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ: للبخاري.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٧٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٨٨) كتاب الزهد والرقائق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما سائر الخلق فأشرفهم الملائكة، وهم متوعدون على المعصية بالنار، وهم خائفون منها... قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَذِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

حُفَّت النار بالشهوات:

قال ﷺ: «حُجِبَت النار بالشهوات وحُجِبَت الجنة بالمكاره»^(١).

وقال ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات»^(٢).

وقال ﷺ: «لما خلق الله النار أرسل إليها جبريل قال له: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها. فأمر بها فحُفَّت بالشهوات، ثم قال له: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها ورجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»^(٣).

وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إن ملكين أتياه في المنام، فذكر رؤيا طويلة وفيها: قال: «فانطلقت فأتينا على رجل كره المرأة، كأكره ما أنت زاعم، فإذا هو عند نار يحشها ويسعى حولها، قال: قلت: ما هذا!! قال لى: انطلق انطلق...، وفي آخر الحديث «قالا: فأما الرجل الكره المرأة عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم»^(٤).

وقوله: «كره المرأة» أى المنظر، وقوله: «يحشها» أى يوقدها.

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٨٧) كتاب الرقاق من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أخرجه أحمد (٣٥٤ / ٢)، رقم (٨٦٣٣)، وهناد (١ / ١٧٠)، رقم (٢٤٢)، وأبو داود

(٤ / ٢٣٦)، رقم (٤٧٤٤)، والترمذى (٤ / ٦٩٣)، رقم (٢٥٦٠) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائى

(٧ / ٣)، رقم (٣٧٦٣)، والحاكم (١ / ٧٩)، رقم (٧٢)، والبيهقى في شعب الإيمان (١ / ٣٤٧)، رقم (٣٨٤)،

وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٥٢١٠) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

لها سبعة أبواب:

قال تعالى عن أبواب جهنم: ﴿وَلَنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢) ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (١١) ﴿[الحجر: ٤٣، ٤٤].

وقال ﷺ: «الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب»^(١).

الجنة درجات والنار دركات:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُتَنَفِّعِينَ فِي الذَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١١٥) ﴿[النساء: ١٤٥]... وقال بعضهم: الجنة درجات والنار دركات.

وقد تسمى النار درجات أيضًا كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢].

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. درجات الجنة تذهب علوًا ودرجات النار تذهب سفولاً.

وعن ابن جريج في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال: جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وفيها أبو جهل.

وعن أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِلنَّارِ﴾ قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة، فلا تترك لحمًا على عظم إلا وضعت على العراقيب.

وعن محمد بن كعب: زفروا في جهنم فزفرت النار، وشهقوا فشهقت النار بما استحلوا من محارم الله.

وروى مالك عن زيد بن أسلم في قوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَمْزَعْتَ أَمْ صَبَرْتَ مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (٢١) ﴿[إبراهيم: ٢١] قال زيد: صبروا مائة عام ثم بكوا مائة عام ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَمْزَعْتَ أَمْ صَبَرْتَ مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (٢١) ﴿.

وقال الربيع بن أنس: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر، وقال معمر عن قتادة: صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق. وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٧].

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد (٧/ ٤٣٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣١١٩) من حديث عتبة بن عبد الله.

إنها عليهم مؤصدة:

وأهل النار يعانون من الشدائد بعد الشدائد.... فأبواب جهنم تغلق على أهلها.
قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [البعد: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ (٨) في
عَمْدٍ مُّتَدَدَةٍ ﴿٩﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

بل إن سرادق جهنم يحيط بأهل النار... قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ
بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

ولما كان إحاطة السرادق بهم موجب لهمهم وغمهم وكرهم وعطشهم لشدة
وهج النار عليهم قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَسْتَفِيدُوا مِنْهَا بِمَاءٍ وَلَا يَشْرَبُونَ بِمِلْحٍ
الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ حَرِيْدٍ﴾ (١١) كُلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٢﴾ [الحج: ٢١، ٢٢].

عمق جهنم:

لقد ذكرنا قول النبي ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها في النار
سبعين خريفاً»^(١).

وعن أبي هريرة ربه قال: كنا عند النبي ﷺ يوماً فسمعنا وجبة، (أي: سقطة) فقال
النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر أرسل في جهنم
منذ سبعين خريفاً، فالآن انتهى إلى قعرها»^(٢).

وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن
مقامعها حديد.

وقال ﷺ: «إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهدى بها سبعين عاماً ما
تُفَضَّى إلى قعرها»^(٣).

وقال ﷺ: «لو أن حجراً مثل سبع خِلَافَاتِ أُلْقِيَ عن شفير جهنم هوى فيها سبعين

(١) صحيح: رواه الترمذی (٥٥٧/٤)، رقم (٢٣١٤)، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (١٦١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة ربه.

(٣) صحيح: رواه الترمذی (٢٥٧٥) كتاب صفة جهنم، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (١٦٦٢).

خريفًا لا يبلغ قعرها»^(١).

النار سوداء مظلمة:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِنْ فَطْرَانٍ وَتَنْفُسُهُمْ أَشْجَارٌ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

وعن الضحاك قال: جهنم سوداء وماؤها وشجرها أسود وأهلها سود وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].... وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾

[آل عمران: ١٠٦].

وعن أبي بن كعب قال: ضرب الله مثلاً للكافرين قال: ﴿أَوْ كَظُلُمْتِ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ [النور: ٤٠]، فهو يتقلب في خمس من الظلم: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات إلى النار.

شدة حرها:

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝٨١﴾

[التوبة: ٨١].

وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝١١﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٢﴾ [الليل: ١٤، ١٥].
وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢﴾ [المرسلات: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾

[الغاشية: ٢-٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية قال إنها فضلت عليها بتسعة وستين

(١) صحيح: أخرجه مناد (١/ ١٧٥، رقم ٢٥٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٢٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم»^(٢).

وعن عمرو بن عبسة عن النبي ﷺ قال: «صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع، فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل، فإن الصلاة مشهودة حتى يستقبل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإنه حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفءاء فصلّ»^(٤).

وَتُسْجَرُ عَلَى أَهْلِهَا بَعْدَ دُخُولِهِمْ إِلَيْهَا. قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِتْ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لِمَنْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧) [الإسراء: ٩٧]، قال ابن عباس: كلما أطفئت أوقدت.

وقال كعب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو فُتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٤٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٨٧٠٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٠٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٦١٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها من حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٧) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦١٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

أودية جهنم

[مریم: ۵۹]

سجن للمتكبرين في نار جهنم:

فلا ينبغي لعبد أن يتكبر أبدًا فمن فعل ذلك فقد حَقَّ عليه عذاب الله - عز وجل - .

قال ﷺ مصورًا هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة:

«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنبياء يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»^(٢).

فهؤلاء المتكبرون الذين يظنون أنهم خرقوا الأرض أو نافسوا الجبال طولاً، يُحشرون كالنمل هوائاً، يغشاهم الذلّ، ويساقون إلى سجن في النار، ويُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال جزاءً وفاقاً.

سلاسل وأغلال جهنم:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي عَايَتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصْرَفُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا مَتَّوْفٍ يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ إِذِ الْأَغْطَالُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ مُتْحَبُونَ ﴿٧٨﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [غافر: ٦٩-٧٢].

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٩٠) كتاب اللباس، وأحمد (٩٠٩٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٣١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حسن: رواه الترمذی (٢٤٩٢) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٦٦٣٩)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٠٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَلْنَا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْبَهُ بِإِثْمِهِ فَيَقُولُ بَلْتَنَنِي لَأَوْتُ كَيْبَهُ﴾ [١٥] ﴿وَلَوْ أَذْرَ مَا حِسَابُهُ﴾ [١٦] ﴿بَلْتَنَنَّا كَانَتْ الْقَابِضَةُ﴾ [١٧] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ [١٨] ﴿هَلَاكٌ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [١٩] ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [٢٠] ﴿فَرْمِمْهُ صُلُوهُ﴾ [٢١] ﴿فَرْمِ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [٢٢] [الحاقة: ٢٥-٣٢].

قال ابن عباس: السلسلة تدخل في إسته، ثم تخرج من فيه، (أى: من فمه) ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حتى يشوى.

وقال ابن المنكدر: لو جُمع حديد الدنيا كله ما خلا منها وما بقى ما عدل حلقة من الحلقات التي ذكر الله في كتابه تعالى، فقال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [٢٢].
طعام أهل النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ [١٣] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [١٤] ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [١٥] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ [١٦] [الدخان: ٤٣-٤٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَنْتَ الْكَذِبُونَ﴾ [١] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ [٢] ﴿فَالْيَوْمَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [٣] ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ مِنْ الْحَمِيمِ﴾ [٤] ﴿فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَيْمِ﴾ [٥] ﴿هَذَا تَرْفَعُهُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [٦] ﴿فَخَنَ خَلَقْتَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٧].

ثم وصفها تعالى فقال: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزَّلَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [١٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [١٨] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [١٩] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [٢٠] ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا﴾ [٢١] ﴿فَالْيَوْمَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [٢٢] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَاكِنَ حَمِيمٍ﴾ [٢٣] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِأَى الْجَحِيمِ﴾ [٢٤].

[الصافات: ٦٢-٦٨].

وقد دل القرآن على أنهم يأكلون منها حتى تمتلئ بطونهم فتغلى في بطونهم، كما يغلى الحميم، وهو الماء الذي قد انتهى حره، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم.

قال ابن عباس رحمه الله: الهيم: الإبل العطاش. وقال السدي: هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا وَلَا أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].



وقال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟»^(١).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ ﴿٦﴾ [الغاشية: ٦].

قال ابن عباس عن الضريع: إنه شجر في جهنم.

وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ مِنْهَا حَمِيمٌ﴾ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ ﴿٣٦﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦].

قال ابن عباس عن الغسيل: إنه صديد أهل النار.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٣﴾

[المزمل: ١٢، ١٣].

روى الإمام أحمد بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾.

قال: شوك يأخذ بالحلقي لا يدخل ولا يخرج.

وكان كثير من الخائفين من السلف ينغص عليهم ذكر طعام أهل النار وشرابهم طعام الدنيا وشرابها حتى يمتنعوا من تناوله أحياناً لذلك، فكان الإمام أحمد يقول: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فلا أشتهيه.

روى شعبة عن سعد بن إبراهيم، قال: أتى عبد الرحمن بعشائه وهو صائم فقراً:

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٣﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]، فلم يزل

يبكي حتى رفع طعامه وما تعشى، وإنه لصائم.

شراب أهل النار

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ

يَشْوِي آلُوجُوهَ يَنْسَكِ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٢٩﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ جَهَنَّمَ يُشَقِّقُ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ ﴿١١﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ

يُسِفَعُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَحْتَرٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ﴿١٧﴾

[إبراهيم: ١٦، ١٧].

(١) صحيح رواه الترمذی (٢٥٨٥) كتاب صفة جهنم، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع

(٥٢٥٠) من حديث ابن عباس رضی اللہ عنہما.

وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وقال تعالى: ﴿هَذَا قَلِيدٌ وَقُوْهُ حَمِيْمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٨، ٥٧].

فهذه أربعة أنواع ذكرناها من شرابهم، وقد ذكرها الله في كتابه:
النوع الأول: الحميم:

قال شبيب بن عكرمة عن ابن عباس: حميم آن: الذي قد انتهى غليه.
النوع الثاني: الغساق:

قال ابن عباس: الغساق: ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه، وعنه قال: الغساق:
الزمهرير البارد الذي يحرق من برده.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: الغساق: القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهرق في
المغرب لانتنت أهل المشرق، ولو أهرقت في المشرق لانتنت أهل المغرب.
النوع الثالث: الصديد:

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَ مِنْ مَّاءٍ مَكِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦]، قال: يعنى
القيح والدم.

وعن جابر عن النبي ﷺ قال: «إن على الله عهداً لمن شرب المسكرات ليسقيه من
طينة الخبال، قالوا: يا رسول الله؛ وما طينة الخبال؟ قال: هرق أهل النار، أو عصارة أهل
النار»^(١).

النوع الرابع: الماء الذي كالمهل:

قال مجاهد: بماء كالمهل: مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

وعن عبد الله بن عمر أنه شرب ماء بارداً، فبكى واشتد بكاءؤه، فقيل: ما يبكيك؟
فقال: ذكرت آية من كتاب الله.... قوله تعالى: ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبا: ٥٤]،
فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً، شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله تعالى:
﴿أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].
ملابس أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [سرايهم من فطران]

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٠٢) كتاب الأشربة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وَنَفْسٌ وَجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ [إسراء: ٤٩، ٥٠] فقلوه: ﴿سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ﴾ أى قمصانهم من قطران تطلّى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسراويل، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته ووحشة لونه، والقطران قيل فيه م يطلّى به الجمل الأجرّب.

وعن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»^(١).

قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]، وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول: سبحان من خلق من النار ثيابا.

وعن ابن عباس رضيه الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذابا أبو طالب، يتعل بنعلين يغلى منهما دماغه»^(٢).

وفى «صحيح البخارى»، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففى النار»^(٣)، أن المراد ما تحت الكعب من البدن والثوب معاً، وأنه يسحب ثوبه فى النار، كما يسحبه فى الدنيا خيلاء.

أُسْرَةُ أَهْلِ النَّارِ:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾

[الأعراف: ٤١].

أى: لهم فراش من النار من تحتهم «ومن فوقهم غواش» أى ومن فوقهم أغطية من النار «وكذلك نجزي الظالمين» أى ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي كل من ظلم وتعدّى حدود الله (عز وجل).

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ قَوْفٍ مِّنْ لُّلٍّ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ مَحْشَرٍ مِّنَ النَّارِ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يُعَادُوا فَأَتَوْهُ﴾ [الزمر: ١٦].

أى: تغشاهم نار جهنم من فوقهم ومن تحتهم، وتحيط بهم من جميع جوانبهم،

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٣٤) كتاب الجنائز من حديث أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢) كتاب الإيمان من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٧٨٧) كتاب اللباس من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ومعنى الظلل أطباق من نار جهنم، وتسميتها ظللاً تهكم بهم، لأنها محرقة والظلة تقي من الحر.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ

فيا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۝٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك. فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيح شفعتها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، سمعوا لها زفيراً وجر جرة تُقصع عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوّف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظامهم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩].

فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شراهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تجمّعهم والهاوية تجمعهم، أمانهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكتافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد. يا مالك قد أثقلنا الحديد. يا مالك قد نضجت منا الجلود. يا مالك أخرجنا منها فإننا لا نعود. فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم

منها لکنتم إلى ما نُهَيْتُمْ عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكون على وجوههم مغلولين..... طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرايل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضايقتها ويتحطمون في دركاتهما ويضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل. ومهما دعوا بالشبور صُبَّ من فوق رؤوسهم الحميم يُصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمتع من الأطراف شعورها بل جلودها. كلما نضجت جلودهم بُدِّلوا جلودًا غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق. وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون قد أعميت أبصارهم وأبکمت ألسنتهم. وقصمت ظهورهم، وكسرت عظامهم، وجذعت آذانهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها، ومن خائض فيها إلى حدٍ محدود، فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان، بل لكل واحد حدّ معلوم على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه.

قال رسول الله ﷺ: «أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يوضع في أخص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه»^(١) فانظر الآن إلى من خُفِّفَ عليه واعتبر بمن شُدِّدَ عليه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٦٢) كتاب الرقاق، ومسلم (٢١٣) كتاب الإيمان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به. ثم اعلم أنك أخطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم، ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا هو عذاب النار عُرف عذاب جهنم بها وهيئات! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربًا مما هم فيه.

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة، وتفصيل عمومها وأجزائها ومحنها وحسرتها لا نهاية له، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فَوْت نعيم الجنة وفَوْت لقاء الله تعالى وفَوْت رضاه، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهواتٍ حقيرة في الدنيا أيامًا قصيرة وكانت غير صافية، بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أيامًا قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان؟ فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم من الخير ما فاتهم وبُتلوا بما بُلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها، ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم.

وقال أحمد بن حنبل: إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار.... وقال عيسى عليه السلام: كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح..... وقال داود: إلهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك؟ ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك؟

فانظر يا مسكين في هذه الأحوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وإن هذا أمر قد قُضى وفرغ منه الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

فإن قلت: فليت شعري ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء في حقى؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك، فإن كلاً ميسر لما خُلق له، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا

تقصد شرًّا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين.
صفات أهل النار:

لقد ذكر الله (جل وعلا) بعض صفات أهل النار.... وكذلك ذكر النبي ﷺ بعض صفاتهم فإليكم بعض هذه الصفات التي نسأل الله (عز وجل) ألا يجعل لنا فيها حظًّا ولا نصيبًا.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝﴾ في جَنَّتِ بِسَآءٍ لَّوْنَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۝ قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُتَصِّلِينَ ۝ وَلَوْ نَكُنَّ نَفْلِمُ الْيَسْتَكِينِ ۝ وَكُنَّا نَحْمُوشُ مَعَ الْخَاطِبِينَ ۝ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝﴾ [المدثر: ٣٨-٤٧].

وعن حارثة بن وهب، عن النبي ﷺ، قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عُتِلٍ جَوَاطٍ مستكبر»^(١). وقال ﷺ: «حُفَّتِ الجنة بالمكاره، وحُفَّتِ النار بالشهوات»^(٢).

فتبين بهذا أن صحة الجسد وقوته وكثرة المال والتنعيم بشهوات الدنيا والتكبر والتعاضم على الخلق، وهى صفات أهل النار التى ذكرت فى حديث حارثة بن وهب هى جماع الطغيان والبغى كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا ۝ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى ۝﴾ [العلق: ٦، ٧] والطغيان وإيثار الحياة وشهواتها من موجبات النار، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

وأما الضعف فى البدن والاستضعاف فى الدنيا من قلة المال والسلطان مع الإيمان فهو جماع كل خير، ولهذا يقال: من العصمة أن لا تجد،... فهذه صفة أهل الجنة التى ذكرت فى حديث حارثة.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩١٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٥٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أهل النار خمسة

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في خطبته: «.....وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبنون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» وذكر البخل والكذب والشنظير الفاحش^(١).

وأما أهل النار فقد قسمهم النبي ﷺ في هذا الحديث خمسة أصناف:

الصف الأول: الضعيف الذي لا زبر له، ويعنى بالزبر: القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل الصالح. وهذا القسم شر أقسام الناس ونفوسهم ساقطة لأنهم ليس لهم هم في طلب الدنيا، ولا الآخرة، وإنما همّة أحدهم شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له، وهو تبع للناس، خادم لهم أو طواف عليهم سائل لهم.

الصف الثاني: الخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته، أى يعنى لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بادر إليها واغتمها.

قال بعض السلف: كنا نتحدث أن صاحب النار من لا تمنعه خشية الله من شىء خفى له.

الصف الثالث: المخادع الذي دأبه صباحاً ومساءً مخادعة الناس على أهليهم، وأمورهم، والخداع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك، والخداع معناه إظهار الخير وإضمار الشر بقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك، وهو من جملة المكر والحيل المحرمة.

الصف الرابع: الكذب والبخل. والكذب والبخل كلاهما ينشأ عن الشح... فالشحيح أخذ المال بغير حقه، والبخيل منعه من حقه، وكذلك روى تفسير الشح والبخل عن ابن مسعود وطاوس وغيرهما من السلف،.....

وينشأ من الشح أيضاً الكذب والمخادعة والتحايل على ما لا يستحقه الإنسان

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

بالطرق الباطلة المحرمة... وقال النبي ﷺ قال: «إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار»^(١).

الصنف الخامس: الشنظير وقد فُسر بالسوء الخلق، والفحاش هو الفاحش المتفحش، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فُحشه»^(٢).

بل لقد ذكر النبي ﷺ أصنافاً من أهل النار غير هؤلاء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة؛ لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»^(٣).

أكثر أهل النار

أهل النار الذين هم أهلها على الحقيقة هم الذين يخلدون فيها، ولهم أعدت، كما قال تعالى: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار من ذريتك، قال: يارب وما بعث النار، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون...»^(٤).

فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار، وتدل أيضاً على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٥٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٩١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٢) كتاب الإيمان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة، وكثير منهم أيضًا فُتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار - وإن لم يقتض ذلك الخلود فيها - فلم ينج من الوعيد بالنار، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة إلا فرقة واحدة، وهو ما كان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. ظاهرًا وباطنًا وسلم من فتنة الشهوات والشبهات، وهؤلاء قليل جدًا لا سيما في الأزمان المتأخرة.

فأما عصاة الموحدين فأكثر من يدخل النار منهم النساء.

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»^(١).

أصحاب النار وأصحاب الجنة

عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره. وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي - قال فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر»^(٢).

* إن كثيرًا من الناس يتوهمون أن هذه الأحاديث - ونحوها أحاديث كثيرة - تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله الاختيارية ما دام أنه حُكم عليه منذ القديم وقبل أن يُخلق بالجنة أو بالنار وقد يتوهم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ فمن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة، ومن كان في القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة فيجب أن يعلم هؤلاء جميعًا أن الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لا في ذاته ولا في صفاته فإذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته فهو تعالى قبض باليمنى على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته وقبض بالأخرى على من سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى والعكس بالعكس كيف والله عز وجل

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والامتناع عن ذنوبه من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٧٢٠٧)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٨).

يقول: ﴿فَتَجْعَلُ اللَّيْلِينَ كَالْأَيَّامِ ۚ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

ثم إن كلاً من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابها أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار، بل هو حكم من الله تبارك وتعالى عليهم بما سيصدر منهم من إيمان يستلزم الجنة أو كفر يقتضى النار والعياذ بالله تعالى منها وكل من الإيمان أو الكفر أمران اختياريان لا يُكره الله تبارك وتعالى أحداً من خلقه على واحد منهما ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]. وهذا مشاهد معلوم بالضرورة ولولا ذلك لكان الثواب والعقاب عبثاً والله منزّه عن ذلك.

الحُمى.. حظ المؤمن من نار جهنم:

إن العبد إذا كان يعيش على طاعة الله (عز وجل) وأصيب بالحمى فإن الله يجعلها - برحمته - نصيبه من نار الآخرة.

قال ﷺ: «أبشر فإن الله تعالى يقول: هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار يوم القيامة»^(١).

هذا نزلهم يوم الدين:

قال أبو عمران الجونى: بلغنا أن أهل النار يُبعثون عطاشاً ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشاً، ثم قرأ: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ (٨١) [مریم: ٨٦].... قال مجاهد فى تفسير هذه الآية. متقطعة أعناقهم عطشاً.

قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا النَّاسُ الْكَافِرُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالِقُوتٍ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا مِنْهُ مِن لَّدُنْهُمْ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شُرْبَ الْمَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦]، والنزل هو ما يُعد للضيف عند قدومه.

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠، رقم ٩٦٧٤)، وهناد (١/ ٢٣٣، رقم ٣٩١)، وابن ماجه (٢/ ١١٤٩، رقم ٣٤٧٠)، قال البوصيرى (٤/ ٦١): هذا إسناد صحيح رجاله موثقون، وابن السنى (ص ٢٠٢، رقم ٥٤٦) والحاكم (١/ ٤٩٦، رقم ١٢٧٧) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

وقال أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً، ثم انصرف بهم إلى النار فيُسقون من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها. وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل: «إنه يقال لليهود والنصارى: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار»^(١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: «لواحة للبشر» قال: تتلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة فلا تترك لحماً على عظم إلا وضعت على العراقيب.

النار يوم القيامة تسمع وتبصر وتكلم!!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين»^(٢).

قال تعالى: ﴿لَنْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾^(١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا^(١٢) [الفرقان: ١١، ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾^(٦) إِذَا الْقَوَا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ^(٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُوهَا خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ^(٨)

[الملك: ٦-٨]

عن ابن عباس قال: إن العبد ليُجر إلى النار فتشهوq إليه شهقة البغلة إلى الشفير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف..... خرجه ابن أبي حاتم.
وعن الضحاك قال: إن لجهنم زفرة يوم القيامة لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا خرَّ ساجداً يقول: رب نفسي نفسي.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٥٨١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٨٢٢٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٠٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عينان لا تمسهما النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار أبداً.... عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»^(٢).

بل إنه من السبعة الذين يُظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(٣).

بكاء أهل النار:

قال ﷺ: «يُرسل البكاء على أهل النار فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت»^(٤).

فداؤك من النار:

قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلاً من الكفار فيقال له: هذا فداؤك من النار»^(٥).

وقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

ما منكم من أحدٍ إلا له منزلان: منزلٌ في الجنة، ومنزلٌ في النار، فإذا مات فدخل النار، ورث أهل الجنة منزله، فذلك قول: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾.

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خلّقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به مما

(١) صحيح: رواه الترمذی (١٦٣٣) كتاب فضائل الجهاد، والنسائي (٣١٠٨) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٧٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح لغيره: رواه الترمذی (١٦٣٩) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٢٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٤٣٢٤) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٠٨٣).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٩٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه.

خُلقوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل. وأبلغ من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «يحيى ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى»^(١).
أهون أهل النار عذاباً:

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلى منها دماغه كما يغلى المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو متعل بنعلين يغلى منها دماغه»^(٣).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جرة يغلى منها دماغه»^(٤).
يتمنى الكافر أن يفدى نفسه (من العذاب) بأهل الأرض جميعاً.
يا له من مشهد يخلع القلوب ويُفتت الجبال.

إنه مشهد رجل كافر يأتي يوم القيامة فيتمنى أن يفدى نفسه من عذاب النار بأولاده وزوجته وأخيه وعشيرته بل بأهل الأرض جميعاً.

قال تعالى: ﴿بَصُرْتُمْ بِهِ يُودُّ الْمَجْرِمُ لَوْ يَقْدِرُ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِنَفْسِهِ ۖ وَصَنَجَتِهِ ۖ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَرَبِّى ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۚ كَلَّا إِنَّمَا لَظَنُ ۖ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ۖ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۖ﴾ [المعارج: ١١-١٨].

بل إن الكافر لو جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهباً فلن يستطيع أن يفدى نفسه (بكل هذا الذهب) من عذاب الله.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٧) كتاب التوبة.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) صحيح: وقد تقدم.



قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَنَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران: ٩١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [البائدة: ٣٦].

الله يكلم أهون أهل النار عذاباً:

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تَشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ!»^(١).

أول من تسعر بهم النار:

قال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأَتَى بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيَقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلِمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلِمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيَقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيَقَالَ: هُوَ قَارِءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ يُحِبُّ أَنْ يَنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيَقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(٢).

تفاوت درجات العذاب على أهل النار:

قال تعالى عن أهل النار: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أَسْمَرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ لِأُولِنَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَقَاتَيْنَاهُمْ عَذَابًا مُضَاعَفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأمراء: ٣٨]. وقال تعالى:

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٣٣٤) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١].

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته»^(١).

واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَصْمُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ [النبا: ٢٦].... وقال ابن عباس: وافق أعمالهم، فليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد في الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَذْخَلُوهَا لَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [هافر: ٤٦]. وكذلك تفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار بحسب أعمالهم، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أصحاب الصغائر، وقد يخفف عن بعضهم العذاب بحسنات آخر له أو بما شاء الله من الأسباب.

وأما الكفار إذا كان لهم حسنات في الدنيا من العدل والإحسان إلى الخلق فهل يخفف عنهم بذلك من العذاب في النار أم لا؟

وهذا فيه قولان للسلف وغيرهم... أحدهما - أنه يخفف عنهم بذلك أيضًا... وقد سبقت الأحاديث في تخفيف العذاب عن أبي طالب بإحسانه إلى النبي ﷺ.

والقول الثاني: أن الكافر لا يتنفع في الآخرة بشيء من الحسنات بحال، ومن حجة أهل هذا القول قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمٍ إِلَى نُورٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَكَانَ صَبْرًا شَدِيدًا﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وعن أنس عن النبي ﷺ، قال: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة... يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله في الدنيا حتى إذا أفضى

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها^(١).

وهؤلاء جعلوا تخفيف العذاب عن أبي طالب من خصائصه بشفاعة النبي ﷺ له، وجعلوا هذه الشفاعة من خصائص النبي ﷺ لا يشركه فيها غيره.

زيادة أهل النار من العذاب:

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿رَدَّتْهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل ٨٨] قال: زِيدُوا عَقَارِبَ أَنْيَابِهَا كَالنَّخْلِ الطَّوَالِ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قول الله تعالى: ﴿رَدَّتْهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ قال: هي خَمْسَةُ أَنْهَارٍ تَحْتَ الْعَرْشِ يُعَذَّبُونَ بِبَعْضِهَا بِاللَّيْلِ وَبِبَعْضِهَا بِالنَّهَارِ.

جملة من عذاب أهل النار:

وها هي جملة من أنواع وألوان العذاب الذي يُسلط على أهل النار في نار جهنم - أعاذنا الله وإياكم منها - فمن بين أنواع العذاب الذي يتعرضون له:

تسويد وجوههم:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

عذاب الصهر:

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [١٧] ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيرِ

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٧-٤٩]

قال كثير من السلف نزلت هذه الآية في أبي جهل.

قال الأوزاعي يؤخذ أبو جهل يوم القيامة فيخرق في رأسه خرق، ثم يؤتى بسجل

من الحميم فيصب في ذلك الخرق، ثم يقال له: ذق إنك أنت العزيز الكريم.

وقال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصَمَانِ أَحْصَا فِي رَيْبِهِمَا فَالْتَبَنَ كَفَرُوا فُتِخَتْ لَحْمٌ يَابِ مِنْ

نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [١٨] يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ

(١) صحيح دواء مسلم (٢٨٠٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار من حديث أنس رضي الله عنه.

حَدِيثُ (٦) ﴿[الحج: ١٩-٢١].﴾

يُسْحَبُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ:
ومن أنواع العذاب الذي يُصَبُّ عَلَى أَهْلِ النَّارِ أَنَّهُمْ يُسْحَبُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَفَرٍ (٨)﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧) إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ (٧) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧)﴾ [خافر: ٧٠، ٧٢].

قَالَ قَتَادَةُ: يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ مَرَّةً وَفِي الْحَمِيمِ مَرَّةً. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦)﴾ [الأحزاب: ٦٦].

تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)﴾ [المؤمنون: ١٠٤].
أَيُّ تَحْرِقُهَا بِشِدَّةِ حَرِّهَا، وَتَخْصِيصِ الْوُجُوهِ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ أَيُّ وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ عَابِسُونَ مَشْهُوهُ الْمَنْظَرِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: قَدْ بَدَتْ أَسْنَانُهُمْ وَتَقَلَّصَتْ شَفَاهُهُمْ كَالرَّأْسِ الْمُشَيِّطِ بِالنَّارِ، وَفِي الْحَدِيثِ «تَشْوِيهِ النَّارِ فَتَقْلُصُ شَفَتَهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسْطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرُخِي شَفَتَهُ السُّفْلَى حَتَّى تَبْلُغَ سُرَّتَهُ».

وَقَالَ أَبُو غَنْدَرٍ الدَّمَشْقِيُّ، كَانَ أَوَيْسٌ إِذَا نَظَرَ إِلَى الرُّؤُوسِ الْمَشْوِيَةِ يَذْكُرُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾، فَيَقَعُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ حَتَّى يَظُنَّ النَّازِرُونَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَجْنُونٌ.

يَنْسَى كُلَّ نَعِيمٍ مَعَ أَوَّلِ غَمْسَةٍ فِي النَّارِ:

قَالَ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصَبَّغُ فِي جَهَنَّمَ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَارَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصَبَّغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَارَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ

قط، ولا رأيت شدة قط^(١).

يتمنى الموت ولا يجده:

قال تعالى: ﴿وَنَجِّنِهَا لِأَشَقَىٰ ۖ الَّذِي يَصْلَىٰ النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۖ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ﴾ (١٣)

[الأعلى: ١١-١٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ۖ﴾ (فاطر: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَاذُ يُسِيفُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۖ﴾ [إبراهيم: ١٧].

وقال إبراهيم في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ حتى من تحت كل شعرة في جسده.

وقال الضحاك: حتى من إبهام رجله، والمعنى أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزاء بدنه حتى شعره وظفره، وهو مع هذا لا تخرج نفسه فيستريح. قال الأوزاعي عن بلال بن سعد: تنادى النار يوم القيامة: يا نار أحرقي يا نار اشتفي، يا نار أنضجي، كُلى ولا تقتلى.

وقال ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل»^(٢).

منهم من يدور في النار ويجر أمعاءه:

وهذا مثل لعالم من علماء السوء الذين كانوا يأمرؤن الناس بالمعروف ولا يفعلونه وينهون الناس عن المنكر ويفعلونه.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ۖ﴾

[البقرة: ٤٤].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٥) كتاب الإيمان من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق أقاتبه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك ألسنتك كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتبه وأنهاكم عن المنكر وآتبه»^(١).

ومنهم من يقتل نفسه في النار كما فعل بنفسه في الدنيا:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»^(٢).

ومنهم من تأكله النار إلى فؤاده:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَ فِي الْخُطْمَةِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ﴿٢﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٣﴾ أَلَيْسَ تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ ﴿٤﴾﴾ [الهمزة: ٤-٧].

قال محمد بن كعب القرظي في قوله: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ﴾ قال: تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أنشئ خلقه.

ومنهم من له لسانان من النار:

وقد ورد أن بعضهم له لسانان من نار، ووجهان من نار، ففي «سنن أبي داود» عن عمار عن النبي ﷺ قال: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»^(٣).

ومنهم من تمسخ صورهم:

ومنهم من تمسخ صورته على صورة قبيحة..... وفي الصحيح «أن إبراهيم -

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٩) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٩٦) من حديث عمار رضي الله عنه.

عليه السلام - إذا شفع في أبيه، قيل له: يا إبراهيم انظر ما وراءك، فإذا هو بذئخ ملطخ. فيؤخذ بقوائمه، ويُلقى في النار^(١)..... والذئخ: الضبع الذكر.

قال ابن مسعود: إذا أراد الله تعالى أن لا يُخرج منها أحداً غير صورهم وألوانهم فلا يعرف منهم أحد.

ومنهم من يُلقى في مكان ضيق:

ومنهم من يلقى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه... قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣﴾ [الفرقان: ١٣]..... قال كعب: إن في جهنم تناير ضيقها كضيق زج رمح أحدكم ثم يطبق على أناس بأعمالهم. وعذابهم لا ينتهي أبداً:

فعذاب أهل النار - الذين كتب الله عليهم الخلود فيها - لا ينتهي أبداً. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ۝٣٦﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّتَخِلِفِينَ ۝٧٢﴾ لَا يُغْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٢﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

قال مبارك عن الحسن: ذكر الله السلاسل والأغلال والنار وما يكون في الدنيا، ثم قرأ: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ ۝٥٨﴾ [ص: ٥٨].

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول - على منبر دمشق -: لا يأتي على صاحب الجنة ساعة إلا وهو يزداد ضعفاً من النعيم لم يكن يعرفه،.... ولا يأتي على صاحب النار ساعة إلا وهو مستنكر لنوع من العذاب لم يكن يعرفه، قال الله عز وجل: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾.

عظم خلق أهل النار وبشاعة منظرهم:

قال ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»^(٢).
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام

(١) صحيح نزواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح نزواه مسلم (٢٨٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

للمراكب السريع^(١).

كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرها ليزوقوا العذاب.

وقد يسأل سائل ويقول: وما السبب في ضخامة جسد الكافر إلى هذا الحد؟ بل وما السبب في كثافة جلده على وجه الخصوص؟.

والجواب: إن نار الآخرة كما وصفها الحبيب ﷺ أشد من نار الدنيا سبعين مرة ولا يتحملها جسد الإنسان فكان لا بد من تضخيم خلقه الكافر بشكل يتناسب مع حجم النار.

وأما عن كثافة الجلد - على وجه الخصوص - لأن مراكز الإحساس كلها لا تكون إلا في الجلد فيكون الإحساس بلهب النار من خلال الجلد ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَصَبَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

قال الحسن في هذه الآية: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

عذاب أهل النار المعنوى:

فهناك عذاب معنوى لأهل النار - فوق العذاب الحسى -

فمن عذابهم المعنوى أنهم إذا دخلوا النار يلعن بعضهم بعضًا.. قال تعالى: ﴿كَلَّمَ دَخَلَتْ أَتَى لَمَنْتُ أَخْنَبًا﴾ [الأعراف: ٣٨].

ومن عذابهم المعنوى أنهم يسمعون خطبة إبليس في النار وهو يعلن أنه خدعهم وزين لهم المعصية حتى وقعوا في نار جهنم.... قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ومن عذابهم المعنوى أن الملائكة تُبكتهم قبل أن يدخلوا إلى منازلهم في نار

(١) منفق عليه: رواه البخارى (٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.



جهنم... قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلِّقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك: ٨، ٩].

ومن عذابهم المعنوي أن المؤمنين يسخرون منهم كما كانوا يسخرون منهم في الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝١٠﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝١١﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝١٢﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ۝١٣﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝١٤﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝١٥﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝١٦﴾ هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝١٧﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

قال القرطبي: يقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا، ففتحت لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون ﴿هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي هل جوزى الكفار في الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟ نعم.

وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل وإبعادهم عنه وإعراضه عنهم وسخطه عليهم، كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة، وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٨﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجَبُونَ ۝١٩﴾ [المطففين: ١٨، ١٩].

فكما حُجِبَتْ قُلُوبُهُمْ فِي الدُّنْيَا عَنْ اللَّهِ حَجَبُوا فِي الْآخِرَةِ عَنْ رُؤْيَيْهِ، وهذا بخلاف حال أهل الجنة.... قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَرَبَادَ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٠﴾ [يونس: ٢٦]، والذين أحسنوا هم أهل الإحسان، والإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، كما فسره النبي ﷺ لما سأله عنه جبريل عليه السلام، فجعل جزاء الإحسان الحسنى وهو الجنة والزيادة وهي النظر إلى وجه الله عز وجل.

النار لا تأكل أثر السجود:

قال ﷺ: «تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرَّم الله عز وجل على النار أن تأكل أثر

السجود^(١).

ويا لها - والله - من كرامة فالنار تأكل كل جزء من جسد العبد - إن كان من عصاة الموحدين - إلا أثر السجود في وجهه لأنه أكرم موضع في جسده فهو موضع السجود والذل لخالق السماوات والأرض - جل وعلا -.

تلاعن أهل النار:

إن أهل النار إذا دخلوا النار يظن كل واحد منهم أن صاحبه كان سبباً في دخوله النار، وهنا يبدأ التلاعن بينهم إضافة إلى عذابهم الذي لا يُخفف عنهم ولا ينتهى أبداً فكلما دخلت أمة لعنت أختها. كما قال الحق تبارك وتعالى مصوراً لنا تلك المشاهد التي ستحدث يوم القيامة.

﴿كَلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتُ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْتُمْ لِأَوْلَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَسْلَمُونَا فَنَأْتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفَيْنِ مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَيْتُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

ثم يذهب بنا القرآن إلى مشهد آخر فيقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٧﴾ يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

إنها الحسرة على كل من فرط في حق الله وفي شرع الله، وكل من سار على غير هدى رسول الله ﷺ.

فيا ترى ما الذي جعلهم يتعدون عن شرع الله وسنة رسول الله؟! ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا إِتَيْنَا مِنْكَ الْعَذَابَ وَالْعَنَيْنَا لَعَنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

[الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

هكذا يتلاعنون في النار ويدعو بعضهم على بعض ويتمنى كل واحد منهم للآخر زيادة الخزي والعذاب.

وكان السبب الرئيس لهذا المشهد البئيس هو أنهم اتبعوا الرؤساء والقادة في طرق

(١) منفق عليه: رواه البخاري (٨٠٦) كتاب الأذان، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكفر والضلال. أما المؤمنون يقول عنهم الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ آدْنُوا فِيهَا مِنَ الْأَشْجَارِ أَصْنَافٍ لَّا يَبْغُضُونَ فِيهَا شَيْئًا وَلَا يَسْخَرُونَ مِنْ أَحَدٍ ۚ وَهُمْ فِيهَا ذَوَاتَا آلِهَةٍ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كِبَارُ الْعُمْرِ وَلَا شَيْءٌ مِنْ ثَمَرِهِمْ وَلَٰكِنَّ أَجْرَهُم بِمَا عَمِلُوا جَارٍ ۚ وَالَّذِينَ لَا يَرْجُوا عَذَابَ اللَّهِ الْبَاسِ أُولَٰئِكَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ قُبِلَتْ سَوَابِغُهُمْ وَأُثْبِتَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي آحَافٍ عَالِيَةٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَلِيدٌ ۚ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

وتتوالى مشاهد الخزي والتلاعن بين أهل النار، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعِيفُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَالَّذِينَ فِي النَّارِ لِحِزَّةٍ جَهَنَّمَ أَذْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ۖ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ﴾ [غافر: ٤٧-٥٠]. فأيقن القادة والأتباع أنهم من أهل النار وعرفوا أنه الخلود والبوار فتوجهوا بهذا السؤال إلى خزنة النار ليشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يوماً من عذاب النار.

يقول الحق جل وعلا مخبراً أن الملائكة تبكت وتوبخ أهل النار قبل أن يدخلوا ويسكنوا منازلهم في النار.

فقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَلِيتُمْ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۖ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ سَمُوتٍ ۖ﴾ [الملك: ٨، ٩].

فجعلهم الله جل وعلا يُقرون على أنفسهم أنهم لم يدخلوا النار ظلمًا لأن الله هو الحَكَمُ العدل بل إنهم يعترفون على أنفسهم أنهم قد كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم، وبذلك تقع الحُجة عليهم فيعرفون أن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون... وتأمل معي عذابهم وتلاعنهم في هذا المشهد الذي يخبر عنه الحق جل وعلا.

﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ مَنَاقِبَ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَقْسِرُونَ لَهَا ۚ هَٰذَا فَلْيَذوقُوا حِمِيمًا وَعَسَاقٌ ۖ وَآخَرِينَ شَكْلِهِمْ أَنْزَجَ ۖ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَصِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ أَنْتُمْ قَدْ مَتَّوْهُ لَنَا فَيَقْسِرُوا لَنَا ۖ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَرِّدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۖ﴾ [ص: ٥٥-٦١].

ثم يرون بعد ذلك الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزئون بهم من أهل الإيمان

قد فازوا بالرضا والرضوان ونجوا من غضب الواحد الديان، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ١٢﴾ أَخَذَتْهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ ١٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ١٤﴾ [ص: ١٦٢-١٦٤].

وقد أخبر الحق - تبارك وتعالى - عن هذا المشهد في آيات كثيرة موضحة مشهد سخرية الكفار من المؤمنين في الدنيا وعقوبة الله للكافرين في الوقت الذي يرحم فيه المؤمنين ويحل عليهم رضوانه ويدخلهم جنات النعيم. فقال تعالى: ﴿قَالَ أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَلِرَجُلَانَا وَأَنْتَ خَبِيرُ الرَّجِيعِينَ ١٩﴾ فَأَخَذْنَاهُمُ سِخْرِيًّا حَتَّى أَتَوْكُم بِذِكْرٍ كُرِيٍّ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٢١﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١١]. فحكم الله للمؤمنين بالفوز في الجنة وحكم على الكافرين بالخسران ولم يأذن لهم بمجرد الكلام فقال: ﴿قَالَ أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ٢٢﴾ ثُمَّ سَأَلَهُمُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سُؤلاً عَظِيماً، وَذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّوْبِيخِ فَقَالَ جَل وَعَلَا: ﴿قُلْ كَلِمَةً لِّئَلَّا تُكَلِّمَ فِي الْأَرْضِ عِدَّةً سِنِينَ ٢٣﴾ [المؤمنون: ١١٢].

أى كم تمتنع بالأموال والنساء والمناصب ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنُ الْعَالِينَ ٢٤﴾ قُلْ إِنْ لِّئَلَّا تُكَلِّمَ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّا كُنْتُمْ نَعْلَمُونَ ٢٥﴾ [المؤمنون: ١١٣، ١١٤] والله ما كانت تستحق تلك الدقائق والساعات أن تنسوا لقاء ربكم وتسخرُوا من أوليائه وتستكبرُوا من عبادة العزيز الجبار ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ٢٦﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ٢٧﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

تجاوز أهل الجنة وأهل النار:

وتعال معي أخى الكريم لتأمل سوياً هذا المشهد المثير من مشاهد الآخرة إنه تجاوز أهل الجنة وأهل النار.

فإنه إذا استقر أهل النار في النار يذوقون عذابها ويشربون من حميمها ويأكلون من زقومها ينادى عليهم أهل الجنة وهم يشربون من أنهار الجنة ويأكلون من ثمارها ويقولون: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ٤٤﴾ [الأمراء: ٤٤].

وهذا كما أخبر الله في سورة الصافات عن الذى كان له قرين من الكفار ﴿فَاطْلَعْ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ٥٧﴾ أَمَّا

نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٨٩﴾ [الصفات: ٥٥-٥٩]. أى ينكر عليه مقالته التى يقولها فى الدنيا ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنعكاس. وكذلك تقررهم الملائكة يقولون لهم ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٩١﴾ أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ [الطور: ١٤، ١٦].

وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتل القلب يوم بدر (كما فى الصحيحين) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان يا فلان ابن فلان: أيسركم أنكم أطلعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله ماتكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال النبى ﷺ «والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم (وفى رواية) ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يجيبون»^(١).

ولنرجع إلى تحاور أهل الجنة وأهل النار... قال تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أى نادى مناد ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ ثم وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أى يصدون عن سبيل الله وعن شرعه ويبغون أن تكون معوجة غير مستقيمة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ أى جاحدون مكذبون فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل لأنهم لا يخافون حساباً عليه ولا عقاباً فهم شر الناس أقوالاً وأعمالاً.

ثم لما ذكر الله تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبه أن بين الجنة والنار حجاباً وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أى حاجز.... إنما سُمى الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس وأهل الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

قال حذيفة رضي الله عنه: عن أصحاب الأعراف هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ

(١) منفق عليه: رواه البخارى (٣٩٧٦) كتاب المغازى، ومسلم (٢٨٧٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس عن أبى طلحة رضي الله عنه.

الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ [الأعراف: ٤٧] . فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فإنى قد غفرت لكم.

قال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تُكتب إلا واحدة ثم قال: هلك من غلبت آحاده عشراته.

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ﴾ فعن ابن عباس قال: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه.

﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَدْخُلَنَّهُمْ وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦] .

أى فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلامًا عليكم ولكن لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون بدخولها.

قال الحسن: واللّه ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريد بها الله بهم ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ إِلَيْنَا أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧] .

قال ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وقال ابن مسعود: لما نظروا إلى أهل النار ورأوا منازلهم. تعوذوا بالله من منازلهم وقالوا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ثم يخبر تعالى عن تضرع أهل الأعراف وهم رجال تكاثفت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم.

يخبر تعالى عن تقيعهم لأهل النار وهم رجال من صناديد قريش وصناديد المشركين وقادتهم ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ كثرتم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨] . أى لا تنفعكم كثرتم واستكباركم من عذاب الله الذى صرتم إليه وماتعانون من النكال ﴿أَهْتُولَاوُ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩] .

أى قال الله لأهل التكبر والأموال ﴿أَهْتُولَاوُ﴾ أى أهل الأعراف ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ . فقال الله لأهل الأعراف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩] . أى برغم أنوف الكافرين.

فكل ما ذكرناه آنفاً يمثل الجانب المشرق لأهل الإيمان الذين يتمتعون فى جنات النعيم ثم يأتى المشهد الثانى لأهل النار وهو مشهد الحسرة والذلة فنعوذ بالله من



الحسرة والخزي والذلة.

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم. وطعامهم وأنهم لا يجابون إلى ذلك فهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

* ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يتعمدون في الدنيا باتخاذهم الدين لهواً ولعباً واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفتها عما أمروا به من العمل للآخرة.

﴿قَالِیَوْمَ نَنْسِفُهُمْ كَمَا دُسُوا لِقَاءَ یَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١] أى يعاملهم معاملة من نسيتهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شیء. ولا ينسأ كما قال تعالى: ﴿قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّی فِی كِتَابٍ لَا یَضِلُّ رَبِّی وَلَا یَنْسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢]. أى يتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

وفي الصحيح: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أزوجك؟ ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى فيقول أظننت أنك ملائقي؟ فيقول: لا. فيقول الله تعالى: فالיום أنساك كما نسيتني»^(١).

والله يا إخواني إنها لمشاهد تفطر لها القلوب الحية التي تخشى الله حق الخشية. فكيف بك يا عبد الله لا تعمل حتى تكون من أهل الجنة الذين ينادون على أهل النار ويقولون لهم ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ هل تريد أن تكون من أهل النار الذين ينادون وهم في خشوع وذلل ويقولون ﴿أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فوالله للدنيا بمتاعها وكنوزها لا تساوى مشهداً كهذا.

فلا تؤثر الفاني على الباقي ولا تجعل الدنيا تنسيك الآخرة واجتهد لفكاك رقتك من النار قبل يوم الحسرة.

مقارنة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا، وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك!»

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٨) كتاب الزهد والرقائق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً^(١).

أما أهل النار فليس لهم سوى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَالَ أَخْسَأُ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

بل إنه والله ما تعذب أهل النار بعذاب أشد من حجبهم عن رؤية وجه الله عز وجل وما تلذذ أهل الجنة في الجنة بنعيم أفضل من رؤية وجه الله عز وجل.

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم^(٢)».

وقال تعالى: ﴿وَيُجْزَوْنَ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ۖ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

فالحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله جل وعلا.

فالمؤمن يتلذذ برؤية وجه الله جل وعلا، أما الكافر فهو محجوب عن رؤيته سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُونَ ۖ﴾ [المطففين: ١٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طوله في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً^(٣)».

فالمؤمن له خيمة من لؤلؤة مجوفة. أما الكافر فله أودية في قعر جهنم «وادي غي ووادي سقر وسجن بولس ووادي ويل.....». فشتان بين الفريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير. والمؤمن يُداعب الحور العين ويتلذذ بهن ويتنعم مع كل واحدة منهن فلا يملها ولا تملّه.

أما الكافر في النار فليس أمامه سوى الحيات والعقارب والتلاعن بينه وبين قرنائه من أهل النار.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٩٨/٥)، رقم (٦١٨٣)، ومسلم (٢١٧٦/٤)، رقم (٢٨٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٣/١)، رقم (١٨١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٨٤٩/٤)، رقم (٤٥٩٨)، ومسلم (٢١٨٢/٤)، رقم (٢٨٣٨).

* واسمع يا أخى وتجهز لأن تكون من أهل الجنة. يقول الحق تبارك وتعالى:
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ أَذْخُلُوها بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦].
أما الكفار: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ ءَاتَتْهُمُ النَّارُ ﴿٣٨﴾﴾ [ص: ٥٩].
ويقول عن المؤمنين: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّقْنَصِيلِينَ ﴿١٧﴾﴾
[الحجر: ٤٧].

أما الكفار: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ لَأُنْخَبَا ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨].
وعن المؤمنين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ
سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٣].
أما الكفار: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رِيهِمَا فَالَّتَيْنِ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ
يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْشِعٌ مِنْ حَدِيدٍ
﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩-٢٢].
وعن المؤمنين: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان: ٥٥].
وكذلك ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا
يُزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ١٧-٢١].
أما الكفار: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَ الْأَنْزَالُونَ الْمَكِيدُونَ ﴿٨﴾ لَا تَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفُورٍ ﴿٩﴾ فَالَّذِينَ مِنْهَا الْبُلُورُ ﴿١٠﴾
فَشَرِبُوا مِنْهُ مِنْ قَلْبِهِمْ ﴿١١﴾ فَشَرِبُوا مِنْهُ مِنْ قَلْبِهِمْ ﴿١٢﴾ هَذَا نَزْلُكُمْ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].
وعن المؤمنين: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابٌ
الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان: ٥٦].

وأما الكفار: ﴿سَيَذَكُّهُمُ يَحْيَىٰ ﴿١٠﴾ وَنَجَّيْنَاهَا الْأَشْقَىٰ ﴿١١﴾ الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا
يَبُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٠-١٣].

فالمؤمن لا يموت إلا مودة واحدة ثم يحيا، ويتنعم في الجنة، أما الكافر في النار لا
يموت فيها فيستريح ولا يحيا فيتنعم فيها له من خزي ويا لها من حسرة.

ويقول الله جل وعلا عن المؤمنين: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾
[المطففين: ٢٢، ٢٣].

وكذلك: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّضِرَّةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

أما الكفار: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِآيَةِ ٢٤﴾ [القيامة: ٢٤].

وكذلك: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجِرُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥].

وعن المؤمنين: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٢﴾ [المطففين: ٢٤].

أما الكفار: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

وعن المؤمنين: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ٢١ خِتَمُهُمُ مِنْهُ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ

٢٨﴾ [المطففين: ٢٥-٢٨].

وكذلك: ﴿مَثَلُ الْفِتْنَةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ

وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ١٥﴾ [محمد: ١٥].

أما عن الكفار: ﴿كَفَنَ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ١٥﴾ [محمد: ١٥].

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَسُقُوا مِنْ مَاءٍ مَكِيدٍ ٢٢ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَاذُ يُسَيِّغُهُ وَيَأْتِيهِ

الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ١٧﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧].

وعن المؤمنين: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ٨٥﴾ [مريم: ٨٥].

أى راكبين على نوق الجنة عليها رخائم الذهب.

وعن الكفار: ﴿وَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ٨٦﴾ [مريم: ٨٦].

أى يساقون كما تُساق البهائم إلى جهنم وردا، أى عطاشا... بل إنهم يتقون

العذاب بوجوههم: ﴿أَفَمَنْ يَنْفَعِي بَوَّجُهُمْ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ

تَكْفُرُونَ ٢٤﴾ [الزمر: ٢٤].

وعن المؤمنين: ﴿سَيُجَنَّبُهُمْ وَيُصْلِحُ بِالْمَعْرِ ٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ٦﴾ [محمد: ٥، ٦].

وعن الكفار: ﴿فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ٨٤﴾ [مريم: ٨٤].

﴿وَأَمْلِ لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨٣].

وعن المؤمنين: ﴿عَلَيْهِمْ ثَابٌ سُدًى خُضِرَ وَاسْتَبَقَ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا

طَهُورًا ٢١﴾ [الإنسان: ٢١].

وعن الكفار: ﴿إِذَا الْأَعْلَاقُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ٧١﴾ [الغافر: ٧١، ٧٢].

يُسْحَبُونَ ٧٢﴾ [غافر: ٧٢، ٧٣].

وعن المؤمنين: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢١ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ٢٥ خِتَمُهُ



مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٦٨﴾ [المطففين: ٢٤-٢٦].

وعن الكفار: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا وِثْكًا وَصَمًّا مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

بل وتعرف الملائكة أن هؤلاء هم أصحاب النار من غير أن تسأل عنهم؛ لأن ذلك يظهر على وجوههم ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ يَسِينُهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالتَّوَارِيصِ وَالْأَقْنَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].
أي يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك.

وقال ابن عباس: فيؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور.
ولو استطردنا في الأمثلة لما انتهينا ولكن حسبنا ما قلناه في هذه المقارنة بين
أحوال أهل النار وأهل الجنة! «أليس منكم رجل رشيد؟!!»

فلا بد أن نتجهز من الآن ونُعد العُدَّة فلا ندري متى يأتينا الموت... ولقد انتشر موت
الفجأة الذي هو من علامات الساعة فلا بد أن نتوب ونرجع قبل أن لا نستطيع أن نتوب!

يا نفس، قد أزعج الرحيل وأظلك الخطب الجليل
فتأهبى يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزل ينسى الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه من الشرى ثقل ثقیل
قُرْنُ الفناء بنا جميعاً فما يبقى العزيز ولا الذليل
يا نفس ————— أزعج الرحيل
يا نفس توبى قبل ألا تستطيعي أن تتوبى
واستغفري لذنوبك الرحمن غفار الذنوب
إن المنايا كالرياح عليك دائمة الهبوب
والموت شرع واحد والناس مختلفو الدروب
ولقلما ينجوا الفتى بتقاء من لُطَخَ العيوب
يا نفس توبى قبل ألا تستطيعي أن تتوبى

خمس دعوات لأهل النار:

قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا

كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً.... يقولون: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا وَأَحْيَيْنَا أَتَيْنَا فَأَمَرْنَا بِدُنُونِنَا فَأَهْلَ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿١١﴾ [غافر: ١١] فيقول الله تعالى مجيباً لهم: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَشِيعَ الرُّسُلُ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾ ﴿١٢﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِنا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾ [فاطر: ٣٧] ثم يقولون ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ﴿١٤﴾ رَبَّنَا أَخْرِنا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا اخْسُئْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ﴿١٦﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨] فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب.

قال مالك بن أنس رحمته: قال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنا أَمْ صَبْرُنا ما لَنا مِنْ مَّجْهِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [إبراهيم: ٢١]. قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنا أَمْ صَبْرُنا ما لَنا مِنْ مَّجْهِينَ﴾. اخسئوا فيها ولا تكلمون:

لقد وصف الله تعالى حال أهل النار وهم يطلبون الخروج من النار فقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيها رَبَّنَا أَخْرِنا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾ ﴿١٧﴾ [فاطر: ٣٧]. * ولكنهم قبل ذلك كله يطلبون من خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يوماً من العذاب.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ ﴿١٨﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ نَأْتِيَكُم رُسُلَكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿١٩﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

فقالوا: ولماذا لا نلجأ لملك (خازن النار) فأخذوا يصيحون ويقولون: ﴿يَمْلِكُ يَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالُوا إِنَّكُم مِّنْكُوتُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الزخرف: ٧٧].



قال الأعمش: بُنيت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك لهم ألف عام.

* وعن عبد الله بن عمرو قال: إن أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يقول: ﴿إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُوا﴾ [١٠٨] ثم يئأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير.
آخر أهل النار خروجاً منها:

قال ﷺ: «إني لأعرف، آخر أهل النار خروجاً من النار، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة؛ رجل يُؤتى به يوم القيامة، فيقال: اغرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فيقال له: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَكَذَا وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن يُنكر، وهو مُشَفِّقٌ من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: ياربِّ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هُنَا»^(١).
ذبح الموت وخلود أهل الجنة وأهل النار:

قال تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ بَآتِ رَبِّهِ مَجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [التوبة: ٧٤].
وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ مَحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْتَ لَهُمْ تَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣].

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة فيشرئبون ويقال يا أهل النار فيشرئبون فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجع ويذبح فلولاً أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لهاتوا فرحاً ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لهاتوا ترحاً»^(٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (١/١٧٧، رقم ١٩٠).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٥/٣١٥، رقم ٣١٥٦) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٩٩٨).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِئَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادَى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»^(١).

فيا لها من حسرة شديدة حيث يعلم الإنسان أنه من المخلدين في النار فلا ماله ينفعه ولا ولده يشفع له ولا منصب ينجيه ولذا يقول أحد الصالحين والله لو علم أهل النار أنهم يمكثون في النار مليون سنة لكانوا أسعد الناس فتعجب أحدهم وقال كيف ذلك؟ فقال له الرجل لأنهم يعلمون أنهم سيخرجون بعد مليون سنة ولكنهم سيخلدون في النار.

* وبإلها من فرحة شديدة لأهل الجنان عندما يعرفون أنهم مخلدون في الجنة يشربون من أنهارها ويأكلون من ثمارها وأشجارها ويتلذذون بالحدود العين ثم يتم لهم النعيم الأعظم برؤية وجه الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ (٢٢) لِّأَرْبَعَيْنَاظِرَةٌ ۖ (٢٣)﴾

[القيامة: ٢٢، ٢٣].

دعوني على نفسى أنوح وأندب	بدمع غزير وأكف يتصبب
دعوني على نفسى أنوح فإتنى	أخاف على نفسى الضعيفة تعطب
وإنى حقيق بالتضرع والبكا	إذا ما هدا النوام والليل غيهب
وجالت دواعى الحزن من كل جانب	وغارت نجوم الليل وانقض كوكب
كفى أن عينى بالدموع بخيلة	وإنى بآفات الذنوب معذب
فمن لى إذا نادى المنادى بمن عصى	إلى أين إلجائى إلى أين أهرب؟
وقد ظهرت تلك الفضائح كلها	وقد قرب الميزان والنار تلهب
فيا طول حزنى ثم يا طول حسرتى	لئن كنت فى قاع الجحيم أعذب
فقد فاز بالملك العظيم عصابة	تبيت قياما فى دجى الليل ترهب
إذا أشرف الجبار من فوق عرشه	وقد زينت حور الجنان الكواعب

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥/٢٣٩٧، رقم ٦١٨٢)، ومسلم (٤/٢١٨٩، رقم ٢٨٥٠).



فناداهم سهلاً وأملاً ومرحبا أبحت لكم داري وما شتمت اطلبوا

نجاتك تبعنا عن جر النار

الالتزام بما أمر الله واجتناب نواهيه.

قال سهل بن عبد الله أربع جعلتني أقيم حياتي على منهج الإسلام:

١- أعمل لله بقدر حاجاتي له.

٢- أعمل للدنيا بقدر مقامي فيها.

٣- أعمل للنار بقدر صبري عليها.

٤- أعمل للآخرة بقدر بقائي فيها.

آخيراً أهيب بالجميع لا تظلم..... لا تظلم، لا تظلم نفسك بالتمرد على الله وبأن تتعدى تظلم الناس ولو يعلم الظالم ما للمظلوم عنده لظن عليه بظلمه، فلما لا نتعامل مع الناس بقضية الفضل وليس العدل (حقى وحقق) فالله يعاملنا بفضله فلما لا نتعامل بالفضل بيننا، وعلى المظلوم أن يصبر ويحتسب.

مفاتيح الجنة

الحديث عن الجنة بطبيعته يشرح الصدر وتشرب إليه الأنفس المتطلعة دوماً والمتشوقة أبداً إلى الرحمة والاقتراب من مدارها، ومن أكبر رحمت الله علينا أن يذكّر بعضنا بعضنا بما يؤول إليه أمر المؤمنين. هذه مبشرات كبرى، فأهل الجنة في الدنيا كانوا مشفقين، فأورثهم الله الجنة. عندما ندخل بستاناً فيه أشجار وأوراق وثمار ينعة، شكلها يشرح الصدر ويسعد القلب ويسر الناظرين، وتجد فاكهة مختلفة الطعوم، فإن هذه الفاكهة تمثل منظومة لهذا البستان، والدين نزل لهداية الإنسان وسعادته في الدارين، ونحن لا نظن الإنسان الذي لا يملك شيئاً فقيراً، كلا فقلبه عامر بالإيمان بالله، إنه أغنى الأغنياء إذ ليس الغنى بكثرة العرض والمال، وإنما الغنى غنى النفس.

* الراحمون يرحمهم الرحمن، أن نتراحم جميعاً فيؤدى بنا ذلك إلى أن يرحمنا الرحمن

ويبعد وجوهنا عن النار وينعم علينا بدخول الجنة.

* وفي الجنة ينادى رب العزة سبحانه: يا عبادى هل رضيتم فيقولون نعم رضيتنا

يا رب، فيقول رب العزة: هل لكم فيما هو خير من هذا؟ فيقولون: يا ربنا، قد أحللتنا دار المقامة من فضلك فهل بعد هذا خير؟ فيقول رب العزة: أجل أن يحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

* قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

يا له من نعيم

قال ﷺ: «... وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها»^(١). وقال ﷺ: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»^(٢). وقال ﷺ: «لو أن ما يقل ظفراً عما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»^(٣). وقال ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»^(٤).

وفيهما ما تشتهيهِ النفس

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّىٰهِ النَّفْسُ وَلَكَدْ لَآ أُعْثِرُ وَأَسْرَفْتُ فِيهَا حَلِيدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية: «أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال: أولست فيما شئت؟ قال: بلى،

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٢) كتاب الجهاد والسير من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٧٩٣) كتاب الجهاد والسير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٣٨) كتاب صفة الجنة، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٨١) كتاب تفسير القرآن. ومسلم (٢٨٢٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولكنى أحب أن أزرع... فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحساؤه وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يُشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا نجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً، فإنيهم أصحاب زرع، فأما نحن فلنسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ^(١).

فيا من حرمت نفسك من شهوات الدنيا الفانية وعشت على طاعة الله - عز وجل - اعلم أنك إذا دخلت جنة الرحمن - جل وعلا - فإنك ستجد كل شيء تشتهي نفسك... ولذلك لما سألوا الإمام أحمد - رحمه الله - وقالوا له: يا إمام متى الراحة؟ قال: لا راحة إلا في جنة الرحمن.

اجتجاج الجنة والنار

قال ﷺ: «تخاصمت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطتهم وغرثهم، قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله. تقول: قط قط فهناك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً»^(٢).

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة»^(٣).
وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة: «وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة.

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٥١٩) كتاب التوحيد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٨٤) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٨٤٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس رضي الله عنه.

فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجتة وكذب رسله قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك: ٨-١٠]..... ولا يظلم الله أحداً من خلقه.

أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ

قال ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟ [فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيَمْنَى] هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجِلَّ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يَزَادُ فِيهِمْ، وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُمْ أَبَدًا، [ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ] هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ، وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجِلَّ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يَزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُمْ أَبَدًا، سَدَّدُوا وَقَارِيُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيْ عَمِلَ، وَإِنْ صَاحِبُ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيْ عَمِلَ؛ فَرِغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧﴾»^(١).

الجنة قريبة... فاجتهد

قال ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»^(٢).
فاجتهد أيها الأخ الحبيب... واجتهدى أيتها الأخت الفاضلة لتفوزوا بالنعيم والرضوان في جنة الرحمن - جل وعلا-.

حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ

قال ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(٣).
وقال ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجَبْرِئِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢١٤١) كتاب القدر وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخاری (٦٤٨٨) كتاب الرقاق من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس رضي الله عنه.



جاء فقال: أى رب! وعزتك لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره، ثم قال: يا جبريل! اذهب فانظر إليها، فذهب، ثم نظر إليها، ثم جاء فقال: أى رب! وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ، فلما خلق الله النار، قال: يا جبريل! اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: وعزتك لا يسمع بها أحدٌ فيدخلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل! اذهب فانظر إليها، فذهب، فنظر إليها فقال: أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحدٌ إلا دخلها»^(١).

كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى

قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قيل: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»^(٢).
وقال ﷺ: «كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله»^(٣).
فاللهم اجعلنا من أتباع حبيبك ﷺ.

الدارُ الإسلام... والبيتُ الجنة

قال ﷺ: «إني رأيتُ في المنام كأن جبريلَ عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضربْ له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك؛ إنما مثلك ومثل أمتك كمثلي ملك اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتاً، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدارُ الإسلام، والبيتُ الجنة، وأنت يا محمد رسول، من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها»^(٤).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٤٤) كتاب السنة، وأحمد (٨٤٣٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٢١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٧٢٣)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٤٣) من حديث أبي أمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٦٠) كتاب الأيمان من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لن ندخل الجنة إلا برحمة الله - جل وعلا-

قال ﷺ: «سَدُّوْا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن يُدْخَلَ أحدكم الجنة عمله؛ قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»^(١).
وقال ﷺ: «لن يُدْخَلَ أحدًا عمله الجنة، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته، فسَدُّوْا وقاربوا، ولا يَتَمَنَّى أحدكم الموت، إمَّا مُحْسِنٌ، فلعله يزدادُ خيرًا، وإمَّا مُسِيءٌ، فلعله أن يستعيب»^(٢).

أشياء نراها من الجنة

وقد يسأل سائل ويقول: وهل هناك أشياء نراها في هذه الدنيا وهي من الجنة؟
والجواب: بلى هناك أشياء نراها وهي من الجنة وإليك بعضها.
وقال ﷺ: «الحجر الأسود من الجنة»^(٣).
وقال ﷺ: «قوائم منبري رواتب في الجنة»^(٤).
وقال ﷺ: «لولا ما مسَّ الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسَّه ذو عاهة إلا شفى وما على الأرض شيء من الجنة غيره»^(٥).

عَقَبُ ثَمَنِهِ الْجَنَّةُ

قال ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨١٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٧٣) كتاب المرضى من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٨٧٧) كتاب الحج، والنسائى (٢٩٣٥) كتاب مناسك الحج، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح: رواه النسائى (٦٩٦) كتاب المساجد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤١٢) من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٥) صحيح: أخرجه البيهقى فى شعب الإيثار (٤٤٩/٣)، رقم (٤٠٣٣)، وفى السنن الكبرى (٧٥/٥)، رقم (٩٠١٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٣٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الجنة»^(١).

ولذلك عرض الرب [جل وعلا] سلعته الغالية على عباده فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

شبهة ... والرب عليها

وهنا أمر يجب التنبيه عليه وهو: أن الجنة إنما تُدخل برحمة الله تعالى، وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبيلاً. ولهذا فثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»^(٢).

ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال.

والثاني: أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلًا للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله. وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين بقوله: «سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يُدخل أحدًا الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»^(٣).

تلك هي الجنة ... فائين مهرها؟!!

يقول الإمام ابن القيم في كتابه القيم «حادي الأرواح إلى بلاد الأرواح»: وكيف

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة الرقائق والورع، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ومُلْكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيه: وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

* وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

* وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مُصَفًّى. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسليم والزنجيل والكافور، وإن سألت عن آتيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

* وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجَدَّ السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في مُلكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام.

* وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة، طولها ستون ميلًا في السماء، وإن سألت عن علائها وجواسقها فهي عُرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فراشها فبطائناتها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب،

فما لها من فروج ولا خلال.

* وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر. وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبين وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

* وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم، حيث شاءوا من الجنان. وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان. وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلصون كأنهم لؤلؤ مكنون.

* وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فهن الكواكب الأتراب، اللاتى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين [الشمس والقمر] وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، ويرى وجهه فى صحن خدها، كما يرى فى المرأة التى جلاها صقيلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها. لو اطلعت على الدنيا لملاّت ما بين الأرض والسماء ريحًا. وأفواه الخلائق تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتخرق لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيتها، ولا يزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزداد لها على طول المدى إلا محبة ووصالًا، مبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا

يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها في غاية أمنيته وهواه، وإن نظر إليها سرتة، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو منها في غاية الأمانى... هذا ولم يطمئنها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

* وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحُسن، فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحديق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب، ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حُسن الخُلُق فهن الخيرات الحسان، اللاتى جمع لهن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقررة النواظر. وإن سألت عن حُسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرب المتحبيات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج.

* فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس منتقلة في بروج فللكها، وإذا حاضرت زوجها، فيا حُسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة.

* وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قبلت فلا شئ أشهى إليه من التقبيل، وإن نولت فلا ألد ولا أطيب من ذلك التنويل.

* هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه. فاستمع يوم ينادى المنادى: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحى على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين، وحتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيح الذى جعل لهم موعدًا. وجمعوا هناك فلم يغادر الداعى

منهم أحدًا، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنُصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة. وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنى على كئيبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا. ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه: وقد أشرف عليهم من فوقهم. وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب، ولم يرونى، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة: قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى. هذا يوم المزيد فاسألونى: فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف لهم الرب جل جلاله الحُجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لا حترقوا. ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يذكره ببعض غدراته فى الدنيا، فيقول: يارب ألم تغفر لى؟ فيقول: بمغفرتى بلغت منزلتك هذه.

* فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرّة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاسِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسِيرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا قَارِعَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥].

فحى على جنات عدن فإنها	منازلنا الأولى وفيها المقيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى	نعود إلى أوطاننا ونسلم

أَسْمَاءُ الْجَنَّةِ وَمَعَانِيهَا

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسامها واحد باعتبار الذات.

الاسم الأول: الجنة: وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن والجان لاستتاره عن العيون والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه ومنه سمي البستان جنة؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه.

الاسم الثاني: دار السلام: وقد سماها الله بهذا الاسم في قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]. وهي أحق بهذا الاسم، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهي دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلمها وسلم أهلها: ﴿وَنَجِّنُهُمْ فِيهَا سَلَامًا﴾ [يونس: ١٠] ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]. والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ ٥٧ ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ ٥٨ ﴿[يس: ٥٧، ٥٨].

الاسم الثالث: دار الخلد: وسميت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً، كما قال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُوفٍ﴾ ١٠٨ ﴿[هود: ١٠٨]. ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ٥٤ ﴿[ص: ٥٤]. وقال: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]. وقال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ﴾ ٥٨ ﴿[الحجر: ٤٨].

الاسم الرابع: دار المقامة: قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُوا لَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ٣١ ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ ٣٥ ﴿[فاطر: ٣٤، ٣٥].

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً لا يموتون، ولا يتحولون منها أبداً. الاسم الخامس: جنة المأوى: قال تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ النَّارِ﴾ ١٥ ﴿[النجم: ١٥]. والمأوى مفعول من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به. وقال عطاء عن ابن عباس: هي الجنة التي يأوى إليها جبريل والملائكة. وقال مقاتل والكلبي: هي جنة تأوى إليها أرواح الشهداء.

والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [التازعات: ٤٠، ٤١]. وقال في النار: ﴿إِنَّ الْمَجِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [٣٣].

الاسم السادس: جنات عدن: اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن.

قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِآلْفَيْبٍ﴾ [مرهم: ٦١].

والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن، فإنه من الإقامة والدوام يقال: عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد توطنته، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه.

الاسم السابع: دار الحيوان: قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [المنكوب: ٦٤]. المراد الجنة عند أهل التفسير، قالوا: وإن الآخرة يعنى الجنة لهى دار الحياة التى لا موت فيها.

الاسم الثامن: الفردوس: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] والفردوس: اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات. وأصل الفردوس: البستان.

الاسم التاسع: جنات النعيم: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [القمان: ٨]. وهذا أيضًا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التى يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة. وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

الاسم العاشر: المقام الأمين: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]. والمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذى قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والمغص والنكد. وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]. فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام، فلا يخافون

انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها، فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً.

الاسم الحادى عشر والثانى عشر: مقعد الصدق، وقدم الصدق: قال تعالى: ﴿إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥١﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٢﴾﴾ [القمر: ٥١، ٥٢]. فسمى جنته

مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها.

وربك يخلق ما يشاء ويختار

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاه لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده، فهى سيدة الجنان، والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل، ومن البشر محمداً ﷺ، ومن السموات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر المحرم، ومن الليالى ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلاة، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

قال عبد الله بن عمر: خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وعدن وآدم - عليه السلام - ثم قال لسائر الخلق كن فكان.

وعن كعب قال: «لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده. ثم قال لها: تكلمى. قالت: قد أفلح المؤمنون».

هؤلاء اهل الجنة

لقد ذكر الله [عز وجل] ورسوله ﷺ بعض مواصفات أهل الجنة.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْقَلِيلِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَكَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِهِمْ أَجْرٌ

الْعَمَلَيْنِ ﴿٣٨﴾ [كل عمران: ١٣٣-١٣٦].

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين.
وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّجْتَمِعِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَأَنبَأُوا بِهِمْ يَتَزَكَّى اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَضْأَهُ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّةً يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فأخبر تعالى أنه أعد لها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان، فلا مطمع لمن خرج عن طريقهم فيها [أى فى الجنة].

قال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب، اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». قال: فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون^(١).

وعن عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال: «..... وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رقيق القلب لكل ذى قرى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال....»^(٢).

وعن حارثة بن وهب قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى. قال ﷺ: «كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى. قال: «كل عُتُلٌّ جَوَاطٌ مستكبر»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبى فى الجنة والشهيد فى الجنة والصديق فى الجنة والمولود فى الجنة والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر فى الله فى الجنة؛ ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العشود التى إذا ظلمت قالت: هذه يدى فى يدك لا أذوق غمضا حتى ترضى»^(٤).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٤) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩١٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٥٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث حارثة بن وهب رضى الله عنه.

(٤) حسن: رواه أيضاً الطبرانى فى الكبير (١٤٠/١٩)، رقم (٣٠٧)، وفى الأوسط (١١/٦)، رقم (٥٦٤٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٠٤) من حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه.

الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع^(١).

وقال ﷺ: «يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء الله بعضهم على بعض^(٢)».

أبواب الجنة الثمانية.. ومخاض عفة الرزق للمؤمن

قال الإمام ابن القيم: فرغ خاطرك للهيم بما أمرت به ولا تشغله بما ضمن لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً. وإذا سدَّ عليك بحكمته طريقاً من طرقه فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه.

فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم، من طريق واحد وهو السرة، فلما خرج من بطن الأم، وانقطع ذلك الطريق، فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقاً أطيب وألذ من الأول لبناً خالصاً سائغاً. فإذا تمت مدة الرضاع، وانقطع الطريقان بالقطام، فتح طرقاً أربعاً أكمل منها: طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربع. لكنه سبحانه فتح له - إن كان سعيداً - طرقاً ثمانية، وهي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

فهكذا الرب سبحانه، لا يمنع عبده المؤمن شيئاً من الدنيا، إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن. فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس. والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما دُخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دينياً، وبقلة الرغبة في الآجل وإن كان علياً. ولو أنصف العبد ربه، وآتى له بذلك؟! لَعَلِمَ أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٢٤) كتاب الزهد، والطبراني في الكبير (١٢٧٨٧)، وصححه العلامة

الألباني في صحيح الجامع (٢٥٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٢١) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه.

فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه. ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه. ف ﴿جَمَلَ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الأنعام: ١١] والله المستعان.

«الوسيلة» أعلى منزلة في الجنة للنبي ﷺ

والوسيلة هي أعلى منزلة في جنة الرحمن جل وعلا وهي من نصيب حبيب الرحمن محمد بن عبد الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله [موسى]، ورفع بعضهم درجات، هو محمد ﷺ.

وفي حديث الإسراء المتفق على صحته: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن ترفع عليَّ أحدًا»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدره المنتهى.

وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»^(١).

قصر النبي ﷺ في جنة عدن

ولابد أن نعلم أن للنبي ﷺ قصورًا كثيرة في الجنة، ومن بينها قصره في [جنة عدن].

ففي الحديث الذي رواه البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

لنا: «أتانى الليلة آتيان فابتعثاني، فانتبهنا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجالاً شطراً من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطراً كأقبح ما أنت راء قالوا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة. قالوا لى: هذه جنة عدن، وهذا منزلك. قالوا: أما القوم الذين كانوا شطراً منهم حسن، وشطراً منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، تجاوز الله عنهم»^(١).

قَصْرٌ مِثْلُ الرِّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ

وقال ﷺ: «.... فانطلقنا فانتبهنا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن قال: قالوا لى: ارق فيها قال: فارتقينا فيها فانتبهنا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجالاً شطراً من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطراً كأقبح ما أنت راء، قال: قالوا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر. قال: وإذا نهرٌ مُعْتَرِضٌ يجرى كأن ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قال: قالوا لى: هذه جنة عدن وهذا منزلك قال: فسما بصرى صُعداً، فإذا قصرٌ مثلُ الرِّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ. قال: قالوا لى: هذا منزلك قال: قلتُ لها: بارك الله فيكما ذراني فأدخله. قال: قالوا: أما الآن فلا وأنت داخله...»^(٢).

قَصْرٌ عَلَى نَهْرِ الْكُوثر

فمن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال - في جزء من حديث -: «.... ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفراثُ عُصْرُهُمَا ثُمَّ مضى به في السماء فإذا هو بنهرٍ آخر عليه قصرٌ من لؤلؤٍ وزبرجدٍ فضرب يده فإذا هو مسكٌ أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك....»^(٣).

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٦٧٤) كتاب تفسير القرآن من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٥١٧) كتاب التوحيد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

منزل مثل السحاب لسيد الأحاب ﷺ

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول ما شاء الله. فسلنا يوماً فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكنى رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كُتُوب من حديد..... إلى أن قال :- فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخٌ وصبيان، وإذا رجلٌ قريب من الشجرة بين يديه نارٌ يوقدها فصعدا بي الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب. قلت: طوفتاني الليلة فأخبراني عما رأيت. قالوا: نعم. أما الذي رأيته يشق شذقه..... إلى أن قالوا :- «والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين. وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل. فارفع رأسك. فرفعت رأسي، فإذا فوقى مثل السحاب، قالوا: ذاك منزلك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالوا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك،^(١)

بيت في الجنة من قصب الخديجة رضي الله عنها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»^(٢) والقصب المراد به قصب اللؤلؤ المجوف.

قال السهيلي: النكتة في قوله: «من قصب» ولم يقل: من لؤلؤ؛ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب سبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها، ولذا وقعت

(١) صحيح زواه البخاري (١٣٨٦) كتاب الجنائز من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه زواه البخاري (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه.

هذه المناسبة في جميع ألفاظ هذا الحديث اهـ.

وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابييه، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها، إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها.

وقال السهيلي: لذكر البيت معنى لطيف؛ لأنها كانت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها، وهى فضيلة ما شاركها فيها أيضًا غيرها. قال: وجزاء الفعل يذكر غالبًا بلفظه، وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر اهـ.

ويلوح الجزاء من جنس العمل في قول الرسول ﷺ: «لا صخب فيه ولا نصب»، فالصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت، والنصب: التعب.

قال السهيلي: مناسبة نفى هاتين الصفتين - أعنى المنازعة والتعب - أنه ﷺ لما دعا إلى الإسلام أجابته خديجة طوعًا، فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك، بل أزالته عنه كل نصب، وأنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذى بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها. اهـ.

قصر عمر بن الخطاب

عن بريدة رضي الله عنه قال: «دعا رسول الله ﷺ بلالاً، فقال: يا بلال يمّ سبقتنى إلى الجنة؟ إنى دخلت الجنة البارحة فسمعت خشخشتك أمامى، فأتيت على قصر من ذهب مُربع فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: فأنا محمد. لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من العرب. قلت: أنا عربى. لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. قلت: فأنا قرشى، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب. فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابنى حَدٌّ قط إلا توضأت عندها، فقال رسول الله ﷺ: بهذا»^(١).

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشقة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيت قصرًا بفنائه جارية فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك. فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار»^(١).

عند أبواب الجنة وصفتها

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].
وقال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاجٍ﴾ [جنت عدي تفضة لهم الأبواب] (٥٠).
[ص: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [٢٣] سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢١) [الرعد: ٢٣، ٢٤].
وقال ﷺ: «الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب»^(٢).

وعن خلود عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم، وتفهم ما يقال لها، انفتحت وانغلقى.
وفي حديث الشفاعة الطويل قال رسول الله ﷺ: «فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقه»^(٣)، وهذا صريح في أنها حلقة حسية تحرك وتقعق.

سعة أبوابها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... فأقول: يارب أمتي أمتي، فيقال:

(١) مطلق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٤) كتاب فضائل الصحابة من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه ابن سعد (٤٣٠/٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣١١٩) من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣١٤٨) كتاب تفسير القرآن، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٤٥٩).

يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن، من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيها سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبُصرى^(١).

وقال ﷺ: «إن ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة»^(٢).

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليتها أوسع مما دونه... وسعة الباب، بحسب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعى الباب، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض.

نداء من أبواب الجنة الثمانية

إن الغاية التي يسعى إليها كل مؤمن أن يدخل الجنة، وأن ينجو من عذاب النار، فهذا هو الفوز الحقيقي مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْفُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

فما ظنك بمن يأتى يوم القيامة ويجد أن أبواب الجنة الثمانية تنادى عليه ليدخل من أى الأبواب شاء؟! فيا ترى

من الذين ينادى عليهم من أبواب الجنة الثمانية!!!

وسوف أسوق لحضراتكم باقية من الأحاديث العطرة التي تخبرنا عن هذا الصنف المبارك الذى يُنادى عليه من أبواب الجنة الثمانية.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله، نُودى من أبواب الجنة، يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة...». فقال أبو بكر رضي الله عنه:

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٩٤) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٧) كتاب الزهد والرفائق من حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه.

بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»^(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد توضع فيبلغ [أو فيسبغ] الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»^(٢) زاد الترمذى بعد التشهد: «اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين»^(٣).

وعن عتبة بن عبد الله السلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل»^(٤).
وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْقَتْلُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ، فِذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُفْتَخِرُ فِي خِيَمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - تَحْتَ عَرْشِهِ لَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النَّبَوَةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَمُضْمَصَةٌ تَحْتَ ذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ عِجَاءٌ لِلْخَطَايَا، وَأَدْخَلَ مِنْ أَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، فَإِنْ هَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَرَجُلٌ مُتَأَفِّقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَلِكَ فِي النَّارِ، إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمُحُو النَّفَاقَ»^(٥).

وعن عبادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»، وفي رواية: «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»^(٦).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤) كتاب الطهارة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٥٥) كتاب الطهارة، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (١٦٠٤) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٢).

(٥) حسن: رواه أحمد (١٧٢٠٤)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٠).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان من حديث =

وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا. قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»^(١).

تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ

قال ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ إِلَّا رَجُلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٢).

ولذلك كان الحبيب ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس.
قال ﷺ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»^(٣).

وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا لَهُمْ

إن الإنسان إذا ما ذهب لزيارة إخوانه في الدنيا أو أقاربه، فقد لا يتمكن من الوصول إليه وقد لا يعرف بيته.

أما في الجنة فإن الذي يُعرفك بيتك هو الله جل وعلا... قال تعالى: ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦].

بل قال ﷺ: «.... فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ منه بمسكنه كان في الدنيا»^(٤).

قال مجاهد: يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومسكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً.

=عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٩/ ٤٧١، رقم ٤١٦٣). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٤)، رقم ٤٥٩٨، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح لغيره: رواه الترمذي (٧٤٧) كتاب الصوم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: «هم أعرف بمنزلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم...» هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: عرفها أى بيّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

أول من تفتح له أبواب الجنة

وقال ﷺ: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقها»^(١) - أى: أحرکها. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»^(٢). وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتى باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك»^(٣).

أول من يدخل الجنة

قال ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء...»^(٤). ولذلك فإن الله - عز وجل - يجبر لهم كسرهم في الآخرة وذلك بأن يُدخلهم الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسائة سنة. قال ﷺ: «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسائة عام»^(٥). وقال ﷺ: «أتعلّم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي؟ فقراء المهاجرين، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة، ويستفتحون، فيقول لهم الخزنة: أوقد حوسبتن؟ قالوا بآى شىء نحاسب، وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك؟ فيفتح لهم

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٦) كتاب الإيمان من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٧) كتاب الإيمان من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٢٤١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٣٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٥١) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٤٢٢٨) من حديث أبى سعيد رضي الله عنه.

فيقولون فيها أربعين عامًا، قبل أن يدخلها الناس»^(١).

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره في الدخول. والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفًا، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم والغنى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغنى في أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

باب من أبواب الجنة

قد جعل الله لكل مطلوب مفتاحًا يفتح له، فجعل مفتاح الصلاة الطهور، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة والإحسان في عبادة الخالق والسعى في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل.



(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٢/ ٨٠)، رقم (٢٣٨٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذمبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٨)، رقم (٤٢٦٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٩٦).



باب الرياء للصائمين

قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فيقومون، فيدخلون منه، فإذا دخلوا، أُغْلِقَ؛ فلم يدخل منه أحدًا»^(١).

وقال ﷺ: «لِلصَّائِمِينَ بَابٌ فِي الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ. لَا يَدْخُلُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فإذا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ، مَنْ دَخَلَ فِيهِ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»^(٢).

مُسَمَّى الْبَابُ: «الرياء» من الري، والري ضد الظما، مسمى الباب بيعث على الري، وأول الغيث قطرة... إن ذكر الماء في الصحراء؛ يقلل من شدة العطش، فما ظنك بالداخل...؟!.

طريق الجنة واحد

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البائدة: ١٥-١٦].

وصفهم عند دخول الجنة

قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَيَنعَمُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُ الْمُنَادِي﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه النسائي (٢٢٣٦) كتاب الصيام، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٤).

تَمَلُّونَ ﴿٣٢﴾ [النحل: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجارهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»^(١).

وفي رواية البخاري: «ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا»^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسد بهم الثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته اتوههم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتامرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال إنهم كانوا عباداً يعبدوني لا يشركون بي شيئاً وتُسد بهم الثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»^(٣).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦٥٣٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٨٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

أَلْفًا [أو: سبعمائة ألف] متماسكون، آخِذٌ بعضهم ببعض، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوهمهم على صورة القمر ليلة البدر^(١).

وقال ﷺ: «أولُ زمرةٍ تدخلُ الجنةَ، على صورةِ القمرِ ليلةِ البدرِ، والثانيةِ على لونِ أحسنَ من كوكبِ دريٍّ في السماء، لكلِّ رجلٍ منهم زوجتانِ، على كلِّ زوجةٍ سبعُونَ حُلَّةً يبدو [مخ] ساقها من ورائها^(٢)».

وقال ﷺ: «أولُ زمرةٍ تدخلُ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةِ البدرِ، والذينَ على أثرِهِم كاشِدُ كوكبِ دريٍّ في السماءِ إضاءةً، قلوبُهُم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، لا اختلافَ بينهم، ولا تباغُضَ، ولا تحاسُدَ، لكلِّ امرئٍ منهم زوجتانِ، كلُّ واحدةٍ منهما يرى مُخَّ سوقها من وراءِ لَحْمِها من الحُسنِ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لا يسقُمُونَ، ولا يمتخطُونَ، ولا يبصقُونَ، أنيتهم الذهبُ والفضةُ، وأمشاطهم الذهبُ، ووقودُ مجامرهم الألوةُ^(٣)».

وعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع^(٤)».

جُرَدًا: أى بدون شعر على أجسادهم.

مُرَدًا: أى بدون لحية.

وَأَمَّا الْأَخْلَاقُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [العنكب: ٤٧]. فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوهمهم.



(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٥٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢١٩) كتاب الإيمان من حديث سهل بن سعد رضيه الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٣٥) كتاب صفة الجنة، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٦٤) من حديث أبى سعيد الخدرى رضيه الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٢٤٦) كتاب بدء الخلق من حديث أبى هريرة رضيه الله عنه.

(٤) حسن لغیره: رواه أحمد (٨٣١٩)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٠٠) من حديث أبى هريرة رضيه الله عنه.

مشهد عظيم عند دخول الجنة

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمَرًا، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها، فأذهب ما في بطونهم من أذى وقذى وبأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدًا ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة، فقالوا: سلام عليكم طبتُم فادخلوها خالدين. قال: ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته، فيقولون: أبشر بما أعد الله لك من الكرامة. كذا قال: ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي يُدعى به في الدنيا، فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته، وهو ذا بأثرى، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق، فلولاً أن الله قدّره له لآلم أن يذهب بصره، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه، وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة، فنظروا إلى تلك النعمة، ثم اتكاؤا وقالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ثم ينادى منادٍ: تحيون فلا تموتون أبدًا، وتقيمون فلا تظعنون أبدًا، وتصحون فلا تمرضون أبدًا».

وعن النعمان بن سعد قال: كنا جلوسًا عند علي عليه السلام فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] قال: لا والله ما على أرجلهم يُحشرون ولا يُحشَرُ الوفد على أرجلهم ولكن على نُوقٍ لم تر الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة».

أول الأمر دخول الجنة.. وأكثرهم عددًا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، عدّهم ربنا في الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم، فاختلفوا

فهدانا الله لها اختلفوا فيه من الحق»^(١).

وقال ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»^(٢).

كيف يدخلون الجنة... وأول وجبة يأكلونها

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(٣) [مريم: ٨٥].

وفي الحديث الذي رواه مسلم... عندما جاء خبر من أحبار اليهود يسأل النبي ﷺ عن عدة أشياء وكان من بينها أنه سأله عن أول طعام لأهل الجنة فقال: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال ﷺ: «زيادة كبد النون - الحوت - قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: «يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تُسمى سلسيلاً» قال: صدقت^(٤).

طعام أهل الجنة وشرابهم

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُوهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥) [الزخرف: ٧١].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٌ ﴿١١﴾ وَقَوْكَ وَمَا يَشْتَهُونَ ﴿١٢﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٣].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾^(٦) [الرعد: ٣٥].
وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَرَفُوا كِتَابِيَةَ ﴿١١﴾ إِنَّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ﴿١٢﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٣﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٤﴾ قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴿١٥﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤].

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٥٥) كتاب الجمعة من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٥٤٦) كتاب صفة الجنة، وابن ماجه (٤٢٨٩) كتاب الزهد، وحسنه العلامة

الألبانى فى صحيح ابن ماجه من حديث بريدة ابن الحصيب رضى الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣١٥) كتاب الحيض من حديث ثوبان بن جدد رضى الله عنه.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝﴾ [الطور: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَفِكَهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝﴾ [الواقعة: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ۝ خِتَمُهُ مِسْكَ ۚ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ۝﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْتَرَارَ بَشُرُوتَ مِنْ كَأْسٍ كَاتٍ مِرْأُجَهَا كَاظُورًا ۝ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ياكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشع المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۚ وَفِيهَا مَا شَتَّىٰهِ الْأَنْفُسُ وَلَكُلٍّ الْآلَئِثُ ۚ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٧١]. قال: «يطاف عليهم بسبعين صفحة من ذهب كل صفحة منها فيها لون ليس في الأخرى».

وعن سليم بن عامر رضى الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومساثلهم. قال: أقبل أعرابي يوماً، فقال: يا رسول الله! ذكر الله عز وجل في الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذى صاحبها. فقال رسول الله ﷺ: «فما هي؟». قال: السدر؛ فإن له شوكة مؤذية. قال رسول الله ﷺ: «أليس الله يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۚ خَضْدَ اللَّهِ شَوْكِهِ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمْرَةً؛ فَإِنَّا لَنَنْبِتُ ثَمْرًا تَفْتَقُ الثَّمَرَةُ مِنْهَا عَنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْناً مِنْ طَعَامٍ، مَا فِيهَا لَوْنٌ يَشْبَهُ الْآخَرَ ۚ﴾»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ، تَرعى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ». فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا رسول الله! إن هذه الطير ناعمة. فقال: «أكلتها أنعم منها! قالها ثلاثاً، وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر رضى الله عنه.

(٢) قال العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٤٢) رواه ابن أبي الدنيا وإسناده حسن.

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢٨٩٨)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٤٠).



قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ عَنَّا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ﴿٦﴾ [الإنسان: ٦، ٥].

والكأس هو الإناء الذي فيه الشراب، ويُطلق كذلك على نفس الخمر.
قال بعضهم:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أى يخالطها وتمزج به.

قال مقاتل: ليس هو كافور الدنيا وإنما سمي ما عنده بما عندكم حتى تهتدى له القلوب.

قوله: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أى يجرونها إلى حيث يريدون وينتفعون بها كما يشاءون.
وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۖ﴾ [الإنسان: ١٧] أى كأساً من خمر ممزوجة بالزنجبيل، وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته.
وذكر سعيد بن منصور... عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿٧﴾.
قال: تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً.

وعن أبي الدرداء في قوله: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شراهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

صفة أهل الجنة في خلقهم وطولهم وخلقهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيئونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. قال: فزادوه: ورحمة الله. قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن» ^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٢٧) كتاب الاستئذان. ومسلم (٢٨٤١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب في السماء إضاءة، وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم.

وفي الصحيحين: «أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم - عليه السلام - ستون ذراعاً في السماء»^(١).

أهل الجنة يتزاورون ويتذاكرون ما كانوا بينهم

قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [٥٠] قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتَيْتُكَ مِنَ الْمُتَدِينِ ﴿٥٢﴾ إِيذًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَأْتِي الْمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أُنتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِمَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرَوِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ لَا نِعْمَةٌ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٧].

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة، أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضاً، عن أحوال كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ويقول ما حكاه الله عنه يقول: أئتتك لمن المصدقين، بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى، وكنا تراباً وعظاماً، ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لتنظر منزلة قريني هذا وما صار إليه.

قال كعب: «بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى». أي النافذة أو الفتحة في الحائط.

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [٥٠] قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي-أَهْلِنَا مُتَشَفِّينَ ﴿٥١﴾ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِ وَأَوْفَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الألباء، م ٢١٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثياب أهل الجنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَذْنٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۖ ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۖ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج: ٢٣].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٣].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۖ ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١].

وفي الحديث أن رجلاً قال يا رسول الله. أخبرنا عن ثياب أهل الجنة... خلقاً تُخلق أم نسجاً تُنسج؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «ممن تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً!!» ثم أكب رسول الله ﷺ ثم قال: «أين السائل؟» قال: هو ذا يا رسول الله، قال: «لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة»^(١).

وقال ﷺ: «لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوءه ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم»^(٢).

وعن أبي حازم قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه، فقلت له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»^(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيد سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٧٢٧٦)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٨٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٢٥٣٨) كتاب صفة الجنة، وأحمد (١٤٥٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٣٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٠) كتاب الطهارة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، قال: قلت يا رسول الله وما النصيف؟ قال: «الخمار»^(١).

وعن البراء قال: أهديت لرسول الله ﷺ حُلَّةَ حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال رسول الله ﷺ: «تعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين»^(٢).

ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا، فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش، وكان لا يأخذه في الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة وأثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله من فوق سبع سموات، ونعاه جبريل إلى النبي ﷺ يوم موته، فحق له أن تكون مناديله، التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حُلل الملوك.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لون أحسن من كوكب دري في السماء، لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها»^(٣).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(٤). وقال ﷺ: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»^(٥).

وسئل ابن عباس ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجرة فيها ثمرة كأنها الرمان، فإذا أراد

(١) حسن: رواه أحمد (٩٩٠٠)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٠٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٨) كتاب فضائل الصحابة من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٦/٣)، رقم (١١١٤٢)، والترمذي (٤/٦٧٠، رقم ٢٥٢٢) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٥٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه أحمد (١١٢٧٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٩٢٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.



ولى الله كسوة انحدرت إليها غصنها، فانفلقت عن سبعين حُلة ألوانا بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت.

نعمة القرآن... وجُلل الجنة

وعن ابن بريده عن أبيه يرفعه: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة، قال: ثم مكث ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول له: ما أعرفك فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى المُلْكُ يمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد فى درجة الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً»^(١)... [البطلة] السحرة [والغياية] ما أظلل الإنسان فوقه.

فرش الجنة

وأما الفرش فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]..... وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾^(٢) [الواقعة: ٣٤].

وعن عبد الله فى قوله: بطائنها من استبرق، قال: هذه البطائن قد خبرتم بها، فكيف بالظواهر؟ وأما البُسط والزرابى فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حَسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]

وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾^(٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ^(٤) وَفَارِشٌ مَصْفُوفَةٌ^(٥) وَزَرَائِفُ مَبْنُوتَةٌ^(٦)

[الغاشية: ١٣-١٦]

(١) أخرجه أحمد (٣٥٢/٥)، رقم (٢٣٠٢٥)، والدارمي (٥٤٣/٢)، رقم (٣٣٩١)، والعقيلي (١٤٣/١)، ترجمة ١٧٦ بشير بن المهاجر القنوي، واحاك ١٠٤٧، رقم ٢٠٠٠٠. وقال صحيح على شرط مسلم، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

وعن سعيد بن جبیر قال: [الرُفْرُف] رياض الجنة [والبقرى] عتاق الزرابى، وعن الحسن فى قوله تعالى: ﴿مُتَكِبِينَ عَلَى رُفْرٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال: هى البُسْط، وأما النمارق، فقال الواحدى: هى الوسائد.

غرف الجنة وقصورها

قال تعالى عن عباد الرحمن: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا كَسَبُوا وَيُلَاقُونَ فِيهَا نَجْوَةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبا: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ﴾ [الزمر: ٢٠].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتاب الصيام وصلى بالليل والناس نيام»^(١).

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»^(٢).

هل تريد بيتاً فى الجنة

فى هذا الزمان الذى طغت فيه الماديات والشهوات وانصرف فيه كثير من

(١) حسن: أخرجه أحمد (٣٤٣/٥)، رقم (٢٢٩٥٦)، قال الهيثمى (٣/١٩٢): رجاله ثقات، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١) من حديث أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها

الناس عن طاعة رب الأرض والسموات وانشغل فيه كثير من الناس بتشديد القصور والعمارات ظناً منهم أنهم مُخلدون في تلك الحياة... وهيئات هيهات، فلقد قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّينَ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ يَمَنُّ فَهُمْ لَمَخْلَدُونَ﴾ (٣١) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥].

فكان لابد لنا من وقفة لتأخذ بقلوب الناس إلى جنة الرحمن لتشتاق تلك القلوب إلى مساكن وقصور الجنة فلا ينشغلوا بجمع حُطام الدنيا، بل ويوحدوا الهمم فيجعلوا مقصودهم تحقيق العبودية لله [جل وعلا] وبذلك يربح كل مسلم دُنياه وآخرته. وإن كان المسلم قد حُرِم من قصور الدنيا وبيوتها الفانية الزائلة فليعلم يقيناً أن الله سيعوضه في الجنة بقصور تجرى من تحتها الأنهار... جدرانها من الذهب والفضة وملاطها المسك وتربتها من الزعفران. وتالله لو لم يكن في الجنة إلا نعمة الرضوان والنظر إلى وجه الرحمن لكان ذلك كافياً.

هذه خيمتك في الجنة

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتٌ فِي الْبَيْتِ﴾ (٧٢) [الرحمن: ٧٢]. وعن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»^(١).

وفي لفظ لمسلم: «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين. يطوف عليهم المؤمن».

وللبخاري وحده لفظ «طولها ثلاثون ميلاً» وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود، في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتٌ فِي الْبَيْتِ﴾ (٧٢) [الرحمن: ٧٢].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٢٤٣) كتاب بدء الوحي.

قال: دُر مجوف.

وعن أبي الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة».

وعن مجاهد: ﴿حُرْمَةٌ مَقْصُورَةٌ فِي لَيْلِيَّاءٍ﴾ (٧٢). قال: في خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة

واحدة.

وعن ابن عباس: ﴿حُرْمَةٌ مَقْصُورَةٌ فِي لَيْلِيَّاءٍ﴾. قال الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق طولها خمسون فرسخاً، يدخل عليه من كل باب منها ملك هدية من عند الله عز وجل، وذلك قوله: ﴿وَأَلْمَلَيْكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (١٣) [الرعد: ٢٣].... والله أعلم.

وأما السرر فقال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَجْنَهُمْ بِمِجْرَابٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾ (٢٠) [الطور: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١١) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَنِّيلِينَ (١٦) [الواقعة: ١٣-١٦]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْثُومَةٌ﴾ (١٣) [الغاشية: ١٣].

فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض، وأخبر أنها موضونة، والوضن في اللغة: التضيد والنسيج المضاعف. قال عطاء عن ابن عباس: قال سرر من ذهب مكلمة بالزبرجد والدر والياقوت. والسرير مثل ما بين مكة وأيلة.

وقال الكلبي: طول السرير في السماء مائة ذراع، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

إلا تريد نخلًا حول بيتك في الجنة؟!

أخي الحبيب: ألا تريد أن تزين بيتك في الجنة بالنخيل من حوله؟!... وإن كان بيتك والله ليس في حاجة إلى تزيين؛ لأن الذي أنشأ الجنة وغرس كرامتها هو الله [جل وعلا].

ولكن إن أردت المزيد فعليك بغراس الجنة.

قال ﷺ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرسَتْ له بها نخلة في الجنة» (١).

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٦٥) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٢٩) من حديث جابر رضي الله عنه.



وقال ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ أُسْرَى بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَأُ أَمْتَكَ مِنَ السَّلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التَّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْهَاءِ، وَأَنَّهَا قِيْعَانٌ، وَأَنَّ غُرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(١).

وقال ﷺ: «أَكْثَرُوا مِنْ غُرْسِ الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّهُ عَذْبٌ مَأْوَاهَا، طَيِّبٌ تُرَابُهَا، فَأَكْثَرُوا مِنْ غُرَاسِهَا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٢).

مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلٌ

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

وقال ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرَثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾»^(٣).

المؤمن يبنى بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار
قال مجاهد: ما من عبد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبنى بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة، ويبنى بيته الذي في النار، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم أطاعوا ربهم عز وجل.

بل قال ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلًا مِنَ الْكَفَّارِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا فِذَاؤُكَ مِنَ النَّارِ»^(٤).

(١) حسن: رواه الترمذی (٣٤٦٢) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانی فی السلسلة الصحيحة (١٠٥) من حديث ابن مسعود رضی اللہ عنہ.

(٢) حسن: أخرجه الطبرانی (١٢/٣٦٤، رقم ١٣٣٥٤)، وحسنه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (١٢١٣) من حديث ابن عمر رضی اللہ عنہما.

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢/١٤٥٣ رقم ٤٣٤١) قال البوصیری (٤/٢٦٦): هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٤١، رقم ٣٧٧)، وصححه العلامة الألبانی فی السلسلة الصحيحة (٢٢٧٩).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٩٢) كتاب الزهد، أحمد (١٩١٠٣)، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٧٧٨) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

من يكون في الفردوس الأعلى؟

قال تعالى عن وصف هؤلاء الذين يرثون الفردوس الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَا تَجُنُّرُهُمْ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَرِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» (١).

من يريد المساكن الطيبة في جنات عدن؟

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي وعدهم على إيمانهم بجنات وارقة الظلال، تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي لا بشين فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ﴿وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي ومنازل يطيب فيها العيش في جنات الخلد والإقامة.

قال الحسن: هي قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله.

وفي الحديث يقول الله تعالى لأهل الجنة: «يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تُعط أحدًا من

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٩٢) كتاب الجهاد والسير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خلقك! فيقول: أعطيكُم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْزَرٍ تُحِبُّونَ ۚ إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيَسْكُنُونَ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [الصف: ١٠-١٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْزَرٍ ۚ﴾ أى يا من صدقتم الله ورسوله وأمتتم بربكم حق الإيمان، هل أدلكم على تجارة رابحة جلييلة الشأن؟ والاستفهام للتشويق ﴿تُحِبُّونَ عَذَابَ أَلِيمٍ﴾ أى تخلصكم وتنفذكم من عذاب شديد مؤلم.. ثم بيّن تلك التجارة ووضحها فقال: ﴿تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إيماناً صادقاً، لا يشوبه شك ولا نفاق ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ أى وتجاهدوا أعداء الدين بالمال والنفس، لإعلاء كلمة الله. فنبّه هذا الثواب والنجاة من العذاب بالتجارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ قال الإمام الفخر: والجهاد ثلاثة أنواع:

- ١- جهاد فيما بينه وبين نفسه، وهو قهر النفس ومنعها عن اللذات والشهوات.
- ٢- وجهاد فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم.

٣- وجهاد أعداء الله بالنفس والمال نصرةً لدين الله ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى ما أمرتكم به من الإيمان والجهاد في سبيل الله، خير لكم من كل شيء في هذه الحياة، إن كان عندكم فهم وعلم ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ هذا جواب الجملة الخبرية ﴿تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لأن معناها معنى الأمر أى آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله فإذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم أى يسترها عليكم، ويمحها بفضله عنكم ﴿وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أى ويدخلكم حدائق وبساتين، تجرى من تحت قصورها أنهار الجنة ﴿وَسَيَسْكُنُونَ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ أى ويسكنكم في قصور رفيعة في جنات الإقامة ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ أى ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه، والسعادة

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

الدائمة الكبيرة التي لا سعادة بعدها.

من كان عبداً للرحمن... فاز بالغرفة في أعلى الجنات

قال تعالى عن صفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَشَوَّنَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِتَابَتِ رِيَّتُهُمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْفِقِينَ إِمَامًا ۝﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٤].

فمن اتصف بصفات عباد الرحمن كان جزاؤه في الآخرة كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا كَسَبُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبِيبَةً وَسَلَامًا ۝ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

قال الإمام القرطبي: وصف تعالى «عباد الرحمن» بإحدى عشرة خصلة هي أوصافهم الحميدة من التحلى، والتحلّى، والتواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والبعد عن الشرك، والنزاهة عن الزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، وقبول المواعظ، والابتغال إلى الله، ثم بين جزاءهم الكريم وهو نيل الغرفة أى الدرجة الرفيعة وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا.

الغرف العلى من الجنة هؤلاء:

عن نعيم بن همار أن رجلاً سأل النبي ﷺ، أى الشهداء أفضل؟ قال: «الذين إن يلقوا فى الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك ينطلقون فى الغرف العلى من

الجنة. ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه^(١).

الفائزون بالخرف في الجنة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٨].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى جمعوا بين إخلاص العقيدة وإخلاص العمل ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا﴾ أى لننزلنهم أعلى الجنة ولنسكننهم منازل رفيعة فيها ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أى تجرى من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أى ماكين فيها إلى غير نهاية لا يخرجون منها أبداً ﴿نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أى نعمت تلك المساكن العالية في جنات النعيم أجراً للعاملين ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩] هذا بيان للعاملين أى هم الذين صبروا على تحمل المشاق من الهجرة والأذى في سبيل الله، وعلى ربهم يعتمدون في جميع أمورهم.

قال في البحر: وهذان جماع الخير كله: الصبر، وتفويض الأمر إليه تعالى.

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَفَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ غُرٌّ مِنْ فَوْقِهَا غُرٌّ مَبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلُفُ اللَّهُ الْوَعْدَ﴾ [الزمر: ٢٠].

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَفَوْا رَبَّهُمْ﴾ أى لكن المؤمنون الأبرار، المتقون لله في الدنيا، المتمسكون بشريعته وطاعته ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ غُرٌّ مِنْ فَوْقِهَا غُرٌّ مَبْنِيَّةٌ﴾ أى لهم في الجنة درجات عالية وقصور شاهقة بعضها فوق بعض مبنية من زبرجد وياقوت ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أى تجرى من تحت قصورها وأشجارها أنهار الجنة من غير أخدود ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلُفُ اللَّهُ الْوَعْدَ﴾ أى وعدهم الله بذلك وعداً مؤكداً لا يمكن أن يتخلف؛ لأنه وعد العزيز القدير.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ يَمَٰعِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبا: ٣٧].

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٩٧٠)، وصححه العلامة الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧١) من

حديث نعيم بن عمار رضي الله عنه.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُفَرِّقُكُمْ عِنْدَازِلْفَجٍ﴾ أى ليست أموالكم ولا أولادكم التى تفتخرون بها وتكاثرون هى التى تقربكم من الله قربي، وإنما يقرب الإيمان والعمل الصالح... قال الطبرى: الزلفى: القربى، ولا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، ولهذا قال تعالى بعده: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أى إلا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله، ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح فإن هذا الذى يقرب من الله ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ أَضْعَافٍ بِمَا عَمِلُوا﴾ أى تضاعف حسناتهم، الحسنة بعشر أمثالها وبأكثر إلى سبعمئة ضعف ﴿وَهُمْ فِي الْفُرُقَاتِ ءَامِنُونَ﴾ أى وهم فى منازل الجنة العالية آمنون من كل عذاب ومكروه.

عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى والذى نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(١).

الشهداء... وخير منزل

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤْتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة، فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! خير منزل، فيقول: سل وتمنّ، فيقول: يا رب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردّنى إلى الدنيا، فأقتل فى سبيلك عشر مرار، لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتى بالرجل من أهل النار، فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! شرّ منزل، فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهباً؟ فيقول: أى رب! نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقلّ من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار»^(٢).

الشهداء فى خيمة الله تحت عرشه

عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القتلى ثلاثة: مؤمن جاهد

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٥٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٢٧٥٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

بنفسه وماله في سبيل الله، إذا لقي العدو قاتل حتى قتل، قال النبي ﷺ فيه: «فذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله تحت عرشه لا يفضلُه النبيون إلا بدرجة النبوة، ومؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل»^(١)...

الحديث.

بيت في الجنة لمن آمن بالنبي ﷺ وهاجر وجاهد في سبيل الله.

قال ﷺ: «أنا زعيمٌ لمن آمنَ بي وأسلمَ وهاجرَ بيبي في ربضِ الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، وأنا زعيمٌ لمن آمنَ بي وأسلمَ وجاهدَ في سبيل الله بيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلباً، ولا من الشرِّ مهرباً، يموتُ حيث شاء أن يموت»^(٢).

كَرْجُ الْجَنَّةِ وَغَرْفُهَا... لِقَارِئِ الْقُرْآنِ

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، فسمعتَه يقول: «تعلَّموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، ثم سكت ساعة، ثم قال: «تعلَّموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما تظلمان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف. وإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك بالهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك يمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلّتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً»^(٣).

(١) حسن: رواه أحمد (١٧٢٠٤)، والدارمي (٢٤١١) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٠) من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه النسائي (٣١٣٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٠٠) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (٢٢٤٤١)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

بيت في أعلى الجنة لصاحب الخلق الحسن

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» ^(١). والزعيم: الضامن.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً. وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون» ^(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق. وإن الله يفيض الفاحش البذي» ^(٣). «البذي»: هو الذي يتكلم بالفحش، وردى الكلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفسم والفرج» ^(٤).

وعنه قال قال رسول الله ﷺ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» ^(٥).

(١) حسن زواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) حسن زواه الترمذي (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) صحيح زواه الترمذي (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) حسن زواه الترمذي (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) صحيح زواه الترمذي (١١٦٢) كتاب الرضاع، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(١).

الجب في الله.... وغرف الجنة

قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٧) [الزخرف: ٦٧].
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١٠) [الحجرات: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١٠)

[الحشر: ١٠].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُتَحَابِّينَ لَتَرَى غُرْفَهُمْ فِي الْجَنَّةِ كَالْكُوكَبِ الطَّالِعِ الشَّرْقِيِّ أَوِ الْغُرْبِيِّ، فَيُقَالُ: مَنْ هَؤُلَاءِ فَيُقَالُ: الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»^(٣).

وقال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ»^(٤).

بيت في الجنة لمن ترك المراء والمكذب

قال ﷺ: «أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمَرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذْبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»^(٥).

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني في المشكاة (٥٠٨٢) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد (٨٧/٣)، رقم ١١٨٤٧ قال الهيثمي (٤٢٢/١٠): رجاله رجال الصحيح.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٥٧٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٢) من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٥) حسن: وقد تقدم.

غرف في الجنة... لمن أطعم الطعام وإلّا الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»^(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»^(٢).

قصر الرياء للحائمين

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»^(٣). فتدبر يا أخى..

مسمى الباب: «الريان» من الرى، والرى ضد الظمأ، مسمى الباب يبعث على الرى، وأول الغيث قطرة، إن ذكر الماء في الصحراء؛ يقلل من شدة العطش، فما ظنك بالداخل؟!..

رى الدنيا عطش، والرى رى الآخرة، والجزاء من جنس العمل.
من صام عن شهوته في الدنيا، أدركها غداً في الجنة، ومن صام عما سوى الله، فعيده يوم لقائه.. ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾ [المنكبات: ٥].

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.



وقد صُمْتُ عن لذاتِ دهرى كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى
 بالله، انظر كيف يكون الجزاء من جنس العمل.. صورة حسية تُشاهد وتُعاين:
 «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب إنى منعتك الطعام
 والشهوات بالنهار، فشفعنى فيه، يقول القرآن: رب منعتك النوم بالليل، فشفعنى فيه،
 فيشفعان»^(١).

فطوبى..

لمن جَوَّع نفسه ليوم الشبَع الأكبر..

طوبى..

لمن أظْمَأ نفسه، ليوم الرِّىِّ الكامل..

طوبى..

لمن ترك شهوات حياة عاجلة لموعد غيب لم يره..

متى اشتد عطشك إلى ما تهوى، فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الرِّىِّ الكامل.

بيت في الجنة... لمن بنى مسجداً لله...

قال ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة»^(٢).

وقال ﷺ: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاةٍ أو أصفر بنى الله له بيتاً في

الجنة»^(٣).

فيا من امتن الله عليك بنعمة المال لا تبخل وابن لله مسجداً لتنال الأجر والمثوبة
 في الدنيا والآخرة، وذلك بأن الله يجعل صلاة من يصلى في هذا المسجد في ميزان
 حسناتك بل ويكرمك بأن يبنى لك بيتاً في الجنة... ألا تريد بيتاً في الجنة؟!.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٧٤/٢)، رقم ٦٦٢٦، والطبراني كما في مجمع الزوائد (١٨١/٣) قال الهيثمي

رجال الطبراني رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٣) كتاب المساجد ومواضع السجود من

حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٧٣٨) كتاب المساجد والجماعات، وصححه العلامة الألباني في صحيح

الترغيب والترهيب (٢٧١).

يا هذا... بيوت الدنيا من طين وحجر وتراب، ومدّر وحديد وخشب، وجريد وقصب، إن لم يُكنس كثرت فيه القمامة، وإن لم يسرج فما أشد ظلامه، وإن لم يتعاهد بالبناء فما أسرع انهدامه، وإن تعاهدته فمآله إلى الخراب، وعن قريب يصير كالتراب، يتفرق عنه السكان، وتنتقل عنه القطان، يعفو أثره، ويندرس خبره، يمحي رسمه، وينسى اسمه.

فأين أنت.. من دار باقية، قصورها عالية، أنهارها جارية، قطوفها دانية، أفراسها متوالية، لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، لا تعب فيها كلا ولا نصب، وملاطها المسك الأذفر.. فهل سمعت عن ملاط من مسك؟! وحصاؤها اللؤلؤ والجوهر.

فمن بنى لله بيتًا.. بنى الله له بيتًا في الجنة والجزاء من جنس العمل.
قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْفُرْقَةَ بِمَا كَسَبُوا وَيُفْقَرُونَ فِيهَا مَحْيَاةً وَسَلَامًا﴾

[الفرقان: ٧٥]

اليوم يحضر العبد بيته لأداء العبادة، وينقل أقدامه إلى المساجد، وغداً يجازيهم بأن يكفيهم قطع المسافة، فهم في مستقر عزهم يسمعون كلام الله، وينظرون إلى الله.
بيت في الجنة... باثنتي عشرة ركعة كل يوم

قال ﷺ: «من ثابر على اثنتي عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتًا في الجنة أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر»^(١).

وقال ﷺ: «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة» أو «بنى له بيت في الجنة»^(٢).

صلاة الرخصى وبيت في الجنة

قال ﷺ: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهى عن

(١) صحيح: رواه الترمذى (٤١٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٧٩٤) كتاب قيام الليل وتطوع النهار،

وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٨٥٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٢٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

المنكر صدقة، ويجزى من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى^(١).

وقال ﷺ: «من صلى الضُّحى أربعاً وقبل الأولى أربعاً بُنِيَ له بيت في الجنة»^(٢).

بيت في الجنة... لمن سد فرجة في الصف

قال ﷺ: «من سدَّ فرجةً بنى الله له بيتاً في الجنة ورفع به درجةً»^(٣).

منزل في الجنة... لمن عاد مريضاً

قال ﷺ: «من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه منادُ أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»^(٤).

وقال ﷺ: «إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع»^(٥).

بيت في الجنة بدعاء السوق

قال ﷺ: «من دخل السُّوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبني له بيتاً في الجنة»^(٦).

وذلك لأن الغالب على أهل الأسواق أنهم في غفلة شديدة عن ذكر الله.. بل ومنهم من يحلف بالله كاذباً من أجل أن يبيع سلعته. فإذا جاء المسلم ودخل السوق وذكر الله جل وعلا بين أهل الغفلة فإن الله يُجزل له الأجر والمثوبة. وهذا كله كشأن المؤمن في أيام الفتن والهرج عندما يتمسك بدينه فإن الله يعطيه أجر خمسين شهيداً كما جاء في الحديث الصحيح..

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) حسن: أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢/٢٣٨). وأخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط (٥/٨٨)، رقم: (٤٧٥٣)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٣٤٠) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) صحيح للغير: أخرجه المحاملي في «الأمالي» (ق ٣٦ / ٢)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٩٢).

(٤) حسن للغير: رواه الترمذی (٢٠٠٨) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (١٤٤٣) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٧٤).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٨) كتاب البر والصلة والآداب من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٦) حسن: رواه الترمذی (٣٤٢٨) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٢٣١).

بيت الحمد في جنة الرحمن جل وعلا

عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ماتَ ولدُ العبدِ قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقولُ اللهُ تعالى: ابنُوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيتَ الحمد» ^(١).

حمدك واسترجع: أى قال: الحمد لله وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.
وقد قال تعالى عن هذا الصنف الكريم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْفُتُورِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّائِرِينَ﴾ ^(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ^(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ ^(١٥٧) ﴿
[البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وهذه والله ثمرة من ثمرات الرضا بقضاء الله جل وعلا.

أهل الجنة لا ينامون

قال ﷺ: «النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة» ^(٢).
وهذا من كمال رحمة الله لأن الجنة دار النعيم... والنوم يُقَوِّت على أهل الجنة بعض هذا النعيم فكان من رحمة الله جل وعلا أن جعل أهل الجنة في نعيم دائم لا يفوتهم منه شيء... بل إنهم ينتقلون من لذة إلى لذة أعلى ومن نعيم إلى نعيم أكبر.... فنسأل الله تعالى من فضله.

خبر أهل الجنة

قال تعالى: ﴿يَلُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٨﴾﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨]. وقال تعالى: ﴿﴿ وَيَلُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩].

(١) حسن: رواه الترمذى (١٠٢١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى في صحيح الجامع (٧٩٥).
(٢) صحيح: رواه الطبرانى في الأوسط (٣٤٢/٨) رقم ٨٨١٦، وصححه العلامة الألبانى في السلسلة الصحيحة (١٠٨٧).

وقد اختلف في هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله في الجنة إنشاءً؟ على قولين: قال علي بن أبي طالب والحسن البصري: هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدام أهل الجنة، وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها.

ومن أصحاب هذا القول من قال: هم أطفال المشركين، فجعلهم الله خدماً لأهل الجنة. وأصحاب القول الأول لا يقولون: إن هؤلاء أولاد وُلدوا لأهل الجنة فيها، وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم الله في الجنة كما أنشأ الحور العين.

قال الإمام ابن القيم: والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدماً لهم وغلماناً، كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ﴾ (الطور: ٢٤) وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلماناً لهم.

وأيّن أطفال المؤمنين

وإن كان النبي ﷺ قد أخبر بأن أطفال المشركين هم خدام أهل الجنة فيا ترى ما هو حال أطفال المؤمنين؟.

قال ﷺ: «أطفال المؤمنين في جبل من الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة»^(١).

أي حتى يجمع الله بينهم وبين آبائهم في الجنة لتكتمل فرحتهم وسعادتهم في جنة الرحمن جل وعلا... قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَأَلْقَيْنَهُمْ دُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَكُلٌّ آمِرٌ فِيمَا كَسَبَ رَبِّهِمْ﴾ (الطور: ٢١).

وعن ابن عباس رضيهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه» ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَأَلْقَيْنَهُمْ دُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: ما نقصنا الآباء عما أعطينا البنين - الأبناء -^(٢).

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/٣٢٦، رقم ٨٣٠٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٠٢٣).

(٢) صحيح: أخرجه الديلمي (٢/٢٤٥، رقم ٣١٥٥). وأخرجه أيضًا: البزار كما في كشف الأستار =

نساء أهل الجنة

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

والأزواج: جمع زوج، والمرأة زوج للرجل وهو زوجها، وهذا هو الأصح، وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

والمطهرة: من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قدر وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهر أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [٥١] فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمُ الْبَاقِيَ ﴿٥٦﴾

[الدخان: ٥١-٥٦].

فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار، وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضاً وتمام اللذة بالحوار العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضررتها وغائلتها، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتاً.

وقال مقاتل: حور العين: حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب، وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع: فمها وخرق أذنهما وأنفهما وما هنالك ويستحب السعة منها في أربعة مواضع: عينها وكاهلها - وهو ما بين كتفيها - وجهتها، ويستحب البياض منها في أربعة مواضع: لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها.

وقوله: ﴿كَانَتْ لَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨].

قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، وشبههن في

صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله: أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير، فيرى بياض ساقها من ورائهن ذلك بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٨٨). ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

وقال تعالى: ﴿فَبَيْنَ قَصِيرَتِ الطَّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْرَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٨٩) فَيَأْتِي الْآءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ (٩٠) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٨٨) [الرحمن: ٥٦-٥٨].

وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع: أحدها هذا. والثاني: قوله تعالى: في الصافات: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الطَّرَفِ عَيْنٌ (٩١)﴾ [الصافات: ٤٨]. والثالث: قوله تعالى في سورة (ص): ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ (٩٢)﴾ [ص: ٥٢]. والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم. وعن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات.

وأما الأتراب فجمع ترب

قال ابن عباس وسائر المفسرين: مستويات على سن واحدة وميلاً واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٩٣) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٩٤) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٩٥)﴾ [النبا: ٣١، ٣٣]. فالكواعب: جمع كاعب وهي الناهد.

وأصل اللفظة من الاستدارة. والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلّية إلى أسفل.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم في الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها. ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ولملأته ريحاً. ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» (١).

(١) صحيح: رواه ابن حبان (١٦/ ٤١١ رقم: ٧٣٩٨)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على =

وعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله، هل نصل إلى نساءنا في الجنة؟ فقال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء. يعنى في الجنة»^(١).
وقال ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة يُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع»^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ۖ فَمَلَئْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرًّا أَزْوَاجًا ۖ لَّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٨].

قال قتادة وسعيد بن جبیر: خلقناهن خلقاً جديداً، وقال ابن عباس: يريد نساء الآدميات، وقال الكلبي ومقاتل: يعنى نساء أهل الدنيا العجز الشمط، يقول تعالى: خلقناهن بعد الكبر والهرم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكبٍ دري في السماء، لكل امرئٍ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخَّ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»^(٣).

أفضل نساء أهل الجنة

قال ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنتُ خُوَليدٍ، وفاطمة بنتُ محمدٍ، ومريم بنتُ عمرانَ، وآسية بنتُ مُراحمٍ، امرأةُ فرعون»^(٤).

= شرط مسلم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧٤).

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٦٩ /) والضياء في «صفة الجنة» (٨٢ / ٢)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٦٧).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧، رقم ١٩٢٨٨)، وهناد (١/ ٧٣، رقم ٦٣)، وعبد بن حميد (ص ١١٣، رقم ٢٦٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣٧٩) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣١٦، رقم ٢٩٠٣)، والطبراني (١١/ ٣٣٦، رقم ١١٩٢٨)، والحاكم (٢/ ٥٣٩، رقم ٣٨٣٦) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١١٣٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وبالها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

غناء الحور العين

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤَيِّدُ بِنَفَرٍ مِّنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (١٥) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (١٥) [الروم: ١٤، ١٥].

عن يحيى بن أبي كثير في قوله عز وجل: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ قال الحبرة: اللذة والسماع.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلسن: نحن الحور الحسان، نُحْبِنَا لأزواج كرام»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط... إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغنين به نحن الخالدات فلا يمتهن نحن الآمات فلا يخفهن، نحن المقييات فلا يظعنهن»^(٢).

الحور العين تطلبك من الله - عز وجل -

قال ﷺ: «لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنها هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»^(٣).

- والمؤمن إذا دخل الجنة يكرمه الله عز وجل بزوجتين من الحور العين... وهذا هو الذي أخبر عنه الحق جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ

(١) صحيح: أخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٣٢/٧)، رقم (٣٣٩٨٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (١٦/٧)، والطبراني في الأوسط (٣١٢/٦)، رقم (٦٤٩٧) قال الهيثمي (٤١٩/١٠): رجاله وثقوا، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٤٨٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في الصغير (٣٥/٢)، رقم (٧٣٤)، وفي الأوسط (١٤٩٥)، رقم (٤٩١٧). قال الهيثمي (٤١٩/١٠): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٥٦١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (١١٧٤) كتاب الرضاع، وابن ماجه (٢٠١٤) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧١٩٢) من حديث معاذ رضي الله عنه.

أَفَرَدَّوْسٍ نُّزْلًا ﴿١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧].. فالنُّزْل هو ما أُعد للضيف.

وهذا الأمر لا يتعارض مع كون عدد الأزواج قد يصل إلى سبعين أو أكثر، فإن الله يكرم المؤمن بالزوجتين عند دخول الجنة ثم يكرمه بعد ذلك بزوجات على قدر منزلته في الجنة... والله أعلم.

فَلِمَا تَحْلَمُ نَفْسُ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿١١﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(١). مصداق ذلك في كتاب الله ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

يَا وَلِيَّ اللَّهِ! أَمَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟

قال ابن عباس رضي الله عنه وذلك أن ولي الله في الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام، وهو قول الله عز وجل ﴿ وَفُتِحَتْ مَرْفُوعَةٌ ﴾ ﴿٣١﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زمرد أخضر، وعلى السرير سبعون فراشا حشوها النور، وظواهرها السندس، وبطائنهما من استبرق، ولو دلى أعلاها فراشا ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عامًا.

وعلى السرير أريكة وهي الحجلة وهي من لؤلؤة عليها سبعون سترًا من نور، وذلك قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ وَأَوَّجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْأَيْكِ مُشْكُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ [يس: ٥٦] يعني ظلال الأشجار، ﴿ عَلَى الْأَرْأَيْكِ ﴾ يعني الأسرة في الحجال، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عامًا، فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة تناديه: يا ولي الله أَمَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟ فيقول: حبيبتي من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتي قال

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله فيهن: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قال: فيطير سريره، أو قال كرسى من ذهب له جناحان، فإذا رآها فهي تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عامًا لا تمل منه ولا يمل منها، فإذا رفع رأسه رأى نورًا ساطعًا في داره، فيعجب فيقول: سبحان الله أملك كريم زارنا؟ أم ربنا أشرف علينا؟ فيقول الملك وهو على الكرسى من نور بينه وبين الملك سبعون عامًا، والملك في حجبته في الملائكة: لم يترك ملك ولم يشرف عليك ربك عز وجل، فيقول: ما هذا النور؟

فيقول الملك: إنها زوجتك الدنيوية وهي معك في الجنة، وإنها اطلعت عليك ورأتك معانقًا لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذي تراه في دارك هو نور ثنایاها، فيرفع رأسه إليها فتقول: يا ولي الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول له: يا ولي الله أما أنا فمن اللواتى قال الله عز وجل فيهن: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] قال: فيطير سريره إليها، فإذا لقيها فهي تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور؛ لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل، فهي إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة؛ لأن أولئك أنبتن نباتًا، فيعانق هذه مقدار أربعين عامًا لا تمل منه ولا يمل منها، ثم إنها تقوم بين يديه وخلخلها من ياقوت، فإذا وطئت يسمع من خلخلها صوت صفير كل طير في الجنة، فإذا مس كفها كان ألين من المخ، ويشم من كفها رائحة طيب الجنة، وعليها سبعون حُلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب، خلقت من نور، والحلل عليها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ، وتلك الحلل أرق من نسج العنكبوت، وهو أخف عليها من النقش، وأنه يرى مخ ساقها من صفائها ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد والحلل، مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤]، وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿لِلْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

طوبى لك يا لعبة !!!

ذكر الأوزاعى عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: «إن في الجنة حوراء يقال

لها اللعبة، كل حور الجنات يعجب بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجذوا في طلبك... بين عينيها مكتوب: مَنْ كان يتغنى أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي».

الأخت المسلمة أجمل من الحور العين

وعلى الرغم من كل ما ذكر عن جمال الحور العين، إلا أن الأخت المؤمنة الصابرة على طاعة الله جل وعلا، وعلى طاعة زوجها المؤمن... يكون جمالها في الجنة أفضل من جمال الحور العين سبعين ضعفاً؛ لأنها هي التي صلت وصامت وتحملت أعباء الدعوة وتكاليف الإيمان.

فإن كنت أيتها الأخت المؤمنة تريدين أن تكوني جميلة مثل فلانة من الفنانات أو غيرهن فاعلمي أنك ستكونين في الجنة أجمل من أجمل حوراء في جنة الرحمن جل وعلا، بشرط أن تصبري حتى تلقى الله على الطاعة والإيمان... وأنت الآن والله - بحجابك وإيمانك وحيائك - أجمل من أجمل امرأة، فاصبري يا أختاه حتى تلقى رسول الله ﷺ على الحوض وحتى تنظري إلى وجه الله جل وعلا.

سيّد شباب أهل الجنة

قال ﷺ: «أتاني جبريل فبشرني أن الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة»^(١).

لقد كان النبي ﷺ يحبهما حباً جماً ويقول: «هما ريحاناي من الدنيا»^(٢).

وعن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ في طائفة النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع فجلس بفناء بيت فاطمة فقال: أئنم لُكعُ، أئنم لُكعُ؟ فَحَبَسَتْهُ شَيْئاً فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلَبِّسُهُ سَخَاباً أَوْ تُغْسِلُهُ فَجَاءَ يَشْتَدُّ حَتَّى عَانَقَهُ وَقَبْلَهُ وَقَالَ: «اللهم أَحِبَّهُ وَأَجِبْ مِنْ يُحِبُّهُ»^(٣).

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد (١/٢٦٥ رقم ٢٠٤)، والحاكم (٣/٤٢٩، رقم ٥٦٣٠)، وصححه الذهبي،

وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٧٥٣) كتاب المناقب من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٢٢) كتاب البيوع، - سلم (٢٤٢١) كتاب فضائل الصحابة من حديث =

فاللهم إنا نُشهدك أننا نحبه فأحبنا يارب العالمين.
وعن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُصلي فإذا سَجَدَ وثَبَّ الحسنُ والحسينُ على ظهره فإذا أرادوا أن يمنعوها أشار إليهم أن دَعَوْهُمَا فإذا قضى الصلاة وضعهُمَا في حجره قال: «من أحبني فليُحب هَذَيْنِ»^(١).
وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسنُ إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «ابني هذا سيدٌ، ولعل الله أن يُصلِحَ به بين فئتين من المسلمين»^(٢).

وعن عقبة بن الحارث قال: «رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحَمَلَ الحسن وهو يقول: بأبي شبيهٌ بالنبي، ليس شبيهٌ بعلي... وعلى يضحك»^(٣).

سوق الجنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسْنًا وجمالًا، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حُسْنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا وجمالًا»^(٤).

نداءات يسمعونها أهل الجنة

وها هي جملة من النداءات التي يسمعونها أهل الجنة.
عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تمروا

= أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) حسن: أخرجه ابن عساکر (٢٠٠ / ١٣)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٧٠٤) كتاب الصلح من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٥٤٢) كتاب المناقب من حديث عقبة بن الحارث رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس رضي الله عنه.

أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبَاسُوا أَبَدًا... فذلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتُودُوا أَنْ تَتَلَكَّمُوا لِبَنَةِ أَوْرَشُومَهَا بِمَا كُتِبَتْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٣) ﴿[الأعراف: ٤٣]﴾^(١).

وعن صهيب رضي الله عنه أَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٌ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا، يَرِيدُ أَنْ يَنْجِزَ كَمَوْهُ فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يَثْقُلَ اللَّهُ مَوَازِينَنَا وَبَيَّضَ وَجُوهَنَا، وَيدْخُلَنَا الْجَنَّةَ، وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا أَقْرَ لَأَعْيُنِهِمْ»^(٢).

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لِيَبْكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَارَبِّ وَآيَ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحَلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٣).

تربة الجنة

قَالَ ﷺ: «أَرْضُ الْجَنَّةِ خَبْزَةٌ بِيضَاءُ»^(٤).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنَا عَنْ الْجَنَّةِ مَا بَنَآؤُهَا قَالَ: «لَبَنَةٌ ذَهَبٌ وَلَبَنَةٌ فِضَّةٌ وَمَلَاطُهَا الْمَسْكُ وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ وَتَرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ وَيُخْلَدُ لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ..» الْحَدِيثُ^(٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٣، رقم ١٨٩٦١)، وابن ماجه (١/ ٦٧، رقم ١٨٧)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٨١)، وابن حبان (١٦/ ٤٧١، رقم ٧٤٤١). وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى (٦/ ٣٦١، رقم ١١٢٣٤)، وصححه العلامة الألباني كما في شرح الطحاوية (٢٠٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥١٨) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) صحيح: أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٩٩، رقم ٥٩٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٩٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) حسن لغيره: رواه أحمد (٧٩٨٣)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧١١) =



وعن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «.... ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»^(١). وهو قطعة من حديث المعراج. فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تعارض بينها، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين: المسك والزعفران. ويحتمل معنيين آخرين. أحدهما: أن يكون التراب من زعفران، فإذا عُجن بالماء صار مسكًا، والطين يسمى ترابًا.

المعنى الثاني: أن يكون زعفرانًا باعتبار اللون مسكًا باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء يكون، البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك.

انهار الجنة وعيونها ومجراها

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الدخان: ٥١، ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦].

قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾، عن سعيد قال: «نضاختان بالماء والفواكه». وعن أنس قال: «نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا». وعن البراء قال: اللتان تجريان أفضل من النضاختين، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض

=من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٢٣) كتاب الإيمان من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

له في الدنيا، فأفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصاً، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها. وآفة العسل عدم تصفيته.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم، وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم. والله أعلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رفعت إلى سدة المتهى متهاها في السماء السابعة نبقها مثل قلال حجر وورقها مثل آذان الفيلة فإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأما الظاهران فالنيل والفرات وأما الباطنان فنهران في الجنة وأوتيت بثلاثة أقذاح قدح فيه لبن وقدح فيه عسل وقدح فيه خر فأخذت الذي فيه اللبن فشربت فليل لي أصبت الفطرة أنت وأمتك»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة»^(٢).

وأما العيون فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

وقال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم.

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِلًا ۝﴾

[الإنسان: ١٧، ١٨].

فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً وأن شراب الأبرار يُمزج منها؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرْكَانِ يَقُولُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ ۝ خِتْمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝﴾

(١) صحيح: رواه البخاري (٢١٢٨/٥)، رقم (٥٢٨٧)، والحاكم (١٥٤/١)، رقم (٢٧١) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٥١٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٨٣/٤)، رقم (٢٨٣٩).

﴿٣٨﴾ وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٣٩﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٤٠﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨].

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين؟ بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، وما يحدث لهم باجتماع الشرايين. ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألفت موقع ذكر الكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مُزج أولاً بالكافور. وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعده.

قال ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً»^(١).

وعن سماك: أنه لقي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالمدينة بعدما كف بصره، فقال: يا ابن عباس! ما أرض الجنة؟ قال: مرمة بيضاء من فضة كأنها مرآة قلت: ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي يكون فيها طلوع الشمس؛ فذلك نورها؛ إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير. قلت: فما أنهارها؟ في أخدود؟ قال: لا، ولكنها تجري على أرض الجنة، مستكنة، لا تفيض ها هنا ولا ها هنا، قال الله لها: كوني! فكانت...».

من أنهار الجنة

قال ﷺ: «سبحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة»^(٢).

وقال ﷺ: «فجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات والنيل وسبحان وجيحان»^(٣).

أشجار الجنة وبساتينها

قال تعالى: ﴿وَأَحْمَبُ الْيَمِينِ مَا أَحْمَبُ الْيَمِينِ ﴿٣٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٣٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٣٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٤٠﴾ وَمَاوٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٤١﴾ وَفَنَكِهِمْ كَبِيرٌ ﴿٤٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٣].

(١) صحيح: رواه أحمد (١/٢٦٦، رقم ٢٣٩٠) قال الهيثمي (٥/٢٩٤): رجاله ثقات، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٧٤٢).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) حسن: رواه أحمد (٢/٢٦٠، رقم ٧٥٣٥)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤١٩٦).

والمخضود: الذي قد خضد شوكة أى نزع وقطع، فلا شك فيه هذا قول ابن عباس ومجاهد.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فِيْهَا أَلَاءٌ رَّيَكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٧ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۝١٨﴾

[الرحمن: ٤٦-٤٨]

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝١١ فِيْهَا أَلَاءٌ رَّيَكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٢ مُدْهَاتَانِ ۝١٣﴾

[الرحمن: ٦٢-٦٤]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكرفها ذهب أحمر، وسعفها كسوة الجنة منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيها عجم».

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها»^(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»^(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﻋَزَّ وَجَلَّ: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»^(٣).

وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَبَطْنٌ مِّنْ دُونِهِمْ ۝٣٠﴾.

وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَمَنْ زُحْنِحَ عَنِ النَّكَارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْفُتُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٩٨/٥)، رقم (٦١٨٦)، ومسلم (٢١٧٦/٤)، رقم (٢٨٢٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٦٧١/٤)، رقم (٢٥٢٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٤٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١١٨٥/٣)، رقم (٣٠٧٢)، ومسلم (٢١٧٤/٤)، رقم (٢٨٢٤).

وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾ (٥٥) [الدخان: ٥٥]. وهذا يدل على أنهم من انقطاعها ومضرتها. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْبَلَدُ الْأَمْنِيُّ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٣) [الزخرف: ٧٢، ٧٣].

وقال: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٨) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٣) [الحاقة: ٢١-٢٣]. أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء.... قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم. وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّنُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ (١١) [الإنسان: ١٤].

قال ابن عباس: إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد.

قال تعالى: ﴿وَيَسِّرِ الْآزِيزُ أَمْسُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥) [البقرة: ٢٥].

وأما قوله - عز وجل -: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا﴾، قال الحسن: خيار كله لا رذل. ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه، وأن ذلك ليس فيه رذل؟

وقال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءه. كما كانوا في الدنيا... التفاح بالتفاح، والمان بالمان. قالوا في الجنة: هذا الذي رُزِقنا من قبل وأتوا به متشابهًا يعرفونه. وليس هو مثله في الطعم.

قال ﷺ: «ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء»^(١).

ريح الجنة

قال ﷺ: «من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً»^(٢).

ونحن نعلم جميعاً كيف كان بعض أصحاب الرسول ﷺ يجدون ريح الجنة وهم

(١) صحيح: رواه الضياء (١٠/١٦، رقم ٦). وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٤١٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/٢٣٧، رقم ١٠٠٩٧)، نسائي (٨/٢٥، رقم ٤٧٤٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤١).

في أرض الشرف والجهاد.

فها هو أنس بن النضر رضي الله عنه يقول لسعد بن معاذ رضي الله عنه: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إنني أجد ريحها من دون أحد.

- بل وهذا سعد بن الربيع رضي الله عنه يقول لزيد بن ثابت رضي الله عنه لما أرسله إليه النبي ﷺ بعد غزوة أحد فوجده في الرمق الأخير فقال له: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرني كيف نجدك؟» فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف. وفاضت نفسه من وقته.

وريح الجنة نوعان: ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العباد، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان، كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قُربٍ ومن بُعد، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول. والله أعلم.

درجات الجنة

قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنِ بَاءَ يَسْخَطُونَ اللَّهَ وَمَا لَهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ۝﴾ (آل عمران: ١٦٢، ١٦٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝﴾ (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝) (٢) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾ (الأنفال: ٢-٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۝﴾ (طه: ٧٥).

وقال تعالى: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝﴾

(الأنعام: ٢١).

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ

الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفُلَيْدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

[النساء: ٩٥، ٩٦].

عن ابن محيريز قال: «فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، درجات منه قال: هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمهر سبعين عاماً». وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة. ثم أوقعه ثانياً بدرجات، فقبل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد.... والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد... وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(١).

الأعمال التي ترفع المؤمن في درجات الجنة

إن للمؤمن مهمة عالية تجعله يتطلع دائماً إلى الأفضل والأحسن، فبينما تجد أن الكثير من المؤمنين لا يريدون إلا النجاة من النار ودخول الجنان.. إلا أن هناك صنف همته عالية، فهو يتطلع دائماً إلى أعلى درجات الجنة. وها أنا أسوق لحضراتكم باقية من الأعمال التي ترفع المؤمن في أعلى درجات الجنة.

١ - الجهاد في سبيل الله:

قال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وجبت له الجنة»، فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها على

(١) متفق عليه نزواه البخارى (٣/١١٨٨)، رقم ٣٠٨٣، ومسلم (٤/٢١٧٧)، رقم ٢٨٣١.

(٢) صحيح نزواه البخارى (٣/١٠٢٨)، رقم ٢٦٣٧.

يا رسول الله ففعل، ثم قال: «وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله»^(١).

وعن أبي نجيع السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة»^(٢) فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً.

٢- التواضع لله جل وعلا:

قال ﷺ: «... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(٣).

٣- قراءة القرآن وحفظه:

وقال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل، كما كنت تُرتل في دار الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأها»^(٤).

٤- إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة:

قال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ». قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط»^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صلاة الرجل في جماعة تزيد علي صلته في بيته وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة، وذلك أن أحداكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تجبسه وتصلى الملائكة عليه ما دام في مجلسه الذي يُصلى فيه. يقولون: اللهم اغفر له. اللهم

(١) صحيح: رواه مسلم (٣/١٥٠١، رقم ١٨٨٤).

(٢) روه الطيالسي (ص ١٥٧، رقم ١١٥٤)، وابن حبان (١٠/٤٧٥، رقم ٤٦١٥)، والنسائي (٦/٢٦، رقم ٣١٤٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦١٢٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/٢٠٠١، رقم ٢٥٨٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/١٩٢، رقم ٦٧٩٩)، وأبو داود (٢/٧٣، رقم ١٤٦٤)، والترمذي (٥/١٧٧، رقم ٢٩١٤) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨١٢٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١/٢١٩، رقم ٢٥١).

ارحمه. اللهم تُب عليه ما لم يُؤذ فيه أو يُحدث فيه»^(١).

٥- من وصل الصفوف في الصلاة.... وسد فرجة:

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف، ومن سدَّ فرجة رفعه الله بها درجة»^(٢).

٦- ذكر الله:

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق - الفضة - وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله»^(٣).

٧- الصبر على البلاء:

قال ﷺ: «ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كُتبت له بها درجة ومُحِبَّت عنه بها خطيئة»^(٤).

٨- طلب العلم:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

٩- من شاب شيبة في الإسلام:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنتفوا الشيب، فإنه نور المسلم. ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كُتب له بها حسنة ورُفِع بها درجة أو حُط عنه بها خطيئة»^(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١/ ١٨١، رقم ٤٦٥)، ومسلم (١/ ٤٥٩، رقم ٦٤٩)

(٢) حسن: رواه أحمد (٦/ ٨٩، رقم: ٢٤٦٣١)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٤٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٩٥، رقم ٢١٧٥٠)، قال المنذرى (٢/ ٢٥٤)، والهيثمى (١٠/ ٧٣): إسناده

حسن. والترمذى (٥/ ٤٥٩، رقم ٣٣٧٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٥، رقم ٣٧٩٠)، والحاكم (١/ ٦٧٣،

رقم ١٨٢٥) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب

(١٤٩٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤/ ١٩٩١، رقم ٢٥٧٢).

(٥) صحيح لغيره: رواه أبو داود (٤/ ٨٥، رقم ٤٢٠٢)، والخطيب (٤/ ٥٧)، وصححه العلامة الألبانى فى

صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٩١).

١٠ - كثرة الطواف حول الكعبة:

قال ﷺ: «من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه كان كعتق رقبة لا يضع قدماً ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة»^(١).
أسبوعاً: أى سبعة أشواط.

١١ - كثرة السجود لله:

قال ﷺ: «عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطاً بها عنك خطيئة»^(٢).

١٢ - حسن الخلق:

قال ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم»^(٣).
وقال ﷺ: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله يُحسن خلقه وكرم ضريبته»^(٤).

١٣ - من قال دعاء السوق:

قال ﷺ: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتاً في الجنة»^(٥).

١٤ - استغفار الولد لأبيه:

١٥ - محبة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم [فالمرء مع من أحب]:

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٩٢/٣)، رقم (٩٥٩) وقال: حسن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٨٢٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٥٣/١)، رقم (٤٨٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٢/٤)، رقم (٤٧٩٨)، وابن حبان (٢٢٨/٢)، رقم (٤٨٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٤) صحيح: أحمد (١٧٧/٢)، رقم (٦٦٤٨) انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألبانى (٥٢٢).

(٥) حسن: رواه الطيالسى (ص ٤، رقم ١٢)، وأحمد (٤٧/١)، رقم (٣٢٧)، والدارمى (٣٧٩/٢)، رقم (٢٦٩٢)، والترمذى (٤٩١/٥)، رقم (٣٤٢٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٣١).

عن أنس بن مالك قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت للساعة»؟ قال: حُبُّ الله ورسوله. قال: «فإنك مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحبُّ الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

ونحن نُشهدك يارب أننا نحبك حبًّا يليق بجلالك وكمالك، ونحب رسولك ﷺ، ونحب الصحابة - رضي الله عنهم - ونحب الصالحين في كل زمان ومكان، ونسألك أن تحشرنا يوم القيامة في زمرة المتقين. وإن لم نعمل بأعمالهم.

أعلى درجة في الجنة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي»^(١).

ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه، وأعلمهم به. وأشدّهم له خشية، وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله، وهي أعلى درجة في الجنة، وأمر النبي ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زُلْفَى من الله وزيادة الإيمان. وأيضاً، فإن الله سبحانه قدّر لها بأسباب، منها: دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى، صلوات الله وسلامه عليه.

إذا مات العبد بغير مولده

قال ﷺ: «إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة»^(٢).

(١) صحيح نزواه ومسلم (١/٢٨٨، رقم ٣٨٤).

(٢) حسن: نزواه النسائي (٤/٧، رقم ١٨٣٢)، وابن ماجه (١/٥١٥، رقم ١٦١٤)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٦١٦).

ولكن هذا لا يكون إلا لمن حقق التوحيد والعبودية لله - جل وعلا - ... فلا يكون هذا لرجل يهودي أو مجوس أو غير ذلك من أصحاب الملل الكافرة وإنما هذا الفضل للموحدين.

الذين رآهم النبي ﷺ وسمع أصواتهم في الجنة.

قال ﷺ: «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفرٌ يطيرُ مع الملائكة، وإذا حمزةٌ متكئٌ على سرير»^(١).

وقال ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: عمرُ بن الخطاب، فلولا ما علمت من غيرك لدخلته»^(٢).

وقال ﷺ: «دخلت الجنة، فاستقبلتني جاريةٌ شابةٌ، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة»^(٣).

وقال ﷺ: «دخلت الجنة، فرأيت لزيد بن عمرو بن نُفيل درجتين»^(٤).

وقال ﷺ: «دخلت الجنة، فسمعتُ خشفةً بين يدي، فقلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: الرميضاء بنتُ ملحان»^(٥).

وقال ﷺ: «دخلت الجنة، فسمعتُ خشفةً بين يدي، قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلالٌ يمشي أمامك»^(٦).

وقال ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت فيها قراءةً فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن

(١) صحيح: رواه الطبراني (١٠٧/٢، رقم ١٤٦٦)، والحاكم (٢١٧/٣، رقم ٤٨٩٠) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٥٧٧/٦، رقم ٦٦٢١)، ومسلم (١٨٦٢/٤، رقم ٢٣٩٤).

(٣) صحيح: رواه ابن عساكر (٣٧١/١٩)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائين (١٩٨/١، رقم ٢٥٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٦).

(٤) حسن: رواه ابن عساكر (٥١٢/١٩)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٠٦).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٨/٤، رقم ٢٤٥٦).

(٦) صحيح: رواه أحمد (٢٥٩/٥، رقم ٢٢٢٨٦)، والطبراني في الكبير (١٩٩/٨، رقم ٧٨٠٩)، وفي الأوسط (١٨٨/٦، رقم ٦١٥٠). وأخرجه أيضًا: في الصغير (١٤٦/٢، رقم ٩٣٧). قال الهيثمي (٢٩٩/٩): رجال الصغير ثقات، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٩).

النعمان. قلت: كذلك البر كذلك البر»^(١).

أدنى أهل الجنة منزلة

وعن المغيرة بن شعبه عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أرى رب. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك، ولذت عينك فيقول رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة. قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»^(٢).

وقال ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلاً رجلٌ صرفَ الله وجهه عن النارِ قبلَ الجنةِ، ومثَّلَ له شجرة ذات ظل، فقال: أى ربِّ قدمنى إلى هذه الشجرة فأكونَ في ظلِّها، فقال الله: هل عسيتُ أن تسألنى غيره؟ قال: لا وعزَّتكَ، فقدمه الله إليها، ومثَّلَ له شجرة ذات ظل وثمر، فقال: أى ربِّ قدمنى إلى هذه الشجرة فأكونَ في ظلِّها، وأكل من ثمرها، فقال الله: هل عسيتُ إن أعطيتكَ ذلك أن تسألنى غيره؟ فيقول: لا وعزَّتكَ، فيقدمه الله إليها، فيمثل الله له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء، فيقول: أى ربِّ قدمنى إلى هذه الشجرة فأكونَ في ظلِّها، وأكل من ثمرها، وأشرب من مائها، فيقول له: هل عسيتُ إن فعلتُ أن تسألنى غيره؟ فيقول: لا وعزَّتكَ لا أسألكَ غيره، فيقدمه الله إليها، فيبرز له باب الجنة، فيقول: أى ربِّ قدمنى إلى باب الجنة فأكونُ تحتَ سِجافِ الجنة فأرى أهلها، فيقدمه الله إليها فيرى الجنة وما فيها، فيقول: أى ربِّ أدخلنى الجنة، فيدخل الجنة، فإذا دخل الجنة قال: هذا لى؟ فيقول الله له تَمَنَّ: فيتمنى، ويذكره الله عزَّ وجلَّ سل من كذا وكذا حتَّى إذا

(١) صحيح: رواه النسائي في الكبرى (٥/٦٥، رقم ٨٢٣٣)، وأحمد (٦/٣٦، رقم ٢٤١٢٦)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤/١٦، رقم ١٩٥٩)، والحاكم (٣/٢٢٩، رقم ٤٩٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/١٧٦، رقم ١٨٩).

انقطعت به الأمانى، قال الله: هو لك وعشرة أمثاله، ثم يدخله الله الجنة، فيدخل عليه زوجته من الحور العين؛ فيقولان: الحمد لله الذى أحياك لنا، وأحيانا لك. فيقول: ما أعطى أحد مثل ما أعطيت. وأدنى أهل النار عذاباً يُنْعَلُ من نار بنعلين يغلى دماغه من حرارة نعليه^(١).

آخر من يدخل الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول: يارب وجدت ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى. فيرجع فيقول: يارب وجدت ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بى [أو أتضحك بى] وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة^(٢)».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفحه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أى رب أدنى من هذه الشجرة، فلاستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى، فيقول: أى رب أدنى من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها؟ فيقول: لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها،

(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٧٥، رقم ١٨٨).

(٢) صحيح: وقد تقدم.



وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدينه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أدننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسألك غيرها. وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدينه منها، فإذا أدناه منها فسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصربنى منك؟ - والمعنى أى شىء يرضيك ويقطع السؤال بينى وبينك - أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزئ منى وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألونى مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بى وأنت رب العالمين؟ فيقول: إنى لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر».

وفى رواية: «... ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة، مقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يارب! اصرف وجهى عن النار؛ فقد قشبنى ربحها، وأحرقنى ذكاؤها. فيقول: هل عسيت إن أفعل أن لا تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك. فيعطى الله ما شاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة؛ رأى بهجتها؛ سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يارب! قدمنى عند باب الجنة. فيقول الله: أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذى سألت؟ فيقول: يارب! لا أكون أشقى خلقك. فيقول: فما عسيت إن أعطيتك ذلك أن لا تسأل غيره؟ فيقول: لا؛ وعزتك لا أسأل غير هذا. فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها؛ رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يارب! أدخلنى الجنة. فيقول الله: ويحك ابن آدم! ما أغدرك! ألسنت قد أعطيتنى العهد ألا تسأل غير الذى أعطيت؟ فيقول: يارب! لا تجعلنى أشقى خلقك. فيضحك الله منه، ثم يأذن له فى دخول الجنة، فيقول: تمنن، فيتمنى، حتى إذا انقطعت أمنيته؛ قال الله: تمنن كذا وكذا [يذكره ربه]، حتى إذا انقطعت به الأمانى؛ قال الله: لك ذلك ومثله معه، وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة»^(١).

ولمن خاف مقام ربه جنتان

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿١٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿١١﴾﴾

[النازعات: ٤٠، ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿١٦﴾ فَإِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ نَجْدَانِ ﴿١٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانِ ﴿١٨﴾ فَإِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ نَجْدَانِ ﴿١٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَإِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ نَجْدَانِ ﴿٢١﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ زَوَاجَانِ ﴿٢٢﴾ فَإِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ نَجْدَانِ ﴿٢٣﴾﴾ [الرحمن: ٤٦-٥٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره... يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ولا أثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان.

وعن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آبيتها وما فيهما، وجنتان من ذهب آبيتها وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(١).

وهذه الآية عامة في الإنس والجن فهي من أدل الدليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء. فقال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿١٦﴾ فَإِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ نَجْدَانِ ﴿١٧﴾﴾ ثم نعت هاتين الجنتين فقال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أي أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة. ﴿فَأِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ نَجْدَانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتشمر من جميع الألوان ﴿فَأِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ نَجْدَانِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ زَوَاجَانِ﴾ أي من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ﴿فَأِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ نَجْدَانِ﴾ قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء يعني أن بين ذلك بوناً عظيماً وفرقاً بيناً في التفاضل.

(١) صحيح: رواه البخاري (٦/ ٢٧١٠، رقم ٧٠٠٦)، ومسلم (١/ ١٦٣، رقم ١٨٠).

الجنة دار الخلد

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوفٍ﴾ (١٠٨) ﴿هود: ١٠٨﴾.

وقد تقدم قول النبي ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»^(١)

وقوله: «ينادى مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا وإن لكم أن تموتوا فلا تموتوا أبدًا. وإن لكم أن تشبوا فلا تنهوا أبدًا. وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا» فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢) ﴿الأعراف: ٤٣﴾^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، يا أهل النار خلود فلا موت» قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٦) ﴿مريم: ٣٩﴾ وأشار بيده إلى الدنيا^(٣).....

وجوه يومئذٍ ناظرة إلى ربها ناظرة

وها هي أعظم لذة لأهل الجنة في الجنة... ألا وهي لذة النظر إلى وجه الله - عز وجل -. ولذلك كان النبي ﷺ يدعو دائمًا بهذا الدعاء: «... وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مفسدة ولا فتنة مضلة...»^(٤).

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٤٥، رقم ٩٧٤٢)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٨٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٨٢، رقم ٢٨٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤/ ١٧٦٠، رقم ٤٤٥٣)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨، رقم ٢٨٤٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٦٤، رقم ١٨٣٥١)، والنسائي (٣/ ٥٤، رقم ١٣٠٥)، والحاكم (١/ ٧٠٥، رقم ١٩٢٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك»^(١)....
عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم عيانا».

وفي رواية: قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ قوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]^(٢).

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم»، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعًا وَلِإِخْوَانِهِمْ مِّنَ الْجَنَّةِ فِي دَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ يَدْخُلُونَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ بَابٍ﴾ [يونس: ٢٦]^(٣).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «جتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(٤).

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكاً يوم القيامة»^(٥).

وأما حديث عدي بن حاتم - وفيه قال ﷺ: «... وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له...»^(٦).

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١/ ٦٧٤ رقم: ٥٥٤)، ومسلم (١/ ٤٣٩ رقم: ٢١١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٦٣، رقم: ١٨١).

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) صحيح: رواه الدارقطني في الصفات (١/ ٢٩، رقم: ٣٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع

(٨٠١٨).

(٦) صحيح: رواه البخاري (٢/ ٥١٢، رقم: ١٣٤٧).



وأما حديث أنس بن مالك وهو حديث الشفاعة وفيه قال ﷺ: «.... فيأتوني فاستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع»^(١).
قرأ أبو بكر الصديق: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَاسٍ وَزِيَادَةٌ﴾، فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فلإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حَمَلَك الله من دينه، واستحفظك من كتابه، فإنه بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه. وبها نصرت وجوهمهم، ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة. قال الحسن: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا.

قال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَنَّا إِلَى رَبِّنَا مَبْعُثِينَ﴾ [الكهف: ١١٠]. قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر به أحداً.

وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحداً عنه إلا عذبه ثم قرأ: ﴿كَذَٰلِكَ يَكْفُرُونَ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرُونَ﴾^(١٧) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ^(١٨) ثُمَّ يُعَالِ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِدِهْ تَكْذِبُونَ^(١٩) [المطففين: ١٧] قال: بالرؤية.

وقال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم.
وقال الحارث بن مسكين: حدثنا أشهب قال: سئل مالك عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ نَّأْتِيهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ نَظَرٌ﴾^(٢٠) [القيامة: ٢٢، ٢٣]. أنظر إلى الله عز وجل؟ قال: نعم، فقلت: إن أقواماً يقولون تنظر ما عنده، قال: بل تنظر إليه نظراً وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَيْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أعياد المؤمنين في الجنة

وأما أعياد المؤمنين في الجنة فهي أيام زيارتهم لربهم عز وجل فيزورونه، ويكرمهم غاية الكرامة، ويتجلى لهم وينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم من ذلك، وهو الزيادة التي قال الله تعالى فيها ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَأُكْفِّرَنَّ وَلِلَّذِينَ كَسَبُوا ضُرًّا لَّا يُكْفِّرَنَّ وَلِلَّذِينَ كَسَبُوا ضُرًّا لَّا يُكْفِّرَنَّ وَلِلَّذِينَ كَسَبُوا ضُرًّا لَّا يُكْفِّرَنَّ﴾ للمحب عيد سوى قرب محبوبه:

إن يوماً جامعاً شملني بهم ذاك عيد ليس لي عيد سواه

كل يوم كان للمسلمين عيداً في الدنيا فإنه عيد لهم في الجنة، يجتمعون فيه على زيارة ربهم، ويتجلى لهم فيه، ويوم الجمعة يُدعى في الجنة يومَ المَزيد، ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة.

وروى أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة، فهذا لعموم أهل الجنة، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد، يزورون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشياً.

الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعياداً فصارت أيامهم في الآخرة كلها أعياداً. قال الحسن: كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد، كل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد.

يوم المَزيد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولقومك من بعدك تكون أنت الأول وتكون اليهود والنصارى من بعدك قال ما لنا فيها قال فيها خير لكم فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له بقسم إلا ادخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ فيها من شر هو عليه مكتوب إلا أعاده أو ليس عليه مكتوب إلا أعاده من أعظم منه قلت ما هذه النكتة السوداء فيها قال هذه الساعة تقوم يوم الجمعة وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المَزيد



قال قلت لم تدعونه يوم المزيّد قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أبيض من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكتيب فيتجلّى لهم ربهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول أنا الذي صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى هذا محل كرامتى فسلونى فيسألونه الرضا فيقول الله عز وجل رضائى أحلكم دارى وأنا لكم كرامتى فسلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة ثم يصعد الرب تبارك وتعالى على كرسيه فيصعد معه الشهداء والصديقون أحسبه قال ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاء لا فصم فيها ولا وسم أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء منها غرفها وأبوابها مطردة فيها أنهارها متدلّبة فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة ويزدادوا فيه نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى ولذلك دعى يوم المزيّد^(١).

ورخصوا من الله الأكبر

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوذِيْتُكُمْ بَخِيرَيْنِ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا مَطَهُرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْأَعْمَارِ ۝١٥﴾ [آل عمران: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عِنْدَ رِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ

(١) حسن لغیره: حسنه العلامة الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٦١)، وقال: رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوى وأبو يعلى مختصرا ورواته رواة الصحيح والبزار واللفظ له.

رَبِّهِمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٧﴾

[البينة: ٨، ٧]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فيقول: هل رَضِيتُمْ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رَبَّنَا وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً» (١).

وَأَخْرَجُوا لَهُمُ الْغُلَامَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَتَذَكَّرُ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [يونس: ٩، ١٠].

وقال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٤﴾ الَّذِي أَهْلَأَ دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٥﴾﴾ [فاطر: ٣٣-٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٦﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾﴾

[الزمر: ٧٣-٧٥]

هل تستحق الدنيا أن نضحى من أجلها بالجنة

وأخيراً بعد أن عشنا سوياً رحلة الفرحه ومشاهدها التى تُثلج الصدور بقى لنا أن نسأل أنفسنا سؤالاً واحداً: هل تستحق الدنيا أن تجعل المؤمن يشغل بها عن طاعة

الله جل وعلا، وأن يُحرم من تلك الفرحة الغامرة!!

كلا والله... لأن الدنيا بأسرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

ولذا قال الحبيب ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»^(١).

بل يكفى والله أن تعلم أن حب الدنيا يبعدك عن محبة الله جل وعلا، وأن الزهد فيها يجعلك تظفر بمحبته.

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس. فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(٢).

بل تأمل معى لحال [أنعم أهل الدنيا] الذى انشغل بدنياه عن دينه وعن طاعة ربه عز وجل.

قال ﷺ: «يُوتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب. ويُوتى بأشد الناس بُؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ في الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بُؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يارب! ما مرّ بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط»^(٣).

فيا له من مشهد تنخلع منه القلوب... فمتاع الدنيا بأسرها يُنسى مع أول غمسة في نار جهنم.

بل إن الله جل وعلا حينما يسأل الكفار والمنافقين، ويقول لهم: فإنهم يشهدون أن الدنيا بأسرها وبكل ما فيها من نعيم ولذة فانية لا تساوى يومًا ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنَّا آلَاءَ اللَّهِ﴾ فيسكتهم الله عز وجل بقوله: ﴿قُلْ كَمْ لِيَتَنَّمُ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾^(٤).

(١) حسن: رواه الترمذى (٥٦١/٤) رقم ٢٣٢٢، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٠٩).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (١٣٧٣/٢)، رقم ٤١٠٢، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٤٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢/٤) رقم ٢٨٠٧.

قَالُوا إِنَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَتَنَّا آلَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِن لِّئِنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾

[المؤمنون: ١١٢-١١٤]

فهل تستحق ساعات لذة مؤقتة أن يفرط المسلم في دينه وينسى ربه وخالقه ويترك الجنة ونعيمها؟!

إذن فلنبداً صفحة جديدة كلها فرحة بطاعة الله جل وعلا، عسى الله أن يجمعنا على أجل فرحة إخواناً على سُررٍ متقابلين وتنادينا الملائكة وتقول: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت	أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كان قبل الموت يبنها
فإن بناها بخير طاب مسكنه	وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
أبن الملوك التي كانت مسطنة	حتى سقاها بكأس الموت ساقياها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها	وديارنا لخراب الدهر نبنها
كم من مدائن في الآفاق قد بُنيت	أمست خراباً وأفنى الموت أهلها
إن المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ	الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها	والجود خامسها والفضل سادها
والبر سابعها والشكر ثامنها	والصبر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أنى لا أصادقها	ولست أرشد إلا حين أعصيا
لا تركن إلى الدنيا وما فيها	فالموت لا شك يفنيا ويفنيها
واعمل لدارٍ غداً رضوان خازنها	والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهبٌ والمسك طينتها	والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ مصفى ومن عسلٍ	والخمر يجري رحيقاً في مجاريها
والطير تجري على الأغصان عاكفةٌ	تسبح الله جهراً في مغانيها
فمن يشتري الدار في الفردوس يغمرها	بركعةٍ في ظلام الليل يُحييها



وبعد أن تعايشنا بقلوبنا مع تلك الرحلة الطويلة إلى الدار الآخرة كان لابد من وقفة مع النفس لتتوب إلى الله تعالى من كل الذنوب ولنغتسم كل لحظة في طاعته لعل الله أن يرحمنا في الدنيا والآخرة.
قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

ومنزّل «التوبة» أول المنازل، وأوسطها، وآخرها. فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات. وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به. واستصحبه معه ونزل به. فالتوبة هي بداية العبد ونهايته. وحاجته إليها في النهاية ضرورية. كما أن حاجته إليها في البداية كذلك. وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم. ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة «لعل» المشعرة بالترجي، إيذاناً بأنكم إذا تبتُّم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون.
جعلنا الله منهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] قسم العباد إلى تائب وظالم، وما تمَّ قسم ثالث ألبته. وأوقع اسم «الظالم» على من لم يتُبْ. ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقه، وبعبث نفسه وآفات أعماله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(١).

وكان أصحابه يَعدُّونَ له في المجلس الواحد قبل أن يقوم «رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها كانت تقول قال رسول الله ﷺ «سدّدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل أحدا الجنة عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا

(١) صحيح: رواه البخاري (٥/٢٣٢٤، رقم ٥٩٤٨).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٨١٤)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٥٦).

أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»^(١).

تذكرة

لا يوجد أحد إلا ويحضره ربه محاضرة! فيقول الله: يا فلان أتذكر يوم أن فعلت كذلك وكذا [انظر يكلمه الله، يذكر الله العبد ببعض ما فعل في الدنيا] فيقول العبد: ألم تغفر لي. فهو أراد أن يذكرك بنعمه عليك.

كما قال الحبيب ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»^(٢) ولكن هذا النعيم وهذا الملك يمنعه عنك الذنوب والمعاصي، فلا تستصغر ذنباً لأن ذلك يصيب بكل البصيرة، فلا يرى العبد عاقبة المعاصي، فأنت تظن أن النظرة مثلاً صغيرة، ولكنها تكبر بأمرين: الاستمرار، والتعود. أي اتباع خطوات الشيطان حتى تقع في الفاحشة، فمثلاً لقد أعطاني الله العين للتفكر في ملكوت السماء والأرض ولكي أقرأ المصحف ولكي أذهب إلى المسجد وأصل الرحم وأزور المريض، ولكن من يستخدمها في المحرمات كالنظر إلى المسلمين باحتقار أو النظر إلى ما حرم الله وإضاعة الوقت في ما حرم الله ومشاهدة ما حرم الله فهذا جحود بنعمة الله، وقد قال رسول الله ﷺ «لا نزول قديماً ابن آدم يوم القيامة من عنده حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفق؟ وماذا عمل فيما علم»^(٣).

فيجب على المؤمن أن يملك نفسه وإرادته فهو يتعب في الدنيا لكي يقول في الآخرة ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْبَرُ﴾ [الحاقة: ١٩].

واعلم -أخي- أن التوبة من أجل القربات والعبادات وهي منزلة لا يفارقها الصالحون في رحلتهم في هذه الحياة الدنيا، بل ولا الأنبياء والمرسلون.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٧٣، رقم ٦١٠٢)، ومسلم (٢١٧١، رقم ٢٨١٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٠٩، رقم ٧٠٠٥)، ومسلم (٧٠٣، رقم ١٠١٦).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٦١٢، رقم ٢٤١٦)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٢٩٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة»^(١).

يقول ذلك لأن الله تعالى أمر بها في كل وقت وحين وعلق الفلاح عليها.
قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]
فتأمل حفظك الله كيف وصفهم الله بالإيمان ثم دعاهم إلى التوبة ليعلم كل مسلم أن التوبة لازمة للعبد في سائر منازلها التي يسلكها في طريقه إلى الله. وتذكر دائماً أن الجنة قد حفت بالمكاره وأن النار قد حفت بالشهوات وإلا كيف سيكون الاختبار وكيف يميز الصابر من الضاجر والمطيع من العاصي. قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلى الجنة فقال: أنظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها. قال فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد»^(٢)..

الله يفرح بتوبتك

يا لها من كلمات تجعل شمس التوبة تضيء القلب وتنير الصدر بنور الحق الذي جاء به النبي ﷺ من عند الحق - جل جلاله -.

قال ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة الفرح - اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»^(٣).

وقال الله جل وعلا: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/ ١٢٥٤، رقم ٣٨١٥)، قال البوصيري (٤/ ١٣٣): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وابن السني (ص ١٤٢، رقم ٣٦٧)، وصححه العلامة الألباني.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٤/ ٦٩٣، رقم: ٢٥٦٠)، والنسائي (٧/ ٣، رقم: ٣٧٦٣)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٦٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٠٤، رقم ٢٧٤٧).

منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم لو أنك أنبتني بقراب الأرض خطايا - أى بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا - ثم لقيتني لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(١).

كتب الله الرحمة بيده ليبدل على عظم المغفرة

إن الله خلق الكائنات بكن فيكون، إلا أشياء؛ لشرفها وكرامتها على الله، خلقها بيده، وكتب أشياء لكرامتها عليه بيده، فخلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة لموسى بيده، وكتب كتاب الرحمة بيده.. فما أعظم كرم الرحمن. قال رسول الله ﷺ: «كتب ربكم على نفسه بيده، قبل أن يخلق الخلق: رحمتي سبقت غضبي»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»^(٣).

والمغفرة رحمة قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْزِمَادَى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

تيسير التوبة لأمة الحبيب ﷺ

أحمد الله يا أخى على أنك من أمة الحبيب ﷺ فلقد يسر الله التوبة لأمة ﷺ فجعل مجرد الندم توبة مقبولة بل جعل الله التوبة سبباً في تبديل السيئات إلى حسنات فقال (جل وعلا): ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ

(١) حسن: رواه الترمذى (٥/٥٤٨، رقم ٣٥٤٠)، وقال: غريب، والضياء (٤/٣٩٩، رقم ١٥٧١)، وقال: إسناده صحيح، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٢) حسن صحيح: رواه ابن ماجه (١/٦٧، رقم ١٨٩)، وقال العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة حسن صحيح (١٦٢٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣/١١٦٦، رقم ٣٠٢٢)، ومسلم (٤/٢١٠٧، رقم ٢٧٥١).

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠].

الله يحجب التوبة عن المنافقين والكافرين

ولما كانت التوبة محض فضل الله ورحمته حجبها عن المنافقين والكافرين لأنهم لا يستحقونها أبداً.

قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٨، ٦٩].

مثل هذا اليوم فاعبدوا

أخى الحبيب: لو أنك تملك الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل ثم جاء اليوم الذي ستدخل فيه قبرك... فهل تعدل الدنيا كلها أول ليلة في هذا القبر؟.

هل تفكرت أخى الحبيب كيف سيكون حالك في هذا القبر الموحش؟ قال ﷺ يوماً لأصحابه: «لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم عذاب القبر»^(١).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً ثم قال «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يحيى ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢١٩٩، رقم ٢٨٦٧).

عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى يتنهبوا به إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوا عبدي إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى؛ فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت تعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة؟ حتى أرجع إلى أهلي ومالي؛ وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة! اخرجي إلى سخط من الله وغضب فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفه عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأثن ریح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا فتعاد روحه في جسده؛ ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا



أدري فينادى مناد من السماء: أن كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب متن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة^(١).

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنّب
لم ينسُ الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلمعُ
والروح منك ودبعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتُسلبُ
وغرور دنياك التي تسمى لها دارٌ حقيقتها متاعٌ يذهبُ
الليل فاعلم والنهار كلامها أنفاسنا فيهما تُعدّ وتُحسبُ

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظن السماء وحق لها أن تنط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»^(٢).

هل رأيت جنازة محمولة على الأعناق؟ هل تعلم أنك ستكون مكان هذا الرجل في يوم من الأيام؟ فيا ترى كيف سيكون حالك؟

وقال ﷺ: «إذا وُضعت الجنازة، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين تذهبون بها؟ يسمع

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/٢٨٧، رقم ١٨٥٥٧)، وقال الهيثمي (٣/٥٠): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/١٧٣، رقم ٢١٥٥٥)، والترمذي (٤/٥٥٦، رقم ٢٣١٢) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٤٠٢، رقم ٤١٩٠)، والحاكم (٢/٥٥٤، رقم ٣٨٨٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»^(١).

بل هل تفكرت في مشاهد الآخرة لتكون لك حاديًا إلى التوبة والعودة إلى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن - إسرافيل - قد التقم القرن؟ وحتى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ، فقال أصحابه: كيف نقول: قال قولوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»^(٢).

وقال ﷺ: «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يُلجمه العرق إجمالًا»^(٣).

وقال ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله - عز وجل - يوم القيامة»^(٤).

وقال ﷺ: «إذا صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار جيء بالموت، حتى يوقف بين الجنة والنار. ثم يُذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»^(٥).

حملة العرش يستغفرون لك أيها الحبيب

بل إن حملة العرش يستغفرون لك أيها الأخ الحبيب.... فهل عرفت قدرك في ظل هذا الدين؟

(١) صحيح: رواه البخارى (١/٤٤٢)، رقم (١٢٥١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٤/٦٢٠)، رقم (٢٤٣١)، وصححه العلامة الألبانى في السلسلة الصحيحة (٢٠٧٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/٢١٩٦)، رقم (٢٨٦٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥/٢٣٨٨)، رقم (٦١٥٠)، ومسلم (٤/٢١٩٩)، رقم (٢٨٦٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥/٢٣٩٧)، رقم (٦١٨٢)، ومسلم (٤/٢١٨٩)، رقم (٢٨٥٠).

إنك تستمد عزك ومكانتك من طاعتك للملك (جل وعلا) الذي يسخر لك الكون كله من أجلك.

فها هم حملة العرش يستغفرون لك.. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

بل ها هو الكون كله يدعو لك إذا انشغلت بالدعوة إلى الله.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»^(١).

النبى ﷺ خبا دعوته شفاعته لأمته

أما علمت أخى الحبيب أن النبى ﷺ خبا دعوته ليشفع العصاة من أمته يوم القيامة.

قال ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وإنى اختبأت دعوتى»، وفي رواية: «وأريد أن أختبئ دعوتى شفاعته لأمتى فى الآخرة»، وفي رواية: «فتمجّل كل نبى دعوته»، وزاد في رواية: «فهى نائلة من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا»^(٢).

وقال ﷺ: «أتانى آت من عند ربى، خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعه، فاخترت الشفاعه وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئا»^(٣).

فالحبيب ﷺ يفضل مغفرة الله (جل وعلا) للأمة المحمدية على دخول نصف أمته الجنة... وهذا هو القدر الحقيقى للتوبة ومغفرة الذنوب.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٥٠/٥)، رقم ٢٦٨٥، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٩/١)، رقم ١٩٨.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٤/٦٢٧)، رقم ٢٤٤١، والطبرانى (٧٢/١٨)، رقم ١٣٣، وابن حبان

(١/٤٤٢)، رقم ٢١١، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦).

خوف الصحابة (رضي الله عنهم)

ومن تأمل أحوال الصحابة - رضي الله عنهم - وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، فهذا الصديق - رضي الله عنه - يقول: وددت أنى شعرة في جنب عبد مؤمن.... بل كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد.

وكان يبكى كثيراً ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله - عز وجل - وأتى بطائر، فأخذه فقلبه ثم قال: ما صيد من صيد، ولا قُطعت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح، فلما احتضر قال لعائشة: يا بنية إنى أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد، فأسرعى به إلى ابن الخطاب، وقال: والله لوددت أنى كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد. وقال قتادة: بلغنى أن أبا بكر قال: ليتنى خضرة تأكلنى الدواب.

وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧] فبكى واشتد بكاءه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو فى الموت: ويحك ضع خدى على الأرض، عساه أن يرحمنى ثم قال: بل ويل أُمى، إن لم يغفر الله لى، (ثلاثاً) ثم قضى - مات - وكان يمر بالآية فى ورده بالليل فتخيفه، فيبقى فى البيت أياماً يُعاد، يحسبونه مريضاً، وكان فى وجهه - رضي الله عنه - خطان أسودان من البكاء.

وقال له ابن عباس: مَصَّرَ الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل، فقال: وددت أنى أنجو لا أجز ولا وزر.

وهذا أبو الدرداء - رضي الله عنه - كان يقول: إن أشد ما أخاف على نفسى يوم القيامة أن يقال لى: يا أبا الدرداء، قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟.

وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أنى شجرة تُعضد ثم تؤكل. وكان عبد الله ابن عباس - رضي الله عنه - أسفل عينيه مثل الشراك البالى من الدموع.



وكان أبو ذر يقول: يا ليتني كنت شجرة تعضد، ووددت أنى لم أخلق،... وعُرضت عليه النفقة فقال: عندنا عتز نحلبها وحر ننقل عليها ومحرر يخدمنا، وفضل عبادة، وإنى أخاف الحساب فيها. وقرأ تميم الدارى ليلة سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَحْمَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١) [الجاثية: ٢١] جعل يردددها ويبكى حتى أصبح.

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة: «أنشدك الله هل سمانى لك رسول الله ﷺ، يعنى فى المنافقين؟ فيقول: لا. ولا أزكى بعدك أحدا».

إياك والمعصية

عن معاذ بن جبل قال: أوصانى رسول الله ﷺ فقال: «لا تشرك بالله شيئاً، وإن قُتلت أو حُرقت، ولا تعمق والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً، فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمرًا، فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن المعصية تلحق بسخط الله» (٢).

قال أبو الوفاء ابن عقيل: احذره ولا تغتر به، فإنه قطع اليد فى ثلاثة دراهم، وجلد الحد فى مثل رأس الإبرة من الخمر، وقد دخلت امرأة النار فى هرة، واشتعلت الشملة نارا على من غلها، وقد قُتل شهيداً.

أما علمت - أخى الحبيب - أنك ستُسأل عن كل لحظة من عمرك وستبكي الدماء بدل الدموع على كل لحظة ضاعت فى غير طاعة الله (جل وعلا). وعن أبى برزة الأسلمى قال قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فى أفناه وعن علمه فىم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفىم أنفق وعن جسمه فىم أبلاه» (٣).

كما قال الحبيب ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (٢٣٨/٥، رقم ٢٢١٢٨)، والطبرانى (٨٢/٢٠، رقم ١٥٦)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٠).

(٢) صحيح. رواه الترمذى (٦١٢/٤، رقم ٢٤١٧) وقال: حسن صحيح

ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة^(١).

الفرق بيننا وبين السلف

الفرق بيننا وبين السلف الصالح في الإيمان: نقص في إيماننا وزيادة في إيمانهم، كانوا إذا تحدثوا عن الجنة آمنوا بها كأنهم يرونها رأى العين فجذّوا في طلبها بما استطاعوا من صدقة وصوم وتطوع وصلاة في الليل والناس نيام إلى غير ذلك من النوافل فضلاً عن الواجبات، أما نحن فتحدث عن الجنة كأى موضوع دون أن نتأثر أو يتغير في سلوكنا شيء نحو الأفضل فنبقى نصلى في بيوتنا بالرغم من أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة وصلاة الجماعة في المسجد أفضل من صلاة الجماعة في البيت لأنه كلما زاد عدد المصلين زاد الأجر وعدد الجماعة في المسجد أكثر من عددهم في البيت، وإن تحدثوا عن النار آمنوا بها كأنهم يرونها رأى العين فتركوا صفائر الذنوب فضلاً عن كبائرهما أما نحن فتحدث عن النار فنضحك بدلاً من البكاء وكأننا نتحدث عن موقد للتدفئة وربما انتقلنا من ارتكاب الصفائر إلى ارتكاب الكبائر كالغيبة والنميمة إن لم يكن أكبر.

* إذا الفرق بيننا وبينهم هو: نقص إيماننا وزيادة إيمانهم، ومن العلاج المفيد لزيادة الإيمان - بعد توفيق الله - الإكثار من ذكر ما نحن بصدده وهو الموت.

فذكر إن نفحت الذكرى

* تذكر..... أن مشاهدة المحتضرين وإغماض عيونهم فور موتهم ومشاهدة القبر وكيفية دفن الميت فيه ومن قبل تغسيله وتكفينه والصلاة عليه كل ذلك إذا لم يؤثر فينا فما الذى يؤثر؟؟؟ وكذلك معرفة أمارات الساعة وما يجرى بعد البعث والنشور من تطاير الصحف ووزن الأعمال والمرور على الصراط ففى ذلك ذكرى لمن يتذكر ويتعظ.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦/ ٢٧٠٩، رقم ٧٠٠٥)، ومسلم (٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٦).

وفي الحديث: «ليس الخبر كالمعاينة»^(١).

ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْغَنَمُ وَالْبَيْتُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْكَاءُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْغَنَمِ وَالْبَيْتِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿١١﴾ ﴿

[المائدة: ٩٠، ٩١]

قالوا: انتهينا يا رب انتهينا وأراقوا دنان الخمر في أزقة المدينة. وهل يكفي أن نعلم أن هول المطلع شديد ثم لا نتأثر ولا يتحول سلوكنا نحو الأفضل؟ ألا نكون عندئذ من الغافلين؟؟!! والعياذ بالله.

عندما نُحتضر - وليس ذلك ببعيد - ونرى مقعدنا من الجنة أو النار، ونشاهد ملك الموت وملائكة الرحمة أو العذاب لا فائدة عندئذ من الرؤية والمشاهدة فقد انتهى الامتحان وصدرت النتائج كما عندما يحين موعد الحساب والمرور على الصراط يظهر الفرق بين من قدم لنفسه ومن لم يقدم ولا ينفع الندم.

أما الآن فعلينا اغتنام الحياة قبل الموت، والصحة قبل المرض، والغنى قبل الفقر، والشباب قبل الهرم، والفراغ قبل الشغل، للترؤد بالأعمال الصالحة والبعد عن الأعمال السيئة.

ويجب عليك أمور وهي التوبة إلى الله توبة نصوحاً، ثم ابحث عن ما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ من قول وفعل وأقوم به، وتجنب كل ما يغضب الله ورسوله، وأبحث في نفسي: هل أنا أحمل هم الإسلام؟ وماذا قدمت له؟ هل قرأت كتاب الله؟ هل صليت بالليل والناس نيام؟ هل وصلت الرحم؟ هل عدت المريض؟ هل تواضعت مع الخلق؟ هل مسحت على رأس اليتيم؟ هل تعديت على حق أحد؟ فهذه المحاسبة لنفسك يستقيم أمرك، واعلم أن للدنيا بنين وللآخرة بنين فكن من أبناء الآخرة، فالدنيا راحلة فانية، فهي معبر للآخرة، فيجب علينا أن نضع منهج الله أمامنا حتى يأتينا فضل الله وتُفتح أبواب الجنة، واعلم أن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم

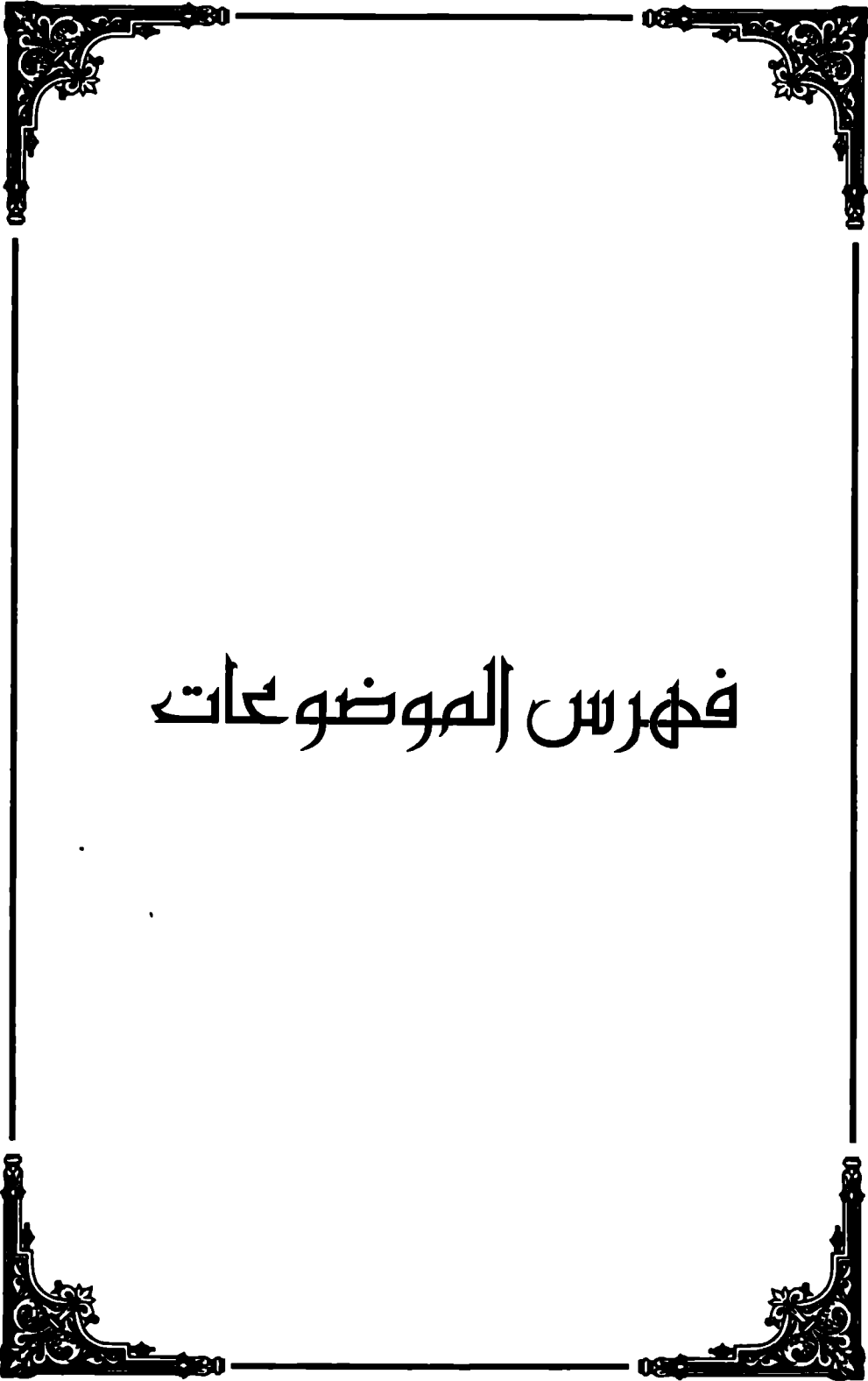
(١) صحيح نزواه أحمد (١/٢١٥، رقم ١٨٤٢)، والحاكم (٢/٣٥١، رقم ٣٢٥٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

يدخل جنة الآخرة ألا وهي الرضا عن الله وبما قسمه الله هنا فقط تفتح أبواب الجنة وينعم الإنسان بوجه الله الكريم. وما ذلك على الله بعزيز.

وختامًا أسأل الله العلي العظيم بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يرزقنا جميع الإخلاص في القول والعمل وأن ينفع بهذا الكتاب ويجعله مباركًا ومن أسباب الفو بجنت النعيم، كما أسأله تعالى أن يكتب الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن ساه في كتابته وجمعه ومراجعته واعتنى به.

...وصلی الله على نبینا وحبیینا وقدوتنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.





فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٣	الشرك بالله	٥	مقدمة التحقيق
٧٣	النفاق	٧	السيرة الذاتية د/ عمر عبد الكافي
٧٤	التشاغل عن الصلاة المكتوبة		ترجمة للعلامة محمد ناصر الدين
٧٦	الكذب	٨	الألباني رحمه الله
٧٧	آكل الربا	١٥	المقدمة
٧٧	الزنا والتبرج	١٨	ذكر الموت
	عدم الاستبراء من البول والمشى بين	٢٠	حب الدنيا وطول الأمل
٧٨	الناس بالنعمة	٢٧	الدنيا دار ابتلاء
٧٩	إيذاء الناس باللسان	٢٨	فراش المرض
٧٩	الدَّين	٣٠	زيارة المريض
٨٠	الغلول من الغنيمة	٣٠	الرقية الشرعية
٨٠	الإعراض عن ذكر الله	٣١	عبر وعظات
٨١	النياحة على الميت	٣٣	الدار الباقية
٨٢	قاطع الطريق	٣٥	يسألونك عن الروح
٨٢	الخائن للأمانة	٣٦	الوصية
٨٣	بذيء اللسان	٣٧	لا ضرر ولا ضرار
٨٤	القول على الله بغير علم	٣٨	أمر ينبغي التنبه عليها
٨٦	المنجيات من عذاب القبر	٣٩	نموذج للوصية
٨٦	الإيمان والتقوى والعمل الصالح	٤١	وصية النبي ﷺ
٨٦	الاستقامة على طاعة الله - جل وعلا -	٤٥	موت الحبيب
٨٧	الرباط في سبيل الله	٤٧	وصية أبي بكر
٨٧	الشهيد في سبيل الله	٤٨	وصية عمر
٨٨	من مات شهيداً في غير حرب	٥٠	علامات حسن الخاتمة
٨٩	قراءة سورة الملك	٥٥	علامات سوء الخاتمة
٩٠	الموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة	٦٤	القبر أول منزل الآخرة
٩١	علامات الساعة الصغرى	٦٦	موجبات عذاب القبر



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٠٢	كثرة الزنا	٩٢	بعثة الحبيب المصطفى ﷺ
١٠٢	وقوع الخسف والسمخ والقذف	٩٢	موت النبي ﷺ
١٠٢	ظهور الكاسيات العاريات	٩٣	ظهور الفتن
١٠٣	غزارة الأمطار وقلة الإنبات	٩٣	أن تلد الأمة ربتها
١٠٣	فسو التجارة (كثرتها)	٩٤	تطاول رعاء الشاة في البنيان
١٠٣	تقارب الأسواق	٩٤	انتشار الشرك في الأمة
١٠٤	التماس العلم عند الأصاغر	٩٥	اتخاذ المساجد طرقاً
١٠٤	إشاعة الكذب وكثرته	٩٥	فتح بيت المقدس
١٠٤	أن يتمنى الرجل الموت من شدة البلاء	٩٥	طاعون عمواس
١٠٥	كثرة النساء وقلة الرجال	٩٥	ضياع الأمانة
	لا تقوم الساعة حتي تعود أرض العرب		أن تجد أسعد الناس بالدنيا .. لكع ابن
١٠٦	مروجاً خضرًا	٩٦	لكع
	المدينة تنفى شرارها وتخرّب في آخر	٩٦	انتشار المعازف والغناء
١٠٦	الزمان	٩٧	ظهور مدعى النبوة
١٠٧	حسر الفرات عن جبلٍ من ذهب	٩٧	كثرة الأموال
١٠٧	تقارب الزمان	٩٧	كثرة القتل
١٠٧	كلام السباع مع الإنس	٩٨	شرب الخمر واستحلالها
	ظهور الفحش والتفاحش وقطيعة	٩٨	قتال العَجَم
١٠٨	الرحم وسوء المجاورة	٩٨	قتال الترك
١٠٨	انتشار الربا وأكل الحرام	٩٨	كثرة الزلازل
١٠٩	التناكر بين الناس	٩٩	قبض العلم وكثرة الجهل
١٠٩	المسلمون واليهود يتقاتلون	٩٩	رفع القرآن من الصدور والمصاحف
١١٠	تسليم الخاصة	١٠٠	شهادة الزور وكتمان شهادة الحق
١١٠	كثرة موت الفجأة	١٠٠	انتشار الأمن في البلدان
١١٠	تباهى الناس في المساجد وزخرفتها	١٠١	خروج نار من أرض الحجاز
١١١	علامات الساعة الكبرى	١٠١	ذهاب أهل الخير والدين
١١٢	ظهور المهدي	١٠٢	ارتفاع الأراذل والسفهاء

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٨١	يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين	١٢٠	المسيح الدجال
١٨٢	ظلمات بعضها فوق بعض	١٤٤	يأجوج ومأجوج
١٨٣	فتنة الأتباع والمتبوعين	١٤٩	الدخان
	الجوارح والأركان تعترف بجرائم	١٥٠	طلوع الشمس من مغربها
١٩٣	الإنسان	١٥٢	الدابة
١٩٥	من قتل نفسًا بغير حق	١٥٤	النار التي تحشر الناس
١٩٥	الذين يأكلون الربا	١٥٧	البعث من القبور (يوم الحشر)
١٩٧	الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً	١٥٨	الحكمة من البعث والمعاد
١٩٧	تارك الصلاة	١٥٩	أدلة البعث والنشور
١٩٨	الذين لا يؤدون الزكاة	١٦١	هول المطلع
١٩٩	المتكبرون	١٦٣	صفة حشر العباد
	هؤلاء لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا	١٦٣	لكل امرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه
٢٠٠	يكلمهم	١٦٤	ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
٢٠١	لجام من النار لمن كتم علماً	١٦٤	أرض المحشر
٢٠٢	الغيبه	١٦٥	من أهوال يوم القيامة
٢٠٢	الذين لا يخشون الله بالغيب		ويزداد هول ذلك اليوم بسبب طول
٢٠٣	الذين يكذبون على الله - عز وجل -	١٦٧	الانتظار
٢٠٣	الحاكم الذي يحتجب عن رعيته	١٦٨	أول من ينشق عنه القبر
٢٠٣	من كان له وجهان	١٦٨	كم يبلغ طول هذا اليوم
٢٠٤	الغلول	١٦٩	من سره أن ينظر إلى يوم القيامة
٢٠٥	لكل غادرٍ لواء	١٧١	يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم
٢٠٥	من شرب الخمر ولم يتب	١٧٣	يوم القيامة... يا له من يوم
٢٠٦	من لبس ثوب شهرة	١٧٥	الاستعداد لهذا اليوم
٢٠٦	من منع فضل الماء	١٧٧	مجيء جهنم
٢٠٦	النياحة على الميت	١٧٩	في ظل عرش الرحمن - جل وعلا -
٢٠٦	الشح	١٨٠	المشركون ومشاهد الحسرة
٢٠٦	لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء	١٨١	الكافر ليس له حسنات



الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المصورون	٢٠٧	تبليغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ	
حسرة يوم القيامة لمن غفل عن		الوضوء	٢١٧
ذكر الله	٢٠٧	خذوا جُنتكم من النار	٢١٨
الذي يسأل وله ما يغنيه	٢٠٧	ورحمتي وسعت كل شيء	٢١٨
الذي منع الأجير حقه	٢٠٧	ما ينجي من أهوال يوم القيامة	٢٢٠
من غصب أرضاً بغير حق	٢٠٨	أسماء يوم القيامة	٢٢١
من قذف مملوكه وهو برىء	٢٠٨	من أسماء يوم القيامة: يوم العرض	٢٢١
الأثرياء المتنعمون	٢٠٩	- ومن أسماء يوم القيامة: يوم الحساب	٢٢١
الذي لا يعدل بين أزواجه	٢١٠	ومن أسماء يوم القيامة: يوم السؤال	٢٢٢
كرامات أهل الإيمان في المحشر	٢١٠	ومن أسماء يوم القيامة: يوم القضاء	
يُبعث يوم القيامة مُلبيًا	٢١٠	وهو أيضًا يوم الحكم والفصل	٢٢٢
أصحاب النور يوم القيامة	٢١٠	الحساب	٢٢٣
أهل القرآن	٢١١	أول من يحاسب أمة الحبيب ﷺ	٢٢٣
الأمن يوم الفرع الأكبر	٢١١	ما يسأل عنه العبد وكيفي السؤال	٢٢٤
الشهداء والمرابطون	٢١٢	يا له من مشهد جليل	٢٢٦
الحجر الأسود يشهد لك يوم القيامة	٢١٣	يوم يقوم الناس لرب العالمين	٢٢٦
عتق الرقاب المسلمة	٢١٤	مجىء الرب - جل وعلا -	٢٣١
الصبر على البلاء	٢١٤	الوقوف بين يدي الله (عز وجل)	٢٣٢
أهل العدل والرحمة	٢١٤	الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا	
من أراد أن يفرج الله عنه كُربات يوم		عذاب	٢٣٦
القيامة	٢١٤	من نوقش الحساب عُذب	٢٣٧
الكاظمون الغيظ	٢١٥	اللحظة الحاسمة التي يتحدد من	
الرحماء	٢١٥	خلالها مصير العبد	٢٣٧
المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم		القواعد التي يحاسب العباد على	
القيامة	٢١٦	أساسها	٢٤٠
التجاوز عن المعسر	٢١٦	الذين يجمعون أثقالًا مع أثقالهم	٢٤١
من ترك اللباس تواضعًا	٢١٧	نحن آخر الأمم... وأول من يحاسب	٢٤٤

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا	٢٤٥	أول ما يقضى بين الناس في الدماء	٢٦٠
شهداء على الناس	٢٤٥	القصاص بين الدواب يوم القيامة	٢٦١
آدم (عليه السلام) ... وبعث النار	٢٤٥	البدار البدار قبل نزول الموت	٢٦٢
خطاب الله (عز وجل) لعيسى (عليه	٢٤٦	القنطرة.. والقصاص بين المؤمنين	٢٦٤
السلام)	٢٤٦	سؤال الأنبياء وشهادة هذه الأمة	
يوم يجمع الله الرسل	٢٤٦	للأنبياء	٢٦٥
تالله لتسألن عما كنتم تفترون	٢٤٧	الميزان	٢٦٧
ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا	٢٤٧	ما الذى يوزن فى الميزان	٢٦٩
الشیطان	٢٤٧	فضل الشهادة	٢٧٠
الحمد لله على نعمة التوحيد	٢٤٨	الميزان حق.. ولا يكون فى حق كل	
لا يثقل مع اسم الله تعالى شيء	٢٤٩	أحد	٢٧١
أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة ...	٢٤٩	فمن ثقلت موازينه فأولئك هم	
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم	٢٥٠	المفلحون	٢٧١
إن العهد كان مستولاً	٢٥١	ما الأعمال التى تثقل فى الميزان	٢٧٢
السمع والبصر والفؤاد	٢٥١	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة	٢٧٣
مشهد أهل الرياء يوم القيامة	٢٥٢	مسألة هامة	٢٧٣
أربعة يحتجون يوم القيامة	٢٥٣	ميزان الدنيا وميزان الآخرة	٢٧٤
سيسأل كل عبد عن أربعة أشياء	٢٥٣	لا تحقرن من المعروف شيئاً	٢٧٦
ستر فى الدنيا... ومغفرة فى الآخرة	٢٥٤	كيف تنجو من خطر الميزان	٢٧٨
ستنسى كل شقاء بغمسة واحدة فى		الشفاعة	٢٨٠
الجنة	٢٥٤	الشفاعة العظمى	٢٨١
تدبر معى هذا الحوار الرقيق	٢٥٤	النبي ﷺ يخبر دعوته شفاعة لأمته	٢٨٣
تطائر الصحف	٢٥٥	كيف نفوز بشفاعة النبي ﷺ	٢٨٤
تحريم الظلم	٢٥٦	شروط الشفاعة	٢٨٥
مغبة الظلم فى الدنيا والآخرة	٢٥٧	أنواع الشفاعات يوم القيامة	٢٨٦
وأما حشرته يوم القيامة	٢٥٨	شفاعة الملائكة	٢٩٠
هذا هو المفلس	٢٦٠	شفاعة المؤمنين	٢٩٠

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٦٨	مفاتيح الجنة	٢٩١	شفاعة أرحم الراحمين
٣٦٩	يا له من نعيم	٢٩٣	الصراط
٣٦٩	وفيها ما تشتهيهِ الأنفس	٣٠١	الأمانة والرحم على جنبتي الصراط
٣٧٠	احتجاج الجنة والنار	٣٠٢	أنوار المؤمنين على الصراط
٣٧١	أسماء أهل الجنة وأهل النار		ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
٣٧١	الجنة قرية... فاجتهد	٣٠٢	لذكر الله؟
٣٧١	حُفَّت الجنة بالمكاره	٣٠٤	التوبة.. والنور على الصراط
٣٧٢	كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى	٣٠٥	المشركون لا يمرون على الصراط
٣٧٢	الدارُ الإسلام... والبيتُ الجنة	٣٠٥	قنطرة بين الجنة والنار
	لن ندخل الجنة إلا برحمة الله -جل	٣٠٧	لا يجمع الله على عبدِ خوفين
٣٧٣	وعلا-	٣٠٧	آخر رجل يمر على الصراط
٣٧٣	أشياء نراها من الجنة	٣٠٩	الحوض
٣٧٣	عَقْدُ ثمنه الجنة	٣٠٩	حوض النبي ﷺ الكوثر
٣٧٤	شبهة... والرد عليها		الذي يحدث في الدين لا يشرب من
٣٧٤	تلك هي الجنة... فأين مهرها؟!!!	٣١١	يدي النبي ﷺ
٣٧٩	أسماء الجنة ومعانيها	٣١٤	دركات النار
٣٨١	وربك يخلق ما يشاء ويختار	٣١٤	وصف النار
٣٨١	هؤلاء أهل الجنة	٣١٥	التخويف من النار
	أبواب الجنة الثمانية.. ومضاعفة الرزق	٣١٦	النبي ﷺ يستعيز بالله من عذابها
٣٨٣	للمؤمن	٣٣٠	أودية جهنم
	«الوسيلة» أعلى منزلة في الجنة	٣٣٢	شراب أهل النار
٣٨٤	للنبي ﷺ		إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي
٣٨٤	قصر النبي ﷺ في جنة عدن	٣٣٥	جحيم
٣٨٥	قصرٌ مثل الربابة البيضاء	٣٣٩	أهل النار خمسة
٣٨٥	قصرٌ على نهر الكوثر	٣٤٠	أكثر أهل النار
٣٨٦	منزل مثل السحاب لسيد الأحاب ﷺ ..	٣٤١	أصحاب النار وأصحاب الجنة
٣٨٦	بيت في الجنة من قصب لخديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ..	٣٦٨	نصائح تبعدنا عن حر النار

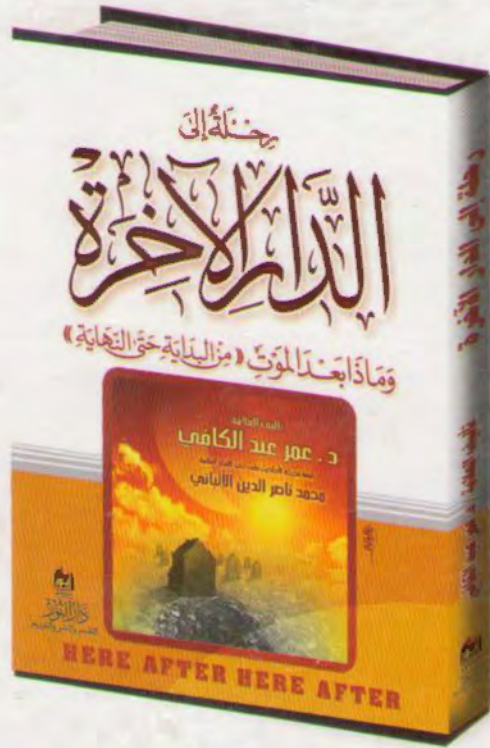
الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
قصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٣٨٧	فرش الجنة	٤٠٤
عدد أبواب الجنة وصفتها	٣٨٨	غرف الجنة وقصورها	٤٠٥
سعة أبوابها	٣٨٨	هل تريد بيتاً في الجنة	٤٠٥
نداء من أبواب الجنة الثمانية	٣٨٩	هذه خيمتك في الجنة	٤٠٦
من الذين ينادى عليهم من أبواب الجنة		ألا تريد نخلاً حول بيتك في الجنة؟!	٤٠٧
الثمانية!!!	٣٨٩	ما منكم من أحد إلا له منزلان	٤٠٨
تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين		من يكون في الفردوس الأعلى؟	٤٠٩
والخميس	٣٩١	من يريد المساكن الطيبة في جنات	
ويدخلهم الجنة عرّفها لهم	٣٩١	عدن؟	٤٠٩
أول من تفتح له أبواب الجنة	٣٩٢	من كان عبداً للرحمن... فاز بالرفقة في	
أول من يدخل الجنة	٣٩٢	أعلى الجنان	٤١١
باب من أبواب الجنة	٣٩٣	الفائزون بالغرف في الجنة	٤١٢
باب الريان للصائمين	٣٩٤	الشهداء... وخير منزل	٤١٣
طريق الجنة واحد	٣٩٤	الشهيد في خيمة الله تحت عرشه	٤١٣
وصفهم عند دخول الجنة	٣٩٤	درّج الجنة وغرفها... لقارئ القرآن	٤١٤
مشهد عظيم عند دخول الجنة	٣٩٧	بيت في أعلى الجنة لصاحب الخلق	
أول الأمم دخولاً الجنة.. وأكثرهم		الحسن	٤١٥
عدداً	٣٩٧	الحب في الله... وغرف الجنة	٤١٦
كيف يدخلون الجنة... وأول وجبة		بيت في الجنة لمن ترك المراء والكذب ..	٤١٦
يأكلونها	٣٩٨	غرف في الجنة... لمن أطعم الطعام	
طعام أهل الجنة وشرابهم	٣٩٨	والآن الكلام وتابع الصيام وصلّى	
صفة أهل الجنة في خلقهم وطولهم		بالليل والناس نيام	٤١٧
وخلقهم	٤٠٠	قصر الريان للصائمين	٤١٧
أهل الجنة يتزاورون ويتذكرون ما كان		صلاة الضحى وبيت في الجنة	٤١٩
بينهم	٤٠١	بيت الحمد في جنة الرحمن جل وعلا	٤٢١
ثياب أهل الجنة	٤٠٢	أهل الجنة لا ينامون	٤٢١
نعمة القرآن.. وحُلل الجنة	٤٠٤	خدم أهل الجنة	٤٢١



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٤٧.....	ولمن خاف مقام ربه جنتان	٤٢٢.....	وأيّن أطفال المؤمنين
٤٤٨.....	الجنة دار الخلد	٤٢٣.....	نساء أهل الجنة
٤٤٨.....	وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربهَا ناظرة	٤٢٤.....	وأما الأتراب فجمع ترب
٤٥١.....	أعياد المؤمنين في الجنة	٤٢٥.....	أفضل نساء أهل الجنة
٤٥١.....	يوم المزيّد	٤٢٦.....	غناء الحور العين
٤٥٢.....	ورضوانٌ من الله أكبر		الحور العين تطلبك من الله - عز وجل -
	وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين	٤٢٦.....	فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين
٤٥٣.....	هل تستحق الدنيا أن نضحى من أجلها	٤٢٧.....	يا ولي الله! أما لنا فيك من دولة؟
٤٥٣.....	بالجنة	٤٢٧.....	طوبى لك يا لعبة!!!
٤٥٧.....	تذكّرة	٤٢٨.....	الأخت المسلمة أجمل من الحور العين
٤٥٨.....	الله يفرح بتوبتك	٤٢٩.....	سيدا شباب أهل الجنة
	كتب الله الرحمة بيده ليدل على عظم المغفرة	٤٣٠.....	سوق الجنة
٤٥٩.....	تيسير التوبة لأمة الحبيب ﷺ	٤٣٠.....	نداءات يسمّعها أهل الجنة
	الله يحجب التوبة عن المنافقين	٤٣١.....	تربة الجنة
٤٦٠.....	والكافرين	٤٣٢.....	أنهار الجنة وعيونها ومجرها
٤٦٠.....	لمثل هذا اليوم فاعدوا	٤٣٤.....	من أنهار الجنة
	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً	٤٣٤.....	أشجار الجنة وبساتينها
٤٦٢.....	حمة العرش يستغفرون لك أيها الحبيب	٤٣٦.....	ريح الجنة
٤٦٣.....	النبي ﷺ خبأ دعوته شفاعاً لأمته	٤٣٧.....	درجات الجنة
٤٦٤.....	خوف الصحابة رضي الله عنهم		الأعمال التي ترفع المؤمن في درجات الجنة
٤٦٥.....	إياك والمعصية	٤٣٨.....	أعلى درجة في الجنة
٤٦٦.....	للفرق بيننا وبين السلف	٤٤٢.....	إذا مات العبد بغير مولده
٤٦٧.....	فذكر إن نفعت الذكرى	٤٤٢.....	أدنى أهل الجنة منزلة
٤٦٧.....	فهرس الموضوعات	٤٤٤.....	آخر من يدخل الجنة
٤٧١.....		٤٤٥.....	

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET



دار النور

كتاب النور

للطباعة والنشر والتوزيع

7 ش عبد العزيز - العتبة - القاهرة

+202 23 910 55 4 - 23 95 9218

طنطا: 2 ميدان المحطة

040 - 3333 944

EMAIL: ALNOORISLAMIC@YAHOO.COM

ALNOORISLAMIC@HOTMAIL.COM

قسم التحقيق والبحث العلمي

دار النور للطباعة والنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين رقم ١٨٠